

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



مَنْ أَهَبَ مِصْطَلِحًا فَلَيْسَ بِهِيَ

تَالِيَتْ

عَلَّقَتِ الشَّيْخَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ مَوْفِقِيَّةً

وَتَقَ اسْمُهُ وَحَقَّقْتَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ
الْأَمِيرُ أَبُو سَيِّدٍ الْغَزَلِيُّ (الغزالي)

عَنْ سَنَةِ ١٠٠٠ (١٠٠٠ هـ)



جميع حقوق الطبع محفوظة و مسجلة الناشر

- الكتاب : مذاهب و مصطلحات فلسفية
المؤلف: العلامة محمد جواد مغنبة (ره)
الناشر: مؤسسة دار الكتاب الاسلامي
الطبعة: الاولى ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م
المطبعة: مطبعة ستار
عدد النسخ: (٢٠٠٠) نسخة

الترقيم الدولي : ٤ - ٢٠٠ - ٤٦٥ - ٩٦٤ - ٩٧٨

ISBN: 978 - 964 - 465 - 200 - 4

قم - ميدان معلم - سمية ٢٢ - بلاك ٢٦
تلفن: ٧٧٤٤٩٧٠ - ٧٧٣٠٩٩٤
فاكس: ٧٨٣٧٣٨٣

فَهْرِسُ الْمَوْضُوعَاتِ

١٥	مُقَدِّمَةٌ
١٥	طَالِبُ الْفَلَسَفَةِ
١٦	الْعُمُوضُ وَالْعَرَابَةُ
١٨	إِشَارَةٌ إِلَى الْمَحْتَوَى
١٩	الْأَوَّلِيَّاتُ الْفِطْرِيَّةُ هِيَ الْأَسَاسُ
١٩	مَا بِالذَّاتِ لَا يُعَلَّلُ
٢٠	الْإِسْلَامُ مِنَ الْمُعْطِيَّاتِ الْأَوَّلِيَّةِ
٢١	العقل النظري
٢٣	حَوْلَ فِلْسَفَةِ الْإِسْرَاقِ
٢٣	مَعْنَاهُ
٢٣	التَّصَوُّفُ
٢٤	السَّهْرُورِيُّ
٢٧	الحُكْمُ بَيْنَ الْمَوْضُوعِيِّ وَالذَّاتِيِّ
٢٧	الْفُرُورُ الْأَحْمَقُ
٢٧	الحُكْمُ الذَّاتِيُّ

- ٢٨..... الحُكْم المَوْضُوعِي .
- ٢٩..... النَّاتِ القُدْسِيَّة .
- ٣١..... بَيْن المَنْطِق القَدِيمِ والمَنْطِق الحَدِيثِ .
- ٣١..... كَلِمَةُ المَنْطِقِ .
- ٣١..... مُؤَسَّس عِلْمِ المَنْطِقِ .
- ٣٢..... مَوْضُوعِ المَنْطِقِ .
- ٣٢..... تَعْرِيفِ المَنْطِقِ .
- ٣٢..... غَايَةُ المَنْطِقِ .
- ٣٣..... المَنْطِقِ الصُّورِي .
- ٣٤..... المَنْطِقِ التَّطْبِيقِي .
- ٣٧..... حَوْلِ الإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانَ .
- ٣٧..... لِكُلِّ نَفْسٍ هُنَاهَا .
- ٣٨..... عِبْرِيَّةِ العَقْلِ .
- ٤٠..... الصِّدْقَةُ .
- ٤٣..... صِدْقِ القَضِيَّةِ بالبَدِيهَةِ أَوِ التَّجْرِيَّةِ .
- ٤٣..... القَبْلِيَّةِ والبُعْدِيَّةِ .
- ٤٣..... القَضِيَّةِ تَحْلِيلِيَّةِ وَتَرْكِيبِيَّةِ .
- ٤٤..... لِأَبْدِيَّةِ عِنْدِ المَادِّيِّينَ .
- ٤٥..... القَضِيَّةِ التَّحْلِيلِيَّةِ إِخْبَارِيَّةِ .
- ٤٧..... حَوْلِ الجَمَالِ .
- ٤٧..... العِلْمِ كَلِّيِّ وَجُزْئِيِّ .

٤٨.....	كَلِمَةُ الْجَمَالِ
٤٨.....	أَيْنَ الْجَمَالِ
٥٠.....	طَاغُورُ وَالْجَمَالِ
٥١.....	الْحَيَوَانُ وَخَاسَةُ الْجَمَالِ
٥٣.....	فَلْسَفَةُ الدِّينِ
٥٣.....	كَلِمَةُ الدِّينِ
٥٤.....	الدِّينُ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْفَلْسَفَةِ
٥٥.....	التَّوْحِيدُ
٥٦.....	النَّبُوَّةُ
٥٧.....	العِصْمَةُ
٥٨.....	البُّعْثُ
٦٠.....	الخُرَيْبَةُ
٦٥.....	الْمَنْهَجُ الْعِلْمِيُّ فِي الْإِسْلَامِ
٦٥.....	الْعِلْمُ وَالْمَعْرِفَةُ
٦٦.....	ضَرُورَةُ الْفَرَضِ
٦٨.....	مَوَارِدُ الْفَرَضِ
٧٠.....	الْمَنْهَجُ الْعِلْمِيُّ
٧٠.....	الْإِيمَانُ بِاللَّهِ
٧١.....	الَّذِينَ عَبَدُوا الْأَحْجَارَ
٧٢.....	الْإِيمَانُ بِالنَّبُوَّةِ
٧٣.....	الْإِيمَانُ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ

- ٧٧..... نافذة على النظرية النسبية.
- ٧٧..... أينشتين
- ٧٨..... أينشتين والإيمان بالله
- ٨١..... أينشتين ضد الدولة اليهودية
- ٨١..... النسبية والغموض
- ٨٢..... الطبيعة بين القديم والحديث
- ٨٣..... المادة والنسبية
- ٨٤..... العادة والذرة
- ٨٤..... علماء الذرة
- ٨٧..... النسبية العامة
- ٨٩..... الزمان - المكان
- ٩٠..... البعد الرابع
- ٩١..... أنظر، أهم المصادر لهذا الفصل
- ٩٣..... حول كونفوشيوس وفلسفته
- ٩٣..... فنات الفلاسفة
- ٩٤..... الإنسان أخو الإنسان
- ٩٦..... الحكومة وثقة الشعب
- ٩٧..... لأ فضيلة بلا عدل في التوزيع
- ٩٨..... الإحتكار والفقير
- ٩٩..... قاعدة العمل الصالح
- ١٠١..... الإتحاد الدولي للجميغات الفلسفية

- ١٠١..... المؤتمر الخامس عشر للفلسفة
- ١٠٢..... بين العلم والفلسفة
- ١٠٣..... بين الأخلاق والعلم
- ١٠٥..... الإنسان في الولايات المتحدة
- ١٠٦..... نحن والرأسمالية والشيوعية
- ١٠٩..... حوافز التقدم
- ١٠٩..... مع الفيلسوف زكي نجيب محمود
- ١١٠..... عامل التقدم
- ١١١..... لا تقدم بلا عمل
- ١١٥..... أحذر العجول الغضوب
- ١١٥..... لا مفر من التفكير
- ١١٦..... العجلة طريق الهلكة
- ١١٧..... الغضب حمى الجنون
- ١١٨..... العفو من شيم الكرام
- ١١٩..... أحمق الحمق
- ١٢١..... الفلسفة والديانات السماوية
- ١٢١..... الفلسفة حلال أو حرام؟
- ١٢٢..... الأقاليم الثلاثة في الكتاب المقدس
- ١٢٥..... إله إسرائيل
- ١٢٧..... الإسلام والعقل
- ١٣١..... لا إسلام بلا عقل

- ١٣٣..... القرآن وكلمة الغيب
- ١٣٧..... المادية والواقعية والمثالية
- ١٣٧..... المادية
- ١٣٩..... الواقعية
- ١٤٠..... المثالية
- ١٤٣..... حول العلوم الإنسانية
- ١٤٣..... بين الكون والطبيعة
- ١٤٣..... العلوم الإنسانية
- ١٤٤..... منهج العلوم الإنسانية
- ١٤٥..... نقد الفلسفة
- ١٤٦..... علماء الغرب والزيتاء
- ١٤٦..... قوى الشر والعلوم الإنسانية
- ١٤٨..... اقرأ باسم ربك
- ١٥١..... فلسفة الآخرة وجمال الدين الأفغاني
- ١٥٥..... فلسفة الإلحاد في العصر الراهن
- ١٥٥..... كان الناس أمة واحدة
- ١٥٦..... أسباب الإلحاد
- ١٥٩..... الوضعية المنطقية
- ١٥٩..... معناها
- ١٥٩..... أقسام القضية
- ١٦١..... ملاحظات

- ١٦٢..... الوضعون والقيم الأخلاقية
- ١٦٣..... فلسفة التحليل
- ١٦٧..... البراغماتية
- ١٦٧..... الرغبة والرغبة
- ١٦٨..... هذي هي البراجماتية
- ١٦٩..... من أقوال البراجماتيين
- ١٧٣..... الوجودية
- ١٧٣..... كتاب المذاهب الوجودية
- ١٧٣..... الوجودية واللامعقول
- ١٧٥..... الوجودية منهج لا فلسفة
- ١٧٥..... الوجوديون المؤمنون
- ١٧٦..... الوجودية المعاصرة
- ١٧٧..... تساؤلات
- ١٧٩..... المادية الجدلية
- ١٧٩..... ماركس والفلسفة
- ١٨٠..... الجدل الهيغلي
- ١٨١..... الجدل الماركسي
- ١٨٢..... نحنُ والمادية الجدلية
- ١٨٤..... المادية التاريخية
- ١٨٥..... الطبقة العاملة والرأسمالية
- ١٨٧..... المال شيء وليس كل شيء

- ١٨٧..... هنا الفصل
- ١٨٧..... لا بُدَّ مع الخبز من آدام
- ١٨٨..... مقياس الحضارة
- ١٩٠..... الإسلام بين اليمين واليسار
- ١٩٥..... المنهج المتبع في الرياضيات والطبيعات والفلسفة
- ١٩٥..... المنهج
- ١٩٥..... منهج العلوم الرياضية
- ١٩٦..... الاستدلال الرياضي والقياسي المنطقي
- ١٩٧..... منهج الطبيعيات
- ١٩٨..... بين المنهج الرياضي والطبيعي
- ١٩٨..... الفلسفة منهج المناهج
- ٢٠٠..... بين المعرفة الفلسفية والعلمية
- ٢٠١..... السبب والمسبب
- ٢٠١..... معنى السببية وأقسامها
- ٢٠٣..... الدليل العليل والإجابة عنه
- ٢٠٤..... الهندي والأرض
- ٢٠٧..... الفلسفة القرآنية
- ٢٠٧..... دعوة القرآن
- ٢٠٨..... علم الكلام لا يكفي
- ٢٠٨..... الفلسفة القرآنية
- ٢١٠..... الفلسفة القرآنية واقعية لا مثالية

٢١١	الْقُرْآنُ وَمَصَادِرُ الْمَعْرِفَةِ
٢١٢	مَصَادِرُ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ
٢١٦	نُظْرِيَّةُ النَّبُوَّةِ
٢١٨	النَّبُوَّةُ ضَرُورَةٌ إِنْسَانِيَّةٌ
٢٢١	قَامُوسٌ لِبَعْضِ الْمُصْطَلِحَاتِ الْفَلْسَفِيَّةِ
٢٧٥	أَسْمَاءُ بَعْضِ الْفَلَّاسِفَةِ
٢٨٩	فَهْرَسُ الْآيَاتِ
٢٩٩	فَهْرَسُ الْأَحَادِيثِ
٣٠٣	فَهْرَسُ الْمَصَادِرِ

4

1

المقدِّمة



الحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ
وَبَعْدُ ؛

فإنَّ في هذه الصَّفحات أو المَحاولات عرضاً وتوضيحاً لبعض المذاهب والآراء الفِلسفِيَّة ، وإضافات ومُلاحظات هي من نتاج القراءة والمُطالعة الدَّائمة الدَّائبة مدى عشرات السنين ، ومع هذا فلا آمن الخطأ فيما سَطَّرت وعَرَضت ، لسبب واضح وبسيط وهو أنَّي لستُ معصوماً ، وأيضاً لستُ مَجنوناً... وأعوذ بالله من حبائل الغرور وعمى القلب والقصور .

وعلى أيَّة حال ، فإنَّ الهدف الأوَّل من كتابي هذا هو أن يُمهّد سبيل التفهم لبعض الحقائق الفِلسفِيَّة ، وأن يخرج القارىء منه وهو أدق فِكراً ، وأوسع أفقاً ممَّا كان عليه قبل قراءة ته .

طالِب الفِلسفَة :

كلَّ إنسان إذا رأى شيئاً ، وتساءل عن علته ، فهو من طُلاب الفِلسفَة والرَّاغِبين فيها ، لأنَّ الفِلسفَة في واقعها هي التَّعرُّف على علل الأشياء وعِلاقتها وواقعها بظواهرها ، ومن هنا كانت الفِلسفَة عند الأقدمين العِلْم الكُلِّي الَّذي يعم ويَشمل

جميع العلوم بشتى أنواعها، وكذلك كان الحال في القرن السابع عشر الميلادي. قال أبو الفلاسفة الفرنسي ديكارت (١٥٩٦ - ١٦٥٠): «الفلسفة أشبه بشجرة جذورها علم ما بعد الطبيعة، وجذعها علم الطبيعة، وأغصانها علوم أخرى» ولكنه قال أيضاً: «ليس في الفلسفة أمر إلا وفيه خلاف».

أما الفيلسوف الألماني (ليبنتز) فقد اكتشف من التساؤل الفطري عن علل الأشياء والأحداث، مبدأ العلية والسببية القائل: «لكل حادث سبب»^(١). وإليك عبارته الخبيرة الغريزة:

« لا واقع يُمكن أن يكون حقاً أو موجوداً، ولا حُكم يُمكن أن يكون حقاً إلا وتكون هناك علة كافية لكونه كذلك لا على خلافه، وإن كانت العلة - في الغالب - لا يُمكن أن تكون معروفة لنا». ولنا أن نعطف على هذه العبارة - بقرينة السياق - ونحمل ما خفي علينا من العلة، على جهلنا، ولا يسوغ بحال جحودها والقطع بعدم وجودها».

وكل العلوم والفلسفات وجميع القوانين والشرائع والأديان السماوية والكتب الإلهية - تقوم على أساس مبدأ العلية القائل: لكل حادث سبب. ولولاه لكان حديث العلم والدين والفلسفة أشبه بمضغ الهواء، وكان العالم الرشيد تماماً كالجاهل البليد.

الغموض والغرابة:

معظم ما كتب في الفلسفة أو نصفه - على الأقل - من الظلمات والمُعميات... يشتري القارئ العادي كتاباً لمجرد أنه يحمل اسم فلسفة، ويعلق عليه أملاً

(١) أنظر، تفسير روح المعاني للألوسي: ٧٦/٢٧، دره تعارض العقل والنقل لتقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، دار النشر الكتب العلمية بيروت ١٤١٧هـ، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن: ١٤٨/٩.

كبيراً في تنويره وتثقيفه، ولكن سرعان ما يصطدم بالغموض والغرابة، فيستعين بالهوامش والقواميس من غير جدوى، فيتبخر أمله، ويُلقي الكتاب بإحتقار وأزدراء، لأنَّ القارىء يحترم الكتاب والكاتب بقدر ما ينتفع به، ومحال أن ينتفع ويستفيد إلا إذا فهم وعلم.

وتسأل: ما هو السبب الموجب للصعوبة والغرابة؟ لأنَّ مادَّة الفلسفة بذاتها من المشكلات والمعضلات، أو أنَّ الذنب ذنب الكاتب لا ذنب الفلسفة؟

الجواب:

إنَّ الفلسفة كأي علم من العلوم، في موادها اليسير والعسير على الأفهام، وأيضاً الذين يكتبون ويؤلفون على وجه العموم وفي أي موضوع كان، منهم من يعجز عن التعبير لأنَّه مُعقد بالذات لا بالعرض، وآخر لُغته ضعيفة وهزيلة، وثالث يقدر على الكلام المفهوم، ولكنَّه لا يرغب فيه، ويطلب من القارىء أن يبذل جهداً مريراً في تفهم معانيه، عسى أن يقال: أنَّ علمه لعظمته صعب المنال! وكان الأجدر به أن يبذل هو أقصى الجهد في تحري الوضوح والبساطة، والبعد عن الفظاظ والغلاظة في أسلوبه وعباراته، نقول هذا علماً بأنَّ التعبير والإبانة سليقة وموهبة وأنَّ أسلوب الإنسان هو نفس الإنسان، ومع ذلك نُؤمن ونُوقن بأنَّ للجهد الجهد والتكرار الدائب ثماره وآثاره.

أما الغموض والصعوبة في بعض المواد والنظريات، فلا تستعصي على الحل حتَّى ولو كانت أصعب وأخفى من النظرية النسبية^(١) فقد رأينا أقلَّماً تُسهل العسير، وتوضح المشكل والمتشابه حتَّى كأنَّه من البدييات أو أوضح، وأيضاً

(١) أقرأ فصل نافذة على النظرية النسبية.

رأينا أقلّماً تُعْمِي البصير، وتُعسر اليسير. ورحم الله أستاذنا السيد الحماّمي^(١)، فقد كان من ذآبة أن يُكرّر العبارة ويُعيدها إذا كان المطلب صعباً مُستصعباً، وكنْتُ أضحى وهو يُعيد: واضح سيّدنا واضح... فيقول ببرودة اللامُكترث: «أجل، ولكن بعد البيان».

إشارة إلى المحتوى:

كان من الممكن أن أعرض الفلسفة وما فيها من مذاهب وآراء ومصطلحات، أكثر ممّا سَطَرْتُ وكتبت... والفرصة متاحة لي لو أردت، فإنّ مكتبتي مُتخمة بالأسفار الفلسفية القديمة والحديثة، منها الطويل، ومنها القصير، ومنها ما بين ذلك، وأكثرها مُترجم عن اللغات الأجنبية بما فيها اللغة الصينية، والروسية، والأردية، ولكن سبق أن نُشرت ستّة مؤلفات في الفلسفة، فقررت أن تقتصر فصول هذا الكتاب على أمرين فقط:

١ - إعطاء فكرة واضحة عن بعض الفلسفات أو التيارات السائدة في العصر الزاهن بخاصة الإلحادية التي يجهلها أكثر الدعاة إلى دين الله أو الكثير منهم، عرضت هذه الفلسفات مع النقص والرّد بمنطق العقل وبديته.

٢ - أن أفسّر بعض المصطلحات الفلسفية والعلمية الأكثر شيوعاً وأستعمالاً كالتيكولوجيا والديناميكا وما أشبه.

وبه تعالى نستمد العون والتوفيق، وعليه وحده نتوكل، ونُصلي على النبي وآله.

(١) هو السيد حسين ابن السيد عليّ ابن السيد هاشم، وُلد في النجف الأشرف سنة (١٢٩٨هـ - ١٣٧٩هـ) الموسوي النجفي الحماّمي، ولقبه الحماّمي جاءه من قبل جدّه السيد هاشم الذي كان يملك حماماً في حيّ المشراق في النجف الأشرف وقد شارك في ثورة العشرين تحت لواء السيد مهدي الحيدري وله كتاب موسوم بـ «هداية المُسترشدين» المطبوع الطبعة الأولى باللغة الفارسية والثانية باللغة العربية في المطبعة العلمية (١٣٧٣هـ). أنظر، أعيان الشيعة السيد محسن الأمين: ١٣٢/٦.

الأوليات الفطرية هي الأساس

مَا بِالذَّاتِ لَا يُعَلَّلُ :

المُرَاد بالأوليات الفطرية كلُّ ما يُدرِكه الإنسان تلقائياً، وبلا دليل ومُقدّمات، بل يؤمن به بمُجرد التّصور ودون روية وتأمّل، ويشارك في هذه المَعرفة كلُّ النَّاسِ، سواء فيها العالِم والجَاهل، وتُسمّى أيضاً بديهية وضرورية، والأمثلة على ذلك أكثر من أن تُحصى، منها: على الجاهل بشيء أن يسأل العالم به، وعلى المريض أن يُراجع الطّبيب، وعلى صاحب الحاجة أن يسعى في قضاء حاجته. «لَا يَكْفُفُ أَلْمَةُ نَفْسًا إِلَّا وَشَعْفَهَا»^(١). قال الملائدرا في الأسفار: «لَا يُمكن تحصيل الأوليات بالإكتساب والبُرهان، ولأ بالتعريف الحدّي أو الرّسمي إذ لا شيء أعرف منها. ومن ناقش في ذلك فلا يستحق المكالمة والمناظرة»^(٢). لأنّه تماماً كجدال من يُنكر عليك علمك بأنك موجود!...

وإنما سمّيت هذه الحقائق أولية، لأنّ دلائلها ذاتية، وما بالذات لا يُعَلَّل^(٣) (أي لا يحتاج إلى دليل) بل يستدل به على غيره، ولا يستدل بغيره عليه. ومن

(١) البقرة: ٢٨٦.

(٢) أنظر، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، لصدر الدين مُحَمَّد الشيرازي: ٤٤٣/٣.

(٣) أنظر، المواقف في علم الكلام: ١٥٥/٣، شرح المواقف للجرجاني: ١١٣/٨، تفسير البيضاوي:

المُستهجن عند أهل العُرف أن تُسأل: لِمَاذَا يَطِير الطَّائِر بِجَنَاحَيْهِ، وَيَمْشِي
الإنسان على رِجليه، ويأكل بَفَمه، وَيَنْطق بلسانه؟
وتُسأل: إنَّ الأوَّلِيَّات البَدِيهيَّة أو المُعطيَّات الأوَّلِيَّة، لا تنحصر بالعقل الفِطري،
فإنَّ الحسَّ أيضاً من هَذِهِ المُعطيَّات كرؤية اللَّيْلِ والنَّهار، والجبال والبحار؟
الجواب:

إنَّ العقل الفِطري شرط أساس لسلامة الحسِّ وصحة التَّجربة حتَّى الوحي لا
يكون حجّة مُلزِمة، ووسيلة للإثبات إلاَّ أنَّ يحكم العقل بإمكانه وصدقه. وفي
كتاب الأسفار: «إنَّ الحواس لا تعلم أنَّ للمحسوس وجوداً، بل هذا من شأن
العقل»^(١). وبهذا نجد التفسير السليم لقول الرسول الكريم ﷺ: «أصل ديني
العقل»^(٢)، ونعرف الحكمة من اهتمام القرآن بالتعقل والتأمل. وإذن فذكر البديهة
ذكر للحسِّ.

الإسلام من المُعطيَّات الأوَّلِيَّة:

أستدل أرباب الأقلام، بالعديد من الشواهد والدلائل على صدق الإسلام
وعظُمته، ووضعوا في ذلك الأسفار الطوال والقصار... ومثلاً قالوا: أنَّ الإسلام
من المُعطيَّات الأوَّلِيَّة، يحمل في طبيعته الدليل على صحته وحجّته، لأنَّه يُعلن
بصراحة لكلِّ الأجيال أنَّ أي شيء يسند إليه دون أن تُشهد وتحكم به بديهة العقل
مباشرة أو بالواسطة، فما هو من دين الإسلام في شيء. ومعنى هذا أنَّ الإسلام
يقاضي خصومه إلى العقل، ولا دليل وراء كما أشرنا. وعليه يكون الاستدلال

(١) أنظر، الحكمة السُّعاليَّة في الأسفار العقلية الأربعة، لصدر الدِّين مُحمَّد الشيرازي: ٤٩٨/٣.

(٢) أنظر، مُستدرك الوسائل: ١١/١٧٣ ح ٨، عوالي اللآلي: ٤/١٢٥ ح ١، الشفا بتعريف حقوق

بالمُعجزة الخارقة على نبوة مُحَمَّدٍ ﷺ، من باب التأكيد وزيادة في التدليل .

العقل النظري :

وهو الَّذِي يَنْتَقِ بك من مَعْلوم حَاضِر إلى مَجْهول غَائِب، من حَقِيقَة بَدِيهِيَّة إلى حَقِيقَة نَظْرِيَّة - مثلاً - نحنُ نَعْلَمُ بَدِيهِيَّة العَقْل أَنَّ الرِّعِيَّة تَعِيشُ بِأَمَانٍ وَحُرِيَّةٍ إِنْ كَانَ لَهَا نِظَامٌ عَادِلٌ، وَرَاعٍ سَاهِرٌ عَلَى حُرْمَتِهِ وَكَرَامَتِهِ، فَإِذَا رَأَيْنَا بِلْدَا يُعِيشُ فِيهِ المُوَاطِنُ خَائِفًا عَلَى نَفْسِهِ وَعِيَالِهِ وَأَمْوَالِهِ عَلمْنَا بِالضَّرُورَةِ أَنَّهُ يَعْيشُ مِنْ غَيْرِ نِظَامٍ أَوْ فِي ظِلِّ نِظَامٍ جَائِرٍ أَوْ رَاعٍ غَيْرِ صَالِحٍ أَوْ هُمَا مَعًا.

مِثَالٌ آخَرٌ: كُلُّنَا يَعْلَمُ بِأَنَّ لَآ عِلْمَ بِلَا عَقْلٍ حَتَّى عَنْ طَرِيقِ الحَسِّ كَمَا سَبَقَتْ الإِشَارَةُ، وَنَنْتَقِلُ مِنْ عِلْمِنَا هَذَا إِلَى أَنَّ حَضَارَةَ الخِلَاعَةِ وَالِإِسْتِغْلَالَ وَأَدَبِ اللُّامِعِقُولِ كِلَاهُمَا جَهَالَةٌ وَضَلَالَةٌ.

وَبَعْدَ، فَمَا العُلُومُ بِكَامِلِهَا وَلَا الفَلَسَفَاتُ وَالْمَنَاهِجُ بِأَنوَاعِهَا وَلَا الفُنُونُ وَالْآدَابُ بِأَشْكَالِهَا إِلَّا أَجْزَاءٌ مِنْ خِبْرَةِ الفِكرِ وَالعَقْلِ. قَالَ أَسْبِينُوزَا: «إِذَا غَابَ العَقْلُ ظَهَرَتِ الخِرَافَةُ، وَإِذَا سَادَتِ الخِرَافَةُ ضَاعَ العَقْلُ»^(١) وَهَذَا هُوَ حُكْمُ الإِسْلَامِ بِالذَاتِ، وَعَلَى أَسَاسِهِ اتَّفَقَ الأَقْطَابُ مِنْ عُلَمَائِهِ عَلَى أَنَّ ظَاهِرَ الشَّرْعِ إِذَا تَعَارَضَ مَعَ العَقْلِ أَوْلُوا هَذَا الظَّاهِرَ تَأْوِيلًا يُعْطِيهِ مِنَ المَعْنَى مَا يَتَّفَقُ مَعَ حُكْمِ العَقْلِ^(٢).

(١) أنظر، كتاب رسالة في اللاهوت والسياسة: ١٣ ترجمة حسن حنفي .

(٢) أنظر، الشيعة في الميزان تأليف مُحَمَّد جَوَاد مُعْنِيَّة: ٨٢٥ بتحقيقنا . درء تعارض العقل والنقل لنتقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، دار النشر الكتب العلمية بيروت ١٤١٧ هـ، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن: ١٤٨/٩.

حول فلسفة الإِشراق

معناه:

الإِشراق في اللغة: الإِضَاءة، يُقال: أشرقت الشمس إذا أضاءت^(١).
والمَنقول عن السُّهروردي: أنَّ الإِشراق في الإِصطلاح هو «ظُهُور الأنوار العقلية»^(٢). أي أنَّ النور على نوعين: ظاهر كنور الشمس، وباطن كنور العقل، وهذا النور هو المراد بالإِشراق^(٣).

التَّصوف:

التَّصوف على أقسام، منه ما هو مَقبول ومَعقول كالقناعة والزهد القائم على العقل والشرع. ومثاله ما جاء في وصف الرَّسول الأَظيم ﷺ: «كان في طعامه لا يرد موجوداً، ولا يتكلف مفقوداً»^(٤).

(١) أنظر، مَجْمع البَحرين: ٤٩/٢، الصَّحاح للجوهري: ٣٠٠/١، لسان العرب: ٢١٦/٢، مُختار الصَّحاح لمُحمَّد بن عَبْدِ القَادِر: ٤٠.

(٢) أنظر، المَبْدأ والمَعاد، لصدر الدِّين مُحمَّد الشِّيرازي: ١٣٩.

(٣) أنظر، الفَتوحات المَكِّيَّة لابن العربي: ٢٧٥/٣، تاج العروس للزبيدي: ٥٦٣/٧، مُفردات غريب القرآن للرَّاغب الإِصفهاني: ٥٠٨، الفروق اللُّغويَّة لإبي هلال العسكري: ٣٣٢.

(٤) أنظر، سُبُلُ الهُدَى والرُّشاد في سيرة خَيْر العباد لمُحمَّد بن يُوُسُف الصَّالِحِي الشَّامِي المُتوفَّى سَنَةَ ٩٤٢هـ) دراسة وتَحقيق وتَعلِيق الشَّيخ عادل أَحْمَد عَبْدِ المَوْجُود والشَّيخ عليّ مُحمَّد معوض، دار الكُتُب العلميَّة لبَنان طَبِع سَنَةَ ١٤١٤هـ): ١٨١/٧.

وقال الإمام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «ألا وإن إمامكم قد أكتفى من دنياه بطمريه، ومن طعمه بقرصيه. ألا وإنكم لا تقدرون على ذلك، ولكن أعينوني بورع وإجتهد، وعفة وسداد»^(١).

وقسم آخر من التصوف يشطح بصاحبه إلى اللامعقول، إلى اقتلاع كل ميل ورغبة من الجذور! ومعلوم أن الإنسان يعيش بروحه وجسمه معاً، ولا مهرب له من أحدهما مهما وضع عليه من أثقال. والعامل يوازن بينهما، ولا يدع أحدهما يطفئ على الآخر.

وقسم ثالث من التصوف لا يأخذ العلم من الحس والدرس، بل من الله مباشرة عن طريق الجوع والقهو والصبر عن الملذات والشهوات.

وقال زابع: الطريق الوحيد إلى الإتصال بالله هو السكر والنشوة بحبه وعشقه!... إلى آخر هذه الخرافات والجهالات^(٢).

السهروردي:

أما السهروردي^(٣) الشهير بفلسفته الإشراقية فإنه يؤمن بفكرة التصوف،

(١) أنظر، نهج البلاغة: الرسالة «٤٥» إلى عثمان بن حنيف الأنصاري.

(٢) أنظر، مصرع التصوف تأليف برهان الدين البقاعي، دار النشر، عباس أحمد الباز، مكة المكرمة سنة (١٤٠٠هـ)، تحقيق: عبدالرحمن الوكيل.

(٣) هو شهاب الدين يحيى بن حبش بن أميرك السهروردي، صاحب السيمياء الشافعي، الحكيم الصوفي، المتكلم، له من الفقه والأصول يد، وُلد في سهرورد من قرى زنجان، نشأ في مراغة، وعاش في إصفهان ثم رحل إلى بغداد وحلب. وله من الشعر والأدب والنثر عامة يد، أفتى الفقهاء بإباحة دمه لما نُسب إليه من إنحلال في العقيدة، له مؤلفات منها: التلويحات، التنقيحات، حكمة الإشراق، هياكل النور، الألواح العمادية. مات خنقاً في السجن سنة (٥٨٧هـ). وهو الإمام القائل بزع في

وَيُكْفَرُ بِمَا يَصْطَدِمُ مَعَ الْعَقْلِ كَقَمْعِ الشَّهَوَاتِ مِنَ الْأَسَاسِ، وَلَا يَمْنَعُ الْبَحْثَ وَالدَّرْسَ، وَلَكِنَّهُ يَقُولُ: مِنَ الْمُمَكَّنِ وَالْجَائِزِ أَنْ يَصِيحَ الْعَقْلُ مُجْرَدَ نُورِ كُنُورِ الشَّمْسِ وَالْكَهْرَبَاءِ عَنِ طَرِيقِ جِهَادِ النَّفْسِ وَحَمَلِهَا عَلَى الْفَضَائِلِ، وَتَرَوِيضِهَا عَلَى الْحَدِّ مِنَ الْأَهْوَاءِ، وَعِنْدُنَا يَتِمُّ لِلْعَقْلِ الْإِسْتِعْدَادُ لِتَلْقَى الْغَيْبَ مِنْ اللَّهِ فِي النَّوْمِ أَوْ الْيَقَظَةِ، حَيْثُ قَالَ:

«النَّفُوسُ الْعَاقِلَةُ إِنَّمَا يَشْغَلُهَا عَنِ عِلْمِهَا سُلْطَانُ الْقُوَى الْبَدَنِيَّةِ، فَإِذَا قَوِيَتْ النَّفْسُ بِالْفَضَائِلِ الرُّوحَانِيَّةِ ضَعْفُ سُلْطَانِ الْقُوَى الْبَدَنِيَّةِ بِتَقْلِيلِ الطَّعَامِ وَتَكْثِيرِ السَّهْرِ - وَعِنْدُنَا - تَتَخَلَّصُ أحياناً إِلَى عَالَمِ الْقُدْسِ، وَتَتَّصِلُ بِاللَّهِ، وَتَتَلَقَّى مِنْهُ الْمَعَارِفَ»^(١). ثُمَّ ضَرَبَ السَّهْرُ وَرَدِي مَثَلاً لِذَلِكَ حَيْقُ قَالَ: «إِنَّ الْحَدِيدَةَ إِذَا قَرَّبْتَ مِنَ النَّارِ تَصِيرُ حَامِيَةً مِثْلَهَا، وَتَفْعَلُ فَعْلَهَا، وَهَكَذَا الْعَقْلُ الْخَالِصُ إِذَا قَرَّبَ مِنْ نُورِ الْأَنْوَارِ (أَيَ مِنَ اللَّهِ) يَسْتَشْرِقُ وَيَسْتَضِيءُ وَيَسْتَنِيرُ بِنُورِ اللَّهِ»^(٢).

وَبِأَسْلُوبٍ آخَرَ إِنْ أَكْثَرَ الصُّوفِيَّةِ أَوْ الْكَثِيرِ مِنْهُمْ لَا يُقِيمُونَ أَيَّ وَزْنٍ وَشَأْنٍ لِلْعَقْلِ وَنَظَرِهِ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَى الرِّيَاضَةِ الرُّوحِيَّةِ وَتَجْرِبَتِهَا كَطَرِيقٍ وَحِيدٍ لِلاتِّصَالِ بِاللَّهِ بِلَا وَسْطَةِ الْعَقْلِ، أَمَّا الْإِشْرَاقِيُّونَ فَيَعْتَبِرُونَ هَذِهِ الرِّيَاضَةَ وَسِيلَةً لَصَفَاءِ الْعَقْلِ

«العلوم الفلسفية بارعاً في الأصول الفلكية، مُفْرَطُ الذِّكَاةِ جَيْدُ الْفِطْرَةِ فَصِيحُ الْعِبَارَةِ لَمْ يُنَظَرْ أَحَدًا إِلَّا بِرَبِّهِ، وَلَمْ يُبَاحَثْ مُحْصِلاً إِلَّا أَرَبِيَّ عَلَيْهِ وَكَانَ عِلْمُهُ أَكْثَرَ مِنْ عَقْلِهِ.

أَنْظُرْ، تَرْجَمَتُهُ وَفِيَّاتِ الْأَعْيَانِ لِابْنِ خَلِّكَانَ: ٢٦٨/٦ تَحْتَ رَقْمِ «٨١٣»، مُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ، لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ يَاقُوتَ الْحَمَوِيِّ الْبَغْدَادِيِّ الْمَغَازِي (ت ٦٢٦ هـ): ٣١٤/١٩ تَحْتَ رَقْمِ «١٢٣»، لِلسَّانِ الْمِيزَانَ لِابْنِ حَجَرِ الْعَسْقَلَانِيِّ: ١٥٦/٣ تَحْتَ رَقْمِ «٥٥٣»، مَرَاةُ الْجَنَانِ لِلنِّبَاطِيِّ: ٤٣٤/٣، شَذَرَاتُ الذَّهَبِ فِي أَخْبَارِ مَنْ ذَهَبَ لِابْنِ الْعِمَادِ: ٢٩٠/٤، سَيَرُ أَعْلَامِ الثُّبَلَاءِ: ٢٠٧/٢١ تَحْتَ الرُّقْمِ «١٠٢»، عَيُونُ الْأَنْبِيَاءِ فِي طَبَقَاتِ الْأَطْبَاءِ - أَبْنُ أَبِي أُصَيْبَةَ -: ٦٤٥ - ٦٤١.

(١) أَنْظُرْ، كِتَابُ هِيَاطِ التُّورِ: ٨٥ الطَّبْعَةُ الْأُولَى.

(٢) أَنْظُرْ، كِتَابُ هِيَاطِ التُّورِ: ٨٦ الطَّبْعَةُ الْأُولَى.

وخلوصه من الشوائب، وعن طريقه يتم الإتصال به سبحانه. ومعنى هذا أن الإِشراق ضَرَب من التَّصوف، والفرق بين الإِشراقي وغيره من الصُّوفِيَّة أن غير الإِشراقي يتَّصل بالله بواسطة الرِّياضَة فقط ولا حاجة به إلى العَقل، أمَّا الإِشراقي فيتَّصل به تَعَالَى عن طريق العَقل الخالص الَّذِي تَمَّ نَقاؤُهُ وَصَفَاؤُهُ من الهوى بِعَمَلِيَّة التَّدْرِيْب والتَّرْوِيض. وبكَلِمَة الإِشراق تَصُوف عَقْلِي.

هَذَا تَلْخِيص لِمَا فَهَمَّتْهُ مِمَّا قَرَأْتُ وَطَأَلْتُ عَن فِلسَفَة الإِشراق. وَالْعِصْمَة لِأَهْلِهَا.

الحكم بين الموضوعي والذاتي

الغرور الأحمق:

من أعجب العجب أن يتيه الغرور بصاحبه إلى حدّ الإدعاء حُماً بأن كلمة الحق لا تخرج إلا من فمه وحده ولا شريك له!

والمُناسبة لهذه الإشارة أنّي قرأت الآن في الجرائد اللبنيّة إعلاناً لكاتبه، جاء فيه ما نصّه بالحرف الواحد: «يُعلن أنّه هو وحده - الضمير للكاتب - يتحمّل مسؤولية الشؤون الدينيّة... والصّالح لإقرار المؤسسات والشخصيات الرّوحيّة... والمُعتمد للمرجعيّة العامّة... في العالم فيما يتعلّق بالأُمور الدينيّة والاجتماعيّة والإنسانيّة عموماً»^(١).

أبدأ لا إنسانيّة لأي إنسان، ولا روحانيّة لأي عالم ديني مهما بلغ من التقوى، والورع، والفضل، والاجتهاد إلا بإقرار المُعلن وتعميده وجعله وتقريره وإلا فهو مُحرف ومُزيّف!

أليس معنى هذا أنّ ما يخرج من فمه هو تنزيل من عليم حكيم؟

الحكم الذاتي:

المُراد بالحكم الذاتي هنا الرّأي التابع من رغبات الإنسان وميوله كإعلان هذا

(١) أنظر، جريدتي النهار والسفير، تاريخ (١٨/٦/١٩٧٧م).

المُستعلي عن نفسه... وكزأي الأم في أبنها، والعدوّ في عدوّه... وقد ينبع الرأى الذاتى من عقدة في النفس أو الشعور والإحساس. قال ستوارت ميل: «إن بعض العلماء يهمل نصف ما يرى، وبعضهم الآخر يُضيف إلى ما يراه بعينه شيئاً مما تخيله، فيخلط بين الحقيقة والخيال».

وتسأل: ما من أحد إلا ويحكم من خلال نفسه حيث يستحيل عليه أن يتجرد عن ذاته وينفصل عنها؟.

الجواب:

لأ أحد يطلب من الإنسان أن يخرج من جلده، ويتحول إلى حقيقة غريبة عنه، وإنما المطلوب منه أن يكون حكمه ورأيه ثمرة البحث الدقيق الوافى لآ نتيجة الحبّ والحقد والتعصب الأعمى.

أجل، هناك أحكام وآراء ذاتية لا تُوصف بخطأ أو صواب، لأنها تخصّ الشّخص وحده، ولا دخل لها في شؤون الناس من قريب أو بعيد كزغبته في هذا النوع من الطّعام أو الشراب أو هذا اللون من الزّهر أو الثياب دون ذلك... وما إلى ذلك ممّا لا قياس له ولا قاعدة، ومن أجل هذا سمّي هذا النوع بالحكم الشّخصي والذوقى والمزاجي.

ومن الجهل والخطأ أن يحدث فيه خلاف ونقاش مع الفرض بأنه لا يمس حياة أحد كما أشرنا.

الحكم الموضوعي:

الحكم الموضوعي على العكس من الحكم الذاتى، ينبع من نفس الموضوع، أما الذات هنا فهي أشبه بالآلة التصوير تعكس الشّيء عكساً مجرداً عن الميول والعاطفة.

وهنا سؤال يطرح نفسه، وهو هل يستطيع الإنسان أن يدرك الشيء، أي شيء، على حقيقته ومن شتى جهاته؟.

الجواب:

كلاً، فإن الإنسان إنما يدرك من الشيء ما يدخل في حدود فهمه وشعوره، وما عدا ذلك فهو غريب عنه وعن تصوّره حتّى الشيء الذي يتصوره ويدركه لا يعرف منه إلا القليل - مثلاً - القاضي يستمع للمتداعيين وشهود العيان، ويناقشهم مناقشة دقيقة وأافية، ومع ذلك قد يخطيء، ويرى الموجود معدوماً والمعدوم موجوداً، فيكف بمن يحكم بمجرد النظرة أو اللمحة؟ ومن هنا قال الفلاسفة أو الكثير منهم: «أنّ التعريف بالحدّ الحقيقي مُتَعَذِرٌ أو مُتَعَسِرٌ، وأنّ التعريفات بكاملها لفظية لمجرد التقريب إلى الفهم وكفى»^(١).

الذات القدسيّة:

وإذا تعذر علينا فهم الأشياء التافهة على حقيقتها كالذبابة والنملة، ونحن نراها بالعين لا بالأثر فقط، فبالأولى أن نعجز عن إدراك ما لا يرى بالبصر والبصيرة كالذات القدسيّة التي لها الخلق والأمر كله. وبهذا نجد تفسير الحديث الذي ذكره الكليني في أصول الكافي: «تكلّموا في خلق الله، ولا تكلّموا في الله، فإن الكلام في الله لا يزيد صاحبه إلا تحيراً»^(٢).

أجل، لك أن تنعته سبحانه - على سبيل التقديس والتمجيد - بالجلال

(١) أنظر، غاية المرّام في علم الكلام، لعلّي بن أبي علي بن محمد بن سالم الآمدي: ٢٨/١، نشر دار المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة بالقاهرة سنة (١٣٩١هـ)، تحقيق: حسن محمود عبد اللطيف.

(٢) أنظر، الكافي: ١/٩٢ ح ١، شرح أصول الكافي: ٣/١٤٧، روضة الواعظين: ٣٧، التوحيد للشيخ الصدوق: ٤٥٤ ح ١، الهداية للشيخ الصدوق: ١٤.

والكمال والتنزيه عن المثل والنظير، ولكن هذا شيء وإدراك الذات بكنهها وحقيقتها شيء آخر.

وقد يقول قائل: ما دامت ذات الخالق غيباً في غيب، فمعنى ذلك أنه في عزلة عنا ومنأى، وعليه لماذا نؤمن به، ونتعبد له؟.

الجواب:

أنه تعالى غائب في ذاته القدسيّة، ولكنه حاضر في علمه ومقدرته، وفي رُسله وشريعته، وفي تدبيره وعنايته، وفي حسابه وثوابه وعقابه، وفي الآية: «وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ»^(١)، وفي الآية: «يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ»^(٢).

وفي نهج البلاغة: «الظاهر بعجائب تدبيره للنّاظرين، والباطن بجلال عزّته عن فكر المتوهّمين»^(٣).

(١) سورة ق: ١٦.

(٢) هود: ٥.

(٣) أنظر، نهج البلاغة: الخطبة (٢١٣).

بَيْنَ الْمَنْطِقِ الْقَدِيمِ وَالْمَنْطِقِ الْحَدِيثِ

كَلِمَةُ الْمَنْطِقِ :

مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْمَنْطِقِ، وَهُوَ نَوْعَانِ: نَطْقٌ خَارِجِيٌّ وَهُوَ اللَّفْظُ، وَنَطْقٌ دَاخِلِيٌّ وَهُوَ الْفَهْمُ وَالْإِدْرَاكُ. وَبَيْنَهُمَا عُمُومٌ وَخُصُوصٌ مِنْ وَجْهِ، يَفْتَرِقُ الْخَارِجِيَّ عَنِ الدَّاخِلِيِّ فِي كَلَامِ الْمَجْنُونِ، وَالدَّاخِلِيِّ عَنِ الْخَارِجِيِّ فِي التَّفَكِيرِ السَّلِيمِ بِأَكْلَامٍ، وَيَجْتَمَعَانِ فِي الْكَلَامِ الْمَعْقُولِ، وَلَكِنْ كَلِمَةُ «مَنْطِقٍ» أَصْبَحَتْ بِالِاسْتِعْمَالِ الشَّائِعِ مُرَادِفَةً لِعِلْمِ الْمَنْطِقِ أَوْ لِلْعَقْلِ، وَلِذَا عَرَّفُوا الْإِنْسَانَ بِالْحَيَوَانَ النَّاطِقِ، وَهُمْ يُرِيدُونَ أَنَّ الْإِنْسَانَ يَمْتَازُ عَنِ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ بِقُدْرَتِهِ عَلَى النُّطْقِ بِالْمَعْقُولِ^(١).

مُؤَسَّسُ عِلْمِ الْمَنْطِقِ :

هُوَ الْفِيلَسُوفُ الْيُونَانِيُّ الشَّهِيرُ أَرْسَطُو «٣٨٤ - ٤٤٧ ق م» تَلْمِيزُ أَفْلَاطُونَ وَمُعَلِّمُ الْإِسْكَانْدَرِ الْكَبِيرِ، وَيُسَمِّيهِ الْفَلَّاسِفَةُ الْعَرَبُ الْمُعَلِّمَ الْأَوَّلَ، وَكَانَ أَسْتَاذَهُ يُسَمِّيهِ الْعَقْلَ، فَقَدْ رَوَى الرَّوَاةُ أَنَّ أَفْلَاطُونَ حِينَ يَجْلِسُ فِي حَلْقَةِ الدَّرْسِ لَا يَشْرَعُ بِهِ، فَإِذَا أُسْتَدْعِيَ لَهُ قَالَ: حَتَّى يَحْضُرَ الْعَقْلَ، فَإِذَا جَاءَ أَرْسَطُو قَالَ

(١) أَنْظَرِ، مُخْتَارَ الصَّحَاحِ لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْقَادِرِ: ٢٧٧/١، التَّهَاطُوتُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ: ٢٤١/٤، لِسَانُ

أفلاطون : حَضَرَ العَقْل^(١) .

مَوْضُوعُ المَنْطِقِ :

الفِكرُ الإنساني أي العَمَلِياتُ الفِكرِيَّةُ والقَوَانِينُ والشَّرُوطُ الضَّرُورِيَّةُ لِلوُصُولِ إلى حُكْمِ سَلِيمٍ ، يَقْبَلُهُ كُلُّ مُفَكِّرٍ عَادِي^(٢) .

تَعْرِيفُ المَنْطِقِ :

فَنَ التَّفَكِيرِ أي يُعَلِّمُنَا المَنْطِقَ كَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ نُفَكِّرَ لِكِي نُمَيِّزَ بَيْنَ خَطَأِ الفِكرِ وَصَوَابِهِ^(٣) .

غَايَةُ المَنْطِقِ :

الإبتعاد عن سُوءِ الفَهِمِ ، أو قُلْ : الوُصُولُ إلى الحَقِيقَةِ .
ومن كُلِّ ذَلِكَ يَتَّضِحُ لَنَا أَنَّ المَنْطِقَ لَيْسَ جِزْءًا مِنْ عِلْمٍ ، وَإِنَّمَا هُوَ مُسْتَقِلٌ بِقَوَانِينِهِ وَمَبَادِئِهِ ، بَلْ هُوَ مِيعَارٌ وَمَنْهَجٌ لِكُلِّ العُلُومِ ، تُقَاسُ هِيَ بِهِ ، وَلَا يُقَاسُ هُوَ بِشَيْءٍ مِنْهَا ، وَمِنْ هُنَا تَجِبُ دَرَاستُهُ قَبْلَ الخَوْضِ فِي العُلُومِ حَيْثُ لَا يَسُوغُ دَرَاسَةَ العِلْمِ وَمَنْهَجِهِ فِي آنٍ وَاحِدٍ .

(١) لُقِّبَ بِالْمُعَلِّمِ الأَوَّلِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ وَضَعَ المَنْطِقَ ، وَهُوَ طَبِيبٌ مَشْهُورٌ ، أَخَذَ الحِكْمَةَ مِنْ أَفْلاطونِ اليُونَانِيِّ ، فَاقَ جَمِيعَ تَلَامِذَتِهِ . سَمَّيَتْ مَدْرَسَتَهُ بِالمَدْرَسَةِ المَشَاوِئِيَّةِ لِأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُ وَهُوَ يَمْشِي وَكَتَبَ فِي المَنْطِقِ وَطَبِيعَةِ وَالمِيتافِيزِيقِيَا وَالأَخْلَاقِ وَالشَّعْرِ .

أَنْظُرْ ، عَيُونُ الأَنْبِيَاءِ فِي طَبِيقَاتِ الأَطْبَاءِ - ابنُ أَبِي أُصَيْبَةَ - : ٨٩ ، دَائِرَةُ المَعَارِفِ لِلبُسْتَانِيِّ : ٧٥ / ٣ ، المَوْسُوعَةُ الفِلسَفيَّةُ : ٩٨ / ١ ، دَائِرَةُ مَعَارِفِ القَرْنِ العِشْرِينَ : ١٦٤ / ١ .

(٢) أَنْظُرْ ، الحِكْمَةُ المُنْعَالِيَّةُ فِي الأَسْفَارِ القَلْبِيَّةِ الأَرْبَعَةِ ، لِصَدْرِ الدِّينِ مُحَمَّدِ الشَّيرَازِيِّ : ٤٢٢ / ١ مِنْ السَّفَرِ الرَّابِعِ ، رِسَالَةٌ فِي مَوْضُوعِ عِلْمِ المَنْطِقِ لِحَفِيدِ الشَّهَابِ أَحْمَدِ المَطَّارِ مِنْ أبنَاءِ القَرْنِ الرَّابِعِ عَشَرَ الهِجْرِيِّ .

(٣) أَنْظُرْ ، كَشْفُ الظَّنُونِ ، حَاجِي خَلِيفَةَ : ٧ / ١ .

وعامة الناس في حوارهم وأحاديثهم اليومية وما يدور بينهم من نقاش،
ويشرحون من آراء ومعتقدات - يسرون على مقتضى المنطق وعلمه وقواعده
من حيث لا يشعرون^(١).

المنطق الصوري:

ينقسم المنطق إلى نوعين: صوري وتطبيقي، وتحدث عن التطبيق في الفقرة
التالية، والآن نتكلم عن الصوري، وأيضاً يسمى بالمنطق القديم، وبالتطري،
والأورسطي نسبة إلى واضعه أرسطو. ويقوم الاستدلال والاستنباط في هذا
المنطق على اتساق الفكر وأنسجامه مع نفسه بحيث تكون الفكرة واضحة في
ذاتها والنتيجة مطابقة لمقدماتها شكلاً وظاهراً بغض النظر عن صلاحها بواقع
الحياة ومقوماتها وعن أي شيء من الأشياء الخارجية.
ومن أقيسة هذا المنطق: هذه نار، وكل نار مُحْرِقة، فهذه مُحْرِقة.

والصفات العامة للمنطق الصوري ثلاث:

- ١ - ترتيب النتيجة على المقدمات حتماً وقهراً.
 - ٢ - لا تصدق النتيجة ولا تكذب إلا على افتراض صدق المقدمات أو كذبها.
 - ٣ - ليس في النتيجة معرفة زائدة على مقدماتها.
- وعليه فلا يصح أن يُسمى المنطق الصوري استدلالاً، إذ لا يستنتج من
المعلوم شيء مجهول.

ومن هنا قال كثير من الفلاسفة الجدد: أن قياس المنطق الصوري تحصيل

(١) أنظر، أبجد العلوم القرشي المرقوم في بيان أحوال العلوم لصديق بن حسن القنوجي: ٥٤١/٢ نشر
دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٧٨م، تحقيق: عبد الجبار زكار.

للحاصل ، وتطويل بلا طائل^(١) تماماً كمن «فسر (شبه) الماء بعد الجهد بالماء»^(٢)! . هذا إذا كان القياس صحيحاً كالمثال السابق «هذه نار... إلخ» .
أما إذا كان كاذباً كقياس السفسطائي الذي رأى صورة حصان على حائط فقال : هذا حصان ، وكل حصان صاهل ، فهذا صاهل - فهو تسطير كلام ولقاقة لسان .

ثم أن مباحث المنطق الصوري تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

- ١ - التصورات ، ويبحث فيها الألفاظ ودلالاتها وأنواعها ، والحد والرسم .
- ٢ - التصديقات ، ويبحث فيها القضايا وأنواعها وأحكامها .
- ٣ - القياس ، ويبحث فيه الحجج والبراهين وأنواعها^(٣) .

المنطق التطبيقي :

ولكي يتضح الفرق بين المنطق التطبيقي والصوري نُمهد أولاً بالإشارة إلى أهم الفروق بين الفلسفة القديمة والحديثة على وجه العموم .

(١) قسموا الاستدلال المنطقي إلى ثلاثة أنواع :

الأول : الاستدلال بالكلّي على الجزئي ، وهو الاستنباط .

الثاني : الاستدلال بالجزئي على الكلّي ، ويسمّوه الإستقراء .

الثالث : الاستدلال بالجزئي على الجزئي ، وأطلقوا عليه أسم التمثيلي ، ويُنحصر الحديث هنا

بالمناطق الاستنباطي فقط ، وكلّ الاعتراضات تنصب عليه وحده .

(٢) أنظر ، تاج القروس للزبيدي : ٣٣٧/١١ ، الوافي بالوفيات للصفدي : ١٠٦/٨ و : ١٩٧/٢٢ ،

أضواء البيان للشنقيطي : ١٦١/٧ ، تفسير البحر المحيط ، لمحمد بن يوسف الشهرير بأبي حيان

الأندلسي (ت ٧٤٥هـ) : ٤٢٤/٦ ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، طبعة - بيروت (١٤١٣هـ) ،

طبعة السعادة بصر .

(٣) أنظر ، سير أعلام النبلاء : ٢٤٥/١٧ ، شرح أصول الكافي : ١٦٧/٤ ، عمدة القاري في شرح صحيح

البخاري للعيني : ١١٥/١ ، المواظف في علم الكلام : ٦٤/١ ، التفسير الكبير للفخر الرازي : ٩٣/٢ .

في القديم كانت الفلسفة تتألف من التخمينات حول الأشياء والمشكلات وكفى، ولم يكن الفيلسوف يعتمد على الخبرة والمشاهدة، بل على التفكير المجرد والتأمل الباطني المحض دون أن يستند إلى آله ومختبر حتى إذا ما تخيل الحقيقة فيما يرى، أخرجها للناس كأبعد ما تكون عن الشبهة والنقاش في رأيه. أما الفلسفة الحديثة فإن الفكرة تلتحم فيها بالخبرة والمشاهدة وبالعين والأذن. وبكلمة أن الفلسفة القديمة ذاتية تماماً كالصوف، والفلسفة الحديثة واقعية وعلمية. والسّر لهذا الفرق أن العقل البشري يتطور مع الزمن وتزيد مقدرته، فقد كان صعود الإنسان إلى القمر فوق تصور العقل، وها هو الآن حقيقة ملموسة، ومثله تماماً أن يسمع الإنسان صوت من في القبور، وأن يحدثه من في المغرب وهو في المشرق... إلى غير ذلك مما كان فوق قدرة الإنسان الأول وعقله، وكذلك الإنسان الآن فإنه يرى بعض الأشياء من المستحيلات، ولكنها ستكون عند إنسان المستقبل مألوفة تماماً كالسيارة والطائرة عندنا.

وهذا الفارق الجوهرى بين الفلسفة القديمة والحديثة، هو الحدّ الفاصل بين المنطق الصوري والتطبيقي، ينطلق الأول من نشاط الفكر وتأمله وحده مجرداً عن التطبيق العملي (أي الفكر للفكر) أما الثاني فيعتبر التطبيق العملي جزءاً متمماً لصحة الفكر والتأمل (أي الفكر للعمل) وبهذا يكون المنطق التطبيقي دعوة أو نظرة علمية موضوعية، والمنطق الصوري نظرة ذاتية ودعوة صوفية.

ونختم الكلام بالمثال الآتي زيادة في التوضيح:

لنفترض أن رجلاً آلف قياساً من أفكاره وخياله وقال: رأيتُ هذا الرجل يُحاول الطيران في الفضاء، وكلّ من يُحاول ذلك فهو مجنون، فهذا الرجل مجنون. وما من شك أن هذا القياس سليم ومستقيم في عقول السلف لعجزهم وقصور

عقولهم عن إدراك هذا الطيران وتصور وقوعه لأنه بعيد عن بيئتهم وما ألفوه في حياتهم، ولكن هذا القياس هزيل وعليل في أفهامنا نحن، لأن كل فرد منا رأى الإنسان يطير في الفضاء، بل ويمشي وينتقل فوق القمر.

وبعد فإن الفكر انعكاس عن الواقع وعالم الشؤون اليومية، وثبت بالخبرة والعلم القاطع أن هذا العالم مجرد حوادث تتحول وتتطور بسرعة، وكذلك الفكر ونظرياته، ومعنى هذا أن الفكر من حيث هو ليس بحجة مطلقة وبرهان شامل حتى ولو أنسجمت قضاياه، وتلاءمت النتائج مع المقدمات. وأيضاً معنى هذا أن صحة الفكرة نسبية ومرهونة بتطبيقها العملي على الواقع الذي لا سبيل إلى إنكاره.

حَوْلَ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانَاتِ

لِكُلِّ نَفْسٍ هُدَاهَا:

من العلوم الحديثة علم سلوك الحيوان، وغايته الكشف عن صفاته ونمط حياته وأوجه نشاطه. ومن جملة ما قرأت في هذا الموضوع لعلماء الحيوان وعندهم، أن الكلاب مصابة بعمى الألوان، فلا تميز بين أسود وأبيض، وأن نوعاً من الأسماك يحس بشواربه، وأن الحيوانات تستطيع التفاهم والتخاطب بالأصوات والحركات، والنمل بالتلامس، والنحل بالرقص، وأن للحشرات ثلاثة أنواع من الأغنيات: النوع الأول لجذب الأنثى للذكر، والنوع الثاني للحماس حين التنافس على الأنثى بين ذكزين، والثالث لمجرد المتعة والسلوى. ولكل نوع من الحشرات لغته وأغانيه الخاصة به ولا يفهمها إلا ابن النوع تماماً كاللغة القومية للإنسان^(١).

وأعجب ما قرأت في هذا الباب أن العلماء المتخصصين، راقبوا سنة (١٩٥٥ م) سمكة كبيرة على عمق عشرين قدماً، تتجه نحو شجرة كبيرة من المرجان، تتحصن فيها الأسماك الصغار من الكبار، ثم وقفت السمكة الكبيرة عند الشجرة، وفتحت فاهها الضخم، فأسرت نحوها سمكة صغيرة، ودخلت في فم الكبيرة،

(١) انظر، نهج البلاغة: الخطبة (١٦٥)، شرح نهج البلاغة لمحمد عبده: ١٣٣/٣.

فأقفلت هذه فمها ولكن تركت فيه فتحة صغيرة، وبعد فترة فغرت الكبيرة فمها على سعيته، وخرجت الصغيرة، وتبين للعلماء الملاحظين أن الصغيرة قامت بعملية تنظيف في فم الكبيرة التي كانت قد التهمت شيئاً وعلقت بعض الطفيليات بفمها، وبذلك تخلصت الكبيرة من الأضرار، وأستفادت الصغيرة غذاء من غير احتساب^(١).

وفي الجزء الأول من كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي وغيره من كتب الحيوان - حكايات عن تداوي الحشرات والطيور والحيوانات بالأعشاب وغيرها إذا مرضت... وقبل أن يكتشف ذلك أهل الاختصاص بقرون، أشار إليه سبحانه بقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾^(٢)، وأشار إلى لغة الحشرات بالخصوص: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنَكُمْ﴾^(٣)، وإلى لغة الطيور: ﴿عَلِمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ﴾^(٤). «فقال - أي الهدد - ﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ، وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ﴾^(٥).

عَبْقَرِيَّةُ الْعَقْلِ :

بعد الصفحة التمهيدية نعرض السؤالين التاليين مع الإجابة عنهما:
السؤال الأول: إذا كان للحيوان هذا الإدراك أو هذه الهداية فكيف اعتبر العلماء العقل حداً فاصلاً يفرق بين الحيوان والإنسان، وكان الأنسب والأصوب

(١) مقتطف من مقال مطول بعنوان لغة الحيوان، نشرته مجلة عالم الفكر الكويتية في العدد الثاني من

المجلد السابع.

(٢) الأنعام: ٣٨.

(٣) النمل: ١٨.

(٤) النمل: ١٦.

(٥) النمل: ٢٢. أنظر، كتاب الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي الجزء الأول طبعة مصر.

أَنْ يُفْرَقُوا بِأَنْ هَذَا يَمْشِي عَلَيَّ رَجُلَيْنِ وَذَلِكَ عَلَيَّ أَرْبَعٌ مَثَلًا؟.

الجواب:

المُرَادُ بِالْعَقْلِ الَّذِي خَصَّ بِهِ اللهُ الْإِنْسَانَ وَكَرَّمَهُ بِنِعْمَتِهِ هُوَ الَّذِي يُفَكِّرُ بِهِ عَنِ حُرِّيَّةٍ وَأَخْتِيَارٍ، وَيُمَيِّزُ عَنْ طَرِيقِهِ بَيْنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ وَالهُدَى وَالضَّلَالِ، وَمَنْ أَجْلَهُ شَرَعَ سُبْحَانَهُ الْحَلَالَ وَالْحَرَامَ، وَبِهِ يُحَاسِبُ وَيُثِيبُ وَيُعَاقِبُ، وَأَيْضًا بِهِ أَكْتَشَفَ الْإِنْسَانَ أَسْرَارَ الطَّبِيعَةِ وَأَخْتَرَعَ وَأَبْدَعَ، وَقَفَزَ إِلَى الْقَمَرِ، وَأَنْشَأَ الْحَضَارَاتِ، وَأَتَى بِالْمُعْجَزَاتِ... وَهُنَا يَكْمُنُ السِّرُّ فِي قَوْلِهِ سُبْحَانَهُ مُخَاطَبًا الْعَقْلَ: «مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ»^(١).

وَقَالَ أَدِيبٌ مُعَاصِرٌ: كُلَّمَا أَكْتَشَفَ الْعَقْلُ أَفْقًا بَدَتْ لَهُ آفَاقٌ، وَهَكَذَا دَوَالِيكَ. وَقَالَ آخَرٌ: «إِذَا كَانَ الْكَوْنُ يُحِيطُ بِالْإِنْسَانِ فَإِنَّ فِي دَاخِلِ الْإِنْسَانِ أَعْمَقَ وَأَعْظَمَ مِنَ الْكَوْنِ... وَإِذَا كَانَ فِي الْكَوْنِ شَمْسٌ وَقَمَرٌ وَنُجُومٌ فَإِنَّ فِي الْعَقْلِ الْإِنْسَانِيِّ أَفْكَارًا تَلْمَعُ وَتَبْهَرُ، وَإِذَا كَانَ فِي الْأَكْوَانِ قَوَانِينٌ دَقِيقَةٌ فَإِنَّ الْعَقْلَ أَدَقَّ وَأَرْوَعَ، وَإِذَا كَانَ عُلَمَاءُ الْفَلَكِ يَرُونَ فِي دَقَّتِهِ وَحِكْمَتِهِ دَلِيلًا عَلَى عَظَمَةِ اللهِ فَإِنَّ تَكْوِينَ الْإِنْسَانِ أَكْبَرَ دَلِيلَ عَلَى عَظَمَةِ الْخَالِقِ، وَإِذَا كَانَ النَّظَرُ إِلَى السَّمَاءِ يَجْعَلُ الْإِنْسَانَ يَشْعُرُ بِضَالَّتِهِ فَإِنَّ التَّأَمُّلَ فِي نَفْسِهِ يَجْعَلُهُ يَشْعُرُ بِعَبْقَرِيَّتِهِ»^(٢).

(١) أَنْظِرْ، كَشَفَ الْخَفَاءَ لِلْعَجَلُونِيِّ: ١/٢٦٣ ح ٨٢٣، نَهَجُ الْبَلَاغَةِ لِإِبْنِ أَبِي الْحَدِيدِ: ١٨/١٨٥، الْمَحَاسِنُ لِأَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ خَالِدِ الْبَرَقِيِّ: ١/١٩٢ ح ٨، فَتُوْحُ الشَّامِ لِلْوَاوَدِيِّ: ١/١٧٨، أَعْلَامُ الدِّينِ وَصِفَاتُ الْمُؤْمِنِينَ لِلدِّيلَمِيِّ: ١٧٢.

(٢) وَعَلَى حَدِّ مَا قَالَ الْإِمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام. أَنَّهُ يَسْمَعُ كُلَّ شَيْءٍ وَلَا يَسْمَعُ شَيْءًا... أَنَّهُ الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الْإِمَامُ عَلِيُّ عليه السلام بِقَوْلِهِ:

وَفِيكَ أَنْطَوَى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ

وَتَحَسِبُ أَنَّكَ جَرْمٌ صَغِيرٌ

فأين مكانة الحيوان وهدايته إلى طريقه وحاجته من هذه الفضائل والشمائل؟ أن الحيوان لا يُخطط ويُصمم، ولا يعرف للتفكير وحرّيته ولا للإقناع والإيمان، من معنى، وغاية الأمر أن الله سبحانه أودع فيه قوّة وغريزة تقوده آلياً وتلقائياً إلى ما يضطر إليه في حياته وبقائه تماماً كما خلق جلّ وعلاً الكون وأودع فيه التواميس التي تتحكم به بمشيئته الله تعالى، وتقوده ذاتاً وتكويناً إلى الغاية من وجوده.

الصدفة:

أما السؤال الثاني فهو: لماذا لا نرجع التواميس الموجودة في الكون إلى الإتفاق والمصادفة، كما يقول أصحاب النظرية الميكانيكية؟ فكّم للمصادفات من حسنات^(١)؟

الجواب:

- ١ - ما من أحد يلجأ إلى الصدفة إلا لعجزه وجهله بعلم الحوادث أو لعناده ومكابرته.
- ٢ - أن معنى الصدفة هو وقوع حادث أو حوادث من

« ينسب هذا البيت إلى أمير المؤمنين الإمام عليّ عليه السلام كما في الديوان المرتضوي: ١٤٥، فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٤٦٦/٥، جواهر المطالب في مناقب الإمام عليّ بن أبي طالب لابن الدمشقي: ٦٣٦/٢.

وقول الإمام عليّ عليه السلام و«أن الإنسان في بعض حالاته يُشارك السبع الشداد».

أنظر، شرح رسالة الحقوق للإمام عليّ بن الحسين (زين العابدين) عليه السلام: ٨٤.

(١) أنظر، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيتمي الشافعي: ١١٦/٣، حاشية الدسوقي على الشرح الكبير: ٨٤/٤، حقيقة التوحيد أو التوحيد الحقيقي، لتدبير الزمان سعيد النورسي: ١/١٦٦، دار النشر، دار سوزلر للطباعة سنة (١٩٨٨م) الطبعة الثانية.

غير علّة مُحدّدة ومُطرّدة^(١) مثل أن تلد مِئة حامل مِئة ذَكر لآ أنثى بينهم، أو مِئة أنثى لآ ذَكر بينهم في ساعة واحدة وبلد واحد. ومِثل هذا مُمكن ذاتاً، ولكنّه نادر وقوعاً وقد لآ يقع إطلاقاً. وعلى الفرضين لآ يسوغ بحال أن تُفسّر به مَظهراً واحداً من مَظاهر الأحكام والإبداع، فكيف بتفسير الكون العجيب بقوانينه وأساره؟

- ٣ - إذا وجد هذا الكون من باب الصدفة فلماذا لآ يكون هذا الزعم صادراً عن مدعيه صدفة ومن غير وعي وقصد؟.
- ٤ - إذا سآغ أن يُنسب النظام المعقول إلى الصدفة اللامعقولة يسوغ أيضاً أن يُنسب العلم إلى الجهل والحق إلى الباطل، والعدل إلى الجور. إلى آخر هذه الحماقات.
- ٥ - أن الصدفة لآ تخلو من أحد فرضين: إمّا أن تكون قاعدة مُطرّدة يُفسّر بها كلّ حادث وحادثة. وهذا خلاف الفرض، ثانياً لآ قائل بذلك، وأمّا أن يُفسّر بها وجود حادثة دون حادثة، ومعنى هذا أنّها ليست بقاعدة، وبالتالي فما هي من العلم في شيء.

- ٦ - يسير الكون على قوانين كاملة ومُطرّدة، ولولآها لم يكن لحي فيه مقرّ ولا ممرّ، ولم يلتئم وينسجم شيء مع شيء

(١) الصدفة على قسمين: مُطلقة ونسبية، والأولى مُستحيلة عقلاً بناءً على المنطق القائل: لكلّ حادث سبب والممكن ما يجب لم يوجد. والثانية مُستحيلة وقوعاً لآ عقلاً، ومقال المِئة الحامل من نوع الصدفة النسبية. وأخترناه لوضوحه.

على الإطلاق... مضافاً إلى أن مبدأ العلية ترتكز عليه جميع العلوم، ولا يمكن بحال أن تكون أية حادثة موضوعاً لأي علم إلا بعد التسليم بحتمية العلاقة بين العلة والمعلول، والنتيجة والمقدمات. وما من شك أن خضوع الكون لقوانينه والمعلول لعلته يبطل القول بالعشوائية والمصادفة.

صِدْقُ الْقَضِيَّةِ بِالْبَدِيَّةِ أَوْ التَّجْرِبَةِ

الْقَبْلِيَّةُ وَالْبُعْدِيَّةُ :

قَسَمَ عَدَدٌ مِنَ الْفَلَّاسِفَةِ الْمَعْرِفَةَ إِلَى قَبْلِيَّةٍ وَبُعْدِيَّةٍ، وَأَرَادُوا بِالْقَبْلِيَّةِ الْمَعْرِفَةَ الْبَدِيَّةَ الَّتِي هِيَ مِنْ عَمَلِ الْعَقْلِ وَحَدَهُ مُسْتَقْلَالاً عَنِ التَّجْرِبَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ كَالْعِلْمِ بِأَنَّ الْكُلَّ أَكْبَرَ مِنَ الْجُزْءِ، أَمَّا الْمَعْرِفَةُ الْبُعْدِيَّةُ فَتَأْتِي بَعْدَ التَّجْرِبَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ كَالْعِلْمِ بِمُحْتَوَى هَذَا الْكِتَابِ وَمَضْمُونِهِ .

وَبِكَلِمَةٍ أَنَّ الْعِلْمَ الْقَبْلِيَّ فِي الْإِنْسَانِ فِطْرَةٌ وَغَرِيزَةٌ أَشْبَهَ بِإِدْخَارِ النَّمْلِ وَإِنْتِاجِ النَّحْلِ لِلْعَسَلِ، أَمَّا الْعِلْمُ الْبُعْدِيُّ فَالْمَعْرِفَةُ مِنَ الْخَارِجِ . وَبَعْضُ الْفَلَّاسِفَةِ أَنْكَرَ الْقَبْلِيَّ مِنَ الْأَسَاسِ^(١) .

الْقَضِيَّةُ تَحْلِيلِيَّةٌ وَتَرْكِيبِيَّةٌ :

وَأَيْضاً تُسَمَّى الْقَضِيَّةُ الْقَبْلِيَّةُ تَحْلِيلِيَّةً، لِأَنَّ الْمَحْمُولَ - كَمَا هُوَ الْفَرَضُ - ثَابِتٌ بِالذَّاتِ لِلْمَحْمُولِ عَلَيْهِ، وَلَا يَنْفَكُ عَنْهُ بِحَالٍ، وَلِذَا إِذَا جَزَّأَتِ الْقَضِيَّةُ، وَذَكَرْتَ الْمَوْضُوعَ دُونَ الْمَحْمُولِ أَوْ الْمَحْمُولَ دُونَ الْمَوْضُوعِ - دَلَّ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ

(١) أَنْظِرْ، الْحِكْمَةَ الْمُتَعَالِمَةَ فِي الْأَسْفَارِ الثَّقَلِيَّةِ الْأَرْبَعَةِ، لِمُحَمَّدِ الشَّيْرَازِيِّ: ١/٣٧٨ مِنْ السُّفَرِ الرَّابِعِ، إِعَانَةَ الطَّلَبِينَ لِبَكْرِيِّ الدِّمِياطِيِّ: ١/١٥٠، شَرْحُ الْمَقَاصِدِ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ لِلتَّفْتَازَانِيِّ:

فكلمة أرملة تعني امرأة مات زوجها، وكلمة امرأة مات زوجها تعني الأرملة. وتسمى القضية البعدية تركيبية، لأن المحمول غير ثابت بالذات للموضوع، ولا نعرف أنه من صفاته إلا بعد التركيب ومراجعة الواقع مثل هذا الكتاب مفيد أو غير مفيد.

لأبديهة عند الماديين:

وقال الماديون: لا حقيقة إطلاقاً إلا في الأرض ومن الأرض، وكل ما يدور في الرأس والعقل فهو أوهام وأحلام تماماً كتخييل جبل من ذهب ونهر من عسل إلا أن يكون مستفاداً من حسّ ومُشاهدة.

أما ما يسمونه بالمُعطيات العقلية الفطرية فهو من مُعطيات المُشاهدة الخارجيّة دون العقل... وما يقول القائل العاقل: $(1 + 1 = 2)$ والطريق المُستقيم أقرب مسافة من غير المُستقيم، والخمسة أكبر من الأربعة - إلا بعد أن يرى ويُشاهد ذلك في الخارج بكلّ وضوح، ومعنى هذا أن لا معرفة قبلية ولا حقيقة مُسبقة.

الجواب:

أن كلّ الناس يُدركون بفطرتهم تحريم القتل من غير حقّ، وشهادة الزور، وأنّ الحرّية حقّ طبيعي لكلّ فرد... إلى غير ذلك ممّا لا صلة له بالحسّ والمُشاهدة من قريب أو بعيد. وأيضاً كلنا يعلم ويؤمن آلياً وتلقائياً بأنّ هذا الشيء المعين هو هو بذاته لا غيره وإلاّ يستحيل أن نعلم بوجود شيء على الإطلاق... ويسمى هذا المبدأ بقانون الذاتية، ولا يُنكره عاقل على وجه الأرض.

وإنّ قال قائل: أجل، لا أحد يشك في أنّ الشيء المعين هو هو، ولكن هذا القانون أو هذا القول لا جدوى من وزائه، لأنّه تحصيل حاصل تماماً كقول القائل: الماء هو الماء. ومثله لا يُبحث في العلم وأبوابه، وهل من عاقل يطلب

العِلْمُ بِالْمَعْلُومِ؟

قلنا في جوابه: «أن أكثر الواضحات أو الكثير منها تحصيل حاصل أو به أشبهه، ومع هذا هي مألوفة عند العرف لسبب أو لآخر، أما العلماء فلا يذكرونها ويبحثونها في دروسهم وأسفارهم كجزء أو فصل من العلم، بل يتخذون منها عاماً يتوصلون به إلى المعرفة. وفرق كبير بين العلم والمنهج المتبع في دراسته. ومن أخص خصائص المنهج أن يكون واضحاً كتحصيل الحاصل. حتى التجربة تعتمد على قضية مسبقة، وتنطلق من هذا المبدأ القبلي القائل: «أن القضايا التجريبية لا تمت إلى الصدفة بسبب» حيث لا إرتباط وعلاقة بين الصدفة وبين وجود الحادث كما هو الفرض.

وأخيراً لولا القضايا القبلية والمعطيات المباشرة لأنسد باب العلم بأصل الوجود فضلاً عن العلم بالقيم والحقائق.

القضية التحليلية إخبارية:

وتسأل: هل توصف القضية التحليلية بأنها إخبارية مع العلم بأن صدقها ضروري؟

الجواب:

أجل، لأنها حكاية عن الواقع، وليست مجرد إنشاء، فقولنا: $(٢ = ١ + ١)$ كقولنا: التحاس يوصل الكهرباء، والفرق أن القضية الأولى ضرورية لا تفتقر إلى تجربة وإمتحان على العكس من الثانية، قال الفيلسوف الألماني كانت:

«القضايا الرياضية ذات مضمون خبري تماماً كالقضايا الطبيعية مع العلم بأن الأولى لا تستدعي مراجعة الواقع الخارجي. ومعنى ذلك أن القضية التحليلية هي

قَبْلِيَّةٌ وَخَبْرِيَّةٌ فِي أَنْ وَاحِدٍ، وَلَا تَنَاقُضٌ بَيْنَ الْوَجْهَيْنِ»^(١).
 وَالْخُلَاصَةُ: أَنَّ الشَّرْطَ الْأَسَاسَ لِلْقَضِيَّةِ الْخَبْرِيَّةِ أَنْ تَكُونَ حِكَايَةً عَنْ شَيْءٍ
 وَاقَعَ سِوَاهُ أَكَانَتْ الْقَضِيَّةُ ضَرُورِيَّةَ الصِّدْقِ أَمْ لَمْ تَكُنْ، أَمَّا تَعْرِيفُ مَنْ عَرَّفَ الْخَبْرَ
 بِأَنَّهُ يَحْتَمِلُ الصِّدْقَ وَالْكَذِبَ فَهُوَ تَعْرِيفٌ بِالرَّسْمِ لِأَنَّ الْبَالِحَ، وَالْفَرْقَ بَيْنَهُمَا أَنَّ الْبَالِحَ
 تَعْرِيفٌ لِنَفْسِ الْمَحْدُودِ بِهَوِيَّتِهِ الشَّامِلَةَ لِجَمِيعِ أَفْرَادِهِ بِحَيْثُ يَدُورُ الْبَالِحُ مَدَارَ
 الْمَحْدُودِ وَجُوداً وَعَدَمًا، وَهَذَا مُتَعَدِّرٌ أَوْ مُتَعَسِّرٌ، أَمَّا التَّعْرِيفُ بِالرَّسْمِ فَهُوَ عِبَارَةٌ
 عَنْ ذِكْرِ الشَّيْءِ بِصِفَةٍ مِنْ صِفَاتِهِ كَقَوْلِكَ: هَذَا الْكِتَابُ أَلْفُهُ فُلَانٌ أَوْ نَشْرَتَهُ الدَّارُ
 الْفُلَانِيَّةُ.

(١) تَقْلَأُ مِنْ كِتَابِ نَحْوِ فِلْسَفَةِ عِلْمِيَّةٍ لِلدَّكْتُورِ زَكِيِّ نَجِيبٍ.

حَوْلَ الْجَمَالِ

العلم كُلي وجُزئي :

يُوصف العلم على أساس موضوعه بالكُلي والجزئي ، والمُراد بالجزئي أن يكون موضوعه أخص من موضوع العلم الذي يشملُه ، كعلم الإقتصاد بالنسبة إلى علم الاجتماع ، فإنه يشمل أيضاً التشريع والسياسة ، وكعلم الطب بالنسبة إلى العلم الطبيعي . وبهذا يتضح معنى المُراد من العلم الكُلي .

قيل للإمام أمير المؤمنين عليه السلام : صِفْ لَنَا العَاقِلَ ؟ .

فَقَالَ عليه السلام : « هُوَ الَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعُهُ .

فَقِيلَ : فَصِفْ لَنَا الجَاهِلَ ، فَقَالَ : قَدْ فَعَلْتُ » ^(١) .

وعلم الجمال من العلوم الجزئية ، لأن موضوعه خاص ، وكثير من الفلاسفة تحدثوا عنه ككتاب من أبواب الفلسفة ومسائلها ، وبعضهم وضع فيه كتباً خاصة . وعلم الجمال قاعدي معياري ، نسبة إلى المعيار والقاعدة حيث يُقاس بقواعده الحكم على الإنتاج الفني . والعلوم المعيارية ثلاثة :

الأول : علم الجمال ، والثاني والثالث المنطق والأخلاق ، والقاسم المشترك

(١) أنظر ، نهج البلاغة : الحكمة (٢٣٤) .

بين الثلاثة هو الإنشاء (أي أفعال هذا، وأترك ذلك)^(١).

كلمة الجمال:

كلمة الجمال عامة وغامضة، يُفسرها كل بما يراه ويهواه، ومن هنا قال بعض الفلاسفة: أن الجمال فكرة غير قابلة للتعريف. وقال (اناتول فرانس): أعتقد أننا لن نعرف بالضبط أبداً لم كان الشيء جميلاً^(٢).

أجل، أن تعريف الجمال تعريفاً يعم ويشمل جميع أنواعه ليس بالأمر السهل، وأقصى ما يمكن أن يقال: أن الجمال يتصف به الشكل والمحتوى والفكر والمادة، وأن كل قلب يلبيء نداء الجميل. ولكن إذا سأل سائل: لماذا يكون الجميل - على وجه العموم والشمول - جميلاً؟

أغلق دونه باب الإجابة التي يمكن قبولها والركون إليها، أما إذا سأل: لماذا كان هذا الشيء الخاص المعين جميلاً، فتَهون الإجابة بوسيلة أو بأخرى. ومعنى هذا أن جمال الكائنات الجزئية يمكن تعريفه، أما تعريف الماهية الجميلة التي توجد بوجود كل جميل من أي نوع كان، وتنتفي بانتفائه - فمتعذر أو متعسر.

أين الجمال:

أختلف الفلاسفة في الجمال: هل هو شيء موجود، له عين وأثر خارج الإنسان ومشاعره، أو أن الجمال مجرد شعور ذاتي في أعماق الإنسان نحو الشيء الذي يرغب فيه لآلحسنة وجماله الطبيعي. وبكلام ثان: هل الجمال من

(١) أنظر، المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى، وأحمد الزيات، وحامد عبدالقادر، ومحمد النجار: ١/١٣٦.

نشر دار الدعوة، تحقيق: مجمع اللغة العربية، أصول البحث للدكتور عبد الهادي الفضلي: ١٨.

(٢) أنظر، فلسفة وشخصيت اناتول فرانس.

عَالَمِ الْحَقِّ وَالْوَاقِعِ ، أَوْ مِنْ عَالَمِ الْوَهْمِ وَالْإِنْفِعَالَاتِ النَّفْسِيَّةِ ؟ .
 ذَهَبَ الْمَادِّيُونَ إِلَى الرَّأْيِ الثَّانِي وَقَالُوا : أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَرَى الشَّيْءَ جَمِيلاً إِلَّا
 لِرَغْبَةٍ فِيهِ أَصِيلَةٌ تَمَاماً كَالطَّعَامِ فِي نَظَرِ الْجَائِعِ ، وَالْمَرَأَةَ فِي عَيْنِ الْمُشْتَهِي ! .
 وَنَحْنُ مَعَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْفِكْرِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْجَمَالَ مَوْضُوعِي وَطَبِيعِي ، يَكْمُنُ فِي
 الشَّيْءِ حَقّاً وَوَاقِعاً تَمَاماً كَرِائِحَةِ الْمِسْكِ فِي الْمِسْكِ ، وَحَلَاوَةِ الْعَسَلِ فِي الْعَسَلِ .
 وَشَاهَدْنَا عَلَيَّ ذَلِكَ :

١ - يَعْتَقِدُ الْمَادِّيُونَ أَنَّ الشُّعُورَ بِأَيِّ شَيْءٍ إِنَّمَا هُوَ أَنْعَكَاسٌ
 عَنِ الْوَاقِعِ الْمَوْضُوعِيِّ . وَعَلَى مَبْدئِهِمْ هَذَا يَكُونُ الشُّعُورُ
 بِالْجَمَالِ تَعْبِيراً عَنِ الْجَمَالِ الْمَوْجُودِ فِعْلاً فِي الْخَارِجِ ،
 وَمَلَأْذاً لَهُ ، وَلَا يَنْفَكُ عَنْهُ بِحَالٍ حَيْثُ لَا فَرْعَ بِلَا أَصْلٍ ، وَمَعَ
 ذَلِكَ يُنْكَرُ الْمَادِّيُونَ أَصْلَ الْجَمَالِ ، وَيَعْتَرِفُونَ بِوُجُودِ
 فَرْعِهِ (أَيِ الشُّعُورِ بِالْجَمَالِ) وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُمْ يَنْقُضُونَ مَا
 أُبْرِمُوا ، وَيُبرِمُونَ مَا نَقَضُوا ، وَيُجْمَعُونَ بَيْنَ مُتْرَقِينَ ، وَيُفْرَقُونَ
 بَيْنَ مُجْتَمِعِينَ مِنْ حَيْثُ يَشْعُرُونَ أَوْ لَا يَشْعُرُونَ .

٢ - أَنَّ الْفَنَّ يَتَّصِفُ بِالْحُسْنِ وَالْجَمَالِ حَقِيقَةً لَا مَجَازاً
 : بِاتِّفَاقِ الْأَطْرَافِ وَالْفِئَاتِ ، بَلِ الْجَمَالُ هُوَ الْفَنُّ بِالذَّاتِ ، وَعَلَيْهِ
 يَكُونُ إِنْكَارُ الْجَمَالِ إِنْكَاراً لِلْفَنِّ مِنَ الْأَسَاسِ .

٣ - وَضَعُ النَّاسِ فِي الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ أُلُوفَ الْأَسْفَارِ
 وَالْمُؤَلَّفَاتِ فِي الْفَنِّ وَالْأَسْمَاءِ اللَّامِعَةِ فِي مَيْدَانِهِ ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ
 لِلْجَمَالِ مِنْ وَاقِعٍ لِإِخْتِفَتِ الْفَوَارِقِ بَيْنَ جَمِيلٍ وَقَبِيحٍ ، وَلَمْ
 يَكُنْ لِلْفَنِّ مِنْ تَأْرِيخٍ ، بَلِ وَلَا لِلْإِنْسَانِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ جَمْعَاءُ !

وأبي عاقل تستوي في إداركه الفصاحة والإبهام، والعبرية
والبلاهة؟.

٤ - كانت المرأة ولا تزال مصدراً من أغنى مصادر
الوحي للشعراء والأدباء ولأهل الفن من كل نوع. وأخيراً
أصبح للجمال ملكة تشهد بأن وجود الجمال أبين وأوضح
من وجود القمر حيث يتجسد في المرأة أولاً، ثم في القمر،
ثم في أي شيء.

طاغور والجمال:

كل طاغور شاعراً وكاتباً ورساماً وملحناً، وقد أعتزف العالم كله بتفوقه
وعظمته، ومذهبه في الفلسفة يعرفه المثقفون، ويقوم على أساس أن «الموجود
الأسمي» قد حلّ في الإنسان، ومن أجل هذا يجب تقديس الإنسان الفرد من أي
نوع كان.

وتحدث طاغور عن الفن والجمال، ومن جملة ما قال: الفقيه يفسر
التصوص، ويستخرج منها الأوامر والنواهي، والفيلسوف يضع مذهباً عقلياً
يهتدي به إلى الحقائق، والعالم يكتشف قوانين الطبيعة، أما الفنان فإنه يكتشف
عن الجمال الكامن في الكون، ويملك القدرة على التعبير عنها.

وقوله: «الجمال الكامن في الكون» واضح الدلالة على أن الجمال عنصر
موضوعي لا شعوري، وأوضح من ذلك وأبين قوله: الإنسان لا يتذوق الجمال
ويدركه على حقيقته إلا أن يتجرد عن إنفعاله الشخصي ومصالحته الذاتية،
وينصرف بكله إلى الواقع، لأنّ للجمال مادة وأصلاً وقواعد، أما هدف الفن

والجمال فهو تحقيق سعادة الإنسان وكمال^(١) يُشير بهذه الجملة الأخيرة إلى فلسفته ومذهبه القائل: «كلّ شيءٍ لخير الإنسان».

الحيوان وحاسة الجمال :

ونضيف إلى الأدلة السابقة على واقعية الجمال: أن المهتمين بدراسة الحيوان لاحظوا أن بعض الحيوانات تُؤذيها التغمّة الناشئة من ألحان الموسيقى، وأن النمر إذا هاج يهدأ ويرتاح لصوت الكمان، وأن بعض أناث الخيل تطلب الحصان حين تسمع الألحان، وأن اللقلق والغراب وغيرهما من الطيور تسرق الأشياء اللامعة كالخلي والفضّة وتخفيها^(٢).

ومنذ سنوات قرأت في الصحف المصرية أن أفعى خرجت من جحرها لتستمع إلى أم كلثوم في إحدى حفلاتها الغنائية، ولما أنتهى الغناء عادت إلى مكانها. وفي الآية: «وَسَخَّرْنَا مَعَ نَادِرٍ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ»^(٣).

فبأي شيء نفسر هذه الظواهر الغريبة إذا لم تكن تجاوباً مع الجمال؟ فهل حدث ذلك صدفة وبلا سبب موجب؟ ولماذا لم يحدث إلا في هذه الحال؟. وأخيراً كما دلّت هذه الإستجابة من الحيوان على واقعية الجمال، فأيضاً تدل على أن مبدأ العلية (أي لكلّ حادث سبب)^(٤) حق لا ريب فيه.

(١) ما ذكرناه من أقوال طاغور نقلناه من مقال مطول بعنوان طاغور الفنان، نشرته مجلّة عالم الفكر الكويتية في العدد الأول من المجلد الثامن.

(٢) أنظر، كتاب مباحج الفلسفة لـ «ول ديورانت» ترجمة إبراهيم مذكور طبعة (١٩٥٧م): ٢٨٦/١.

(٣) الأنبياء: ٧٩.

(٤) أنظر، تفسير روح المعاني للألوسي: ٧٦/٢٧، ذرء تعارض العقل والنقل لتقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، دار النشر الكتب العلمية بيروت ١٤١٧ هـ، تحقيق:

عبد اللطيف عبد الرحمن: ١٤٨/٩.

فلسفة الدين

كلمة الدين :

الدين في اللغة: العادة^(١)، والإصطلاح: الاعتقاد بقيم يُقدّسها المُتدين، ويُقابله الزنديق والمنافق حيث يبطن الكُفر، ويُظهر الإيمان^(٢).
وتشمل كلمة الدين بعمومها أديان أهل الأرض بكاملها، وهي على نوعين متضادين من حيث المصدر: أديان إلهية سماوية تتلقى الوحي من الله بواسطة رُسله، وأديان وضعيّة أرضيّة تقوم على أفكار الأفراد وميولهم.
والمعروف أنّ الأديان السماويّة ثلاث: الإسلام، والنصرانيّة، واليهوديّة. وقد يُضاف إليها ديانة رابعة، وهي الصابئة حيث جُمع سبحانه بين الديانات الأربع في آية واحدة، وهي: «إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّةَ»^(٣).
وعن الراغب الإصفهاني وغيره أنّ الصابىء هو الذي يخرج من دين إلى آخر، وأنّ الصابئيّة كانوا على دين نوح فتركوه إلى سواه، فأرسل الله سبحانه إليهم إبراهيم الخليل عليه السلام. ومن هنا جاءت التسميّة^(٤).

(١) أنظر، مختار الصحاح لمُحمَّد بن عبدالقادر: ٩١/١.

(٢) أنظر، التفسير الكبير للفخر الرازي: ٢٢٢/٧.

(٣) البقرة: ٢٨٦.

(٤) أنظر، النهاية في غريب الحديث: ٣/٣، لسان العرب لابن منظور: ١٠٨/١، تاج العروس

الدين بين العلم والفلسفة :

للدين علم وفلسفة، وتُطلق على الأول كلمة علم الدين وعلم الربوبية أو الألوهية أو اللاهوت، والكلمة الأخيرة تختص بالتصاري كما قيل، ولكن رأيتُ بعض فلاسفة اليهود يستعملون في كتبهم كلمة «اللاهوت». والمهم أن المراد من هذه الكلمات هو عين ما أراه المفكرون المسلمون من علم الكلام أو التوحيد. ويبحث هذا العلم في أصول العقيدة كوجود الله سبحانه وصفاته وأفعاله، وما يجوز في حقه أو يستحيل، وفي النبوة والمعجزة والعصمة، وفي البعث والحساب والجزاء، كل ذلك على أساس حكم العقل ومنطقه.

أما فلسفة الدين فهي جزء لا يتجزأ من الفلسفة العامة، ومهمتها أن تكشف عن جوهر الدين ومقاصده وفوائده بعد التسليم به، وأنه ما نزل من السماء إلا لإقامة العدل، والحث على عمارة الأرض، والتعاون على حياة وادعة آمنة.

وبكلمة ثانية أن الفرق بين الفلسفة الدين وعلمه هو أن هذا العلم يذكر البراهين العقلية^(١) على أن الدين حق لا ريب فيه، أما فلسفة الدين فتكشف عن العلة والحكمة من الحقيقة التي يقرها الدين. ولا يخفى أن هذا تفلسف لا فلسفة. ولا مشاحة في الإصطلاح والتسمية.

ونعرض في هذا الفصل أو هذا الموجز، الحكمة من بعض المبادئ الإسلامية، عسى أن ينتفع القارئ بذلك، ويكون عوناً له على أن يفهم الإسلام ويعرفه كما يجب أن يفهم ويعرف.

﴿ للزبيدي: ١٩١/١، معجم ألفاظ الفقه الجعفري للدكتور أحمد فتح الله: ٢٥٦.﴾

(١) يصدق هذا على دين الإسلام، أما رجال الكنيسة فقد صرح الكثير منهم أن الدين فوق العقل والعلم، والشاهد مذاهب المنتمين إلى المسيحية في القرن السادس والسابع عشر.

التوحيد:

التوحيد هو أصل الأصول والدستور لدين الإسلام، ومعناه في جَوهره: لا رَأَسَمَالِيَّة، ولا شِيوعِيَّة، ولا وجودِيَّة، ولا برجماتيَّة، ولا أحد مُمتاز له حَقُوق مُقدَّسة، وآخر محروم، فالكلّ على مُستوى واحد في الحَقُوق والوَاجِبَات، ولا فَضْل إلا بالتقوى بمعناها الشامل لصلاح الباطن والظاهر.

ولابدّ من الإشارة إلى أن عقيدة التوحيد ليست بشيء عند الله إلا إذا دفعت إلى العمل الصالح النافع. جاء في كتاب أصول الكافي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: «الإيمان عمل كُله»^(١). وفي رواية أخرى: «الإيمان عمل كُله، والقول بعض ذلك العمل»^(٢). وفي رواية ثالثة: «الإيمان عمل كُله، ولا إيمان بلا عمل»^(٣).
ومن هنا قرن سبحانه الإيمان بالعمل الصالح في العديد من الآيات:

منها: قال سبحانه وتعالى: «الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحَسُنَ مَا أَكْرَمَهُ»^(٤).

ومنها: قال سبحانه وتعالى: «الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ»^(٥).

(١) أنظر، الكافي: ٣٤/٢ ح ١، دعائم الإسلام: ٤/١، وسائل الشيعة: ١١/١٢٤ ح ١. العمل أثير للإيمان، ومُسبب عنه، فإطلاق العمل عليه فيه ضرب من التجوز، ولست أتصور بحال أن من لا يعمل يكون مؤمناً، وإن خيّل إليه، وإلى الفقهاء بأنه مؤمن متهاون.

(٢) أنظر، الكافي: ٣٤/٢ ح ١ و٧، دعائم الإسلام: ٤/١، وسائل الشيعة: ١١/١٢٤ ح ١.

(٣) أنظر، الكافي: ٣٤/٢ ح ١ و٧، دعائم الإسلام: ٤/١، وسائل الشيعة: ١١/١٢٤ ح ١، مجمع الروايات: ٣٥/١، الجامع الصغير: ٧٥٨/٢ ح ٩٩٨٠، كنز العمال: ٦٨/١ ح ٢٦٠، فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٥٨٦/٦ ح ٩٩٨٠.

(٤) الرعد: ٢٩.

(٥) يونس: ٦٤.

النبوة:

الأصل الثاني لعقيدة الإسلام النبوة، وهي السبيل الوحيد للمعرفة اليقينية بدين الله وشريعته. ومن أخص خصائص النبي ﷺ الكمال جسماً وعقلاً وخلقاً، وأوضح برهان على ثبوت النبوة لمُدّعياها أن تظهر على يده حادثة لا يمكن تعليلها وردها إلى أية قاعدة أو أي سبب من أسباب الطبيعة وقواعدها، وبهذا تقوم الحجة الكافية على من جحد وعاند.

وبهذه المناسبة نُشير إلى أن علماء الطبيعة فرّقوا بين القانون العقلي والقانون الطبيعي، وقالوا: القانون العقلي يطرد حتماً، ولا يمكن خرقه ونقضه بحال في عالم الجواز والإمكان وبالأولى في عالم التطبيق والوقوع، مثل نصف الأربعة أثنان حيث يستحيل عقلاً أن يكون النصف هنا دون ذلك أو يزيد.

أما القانون الطبيعي فلا ضرورة منطقية تُحتم أطراده على كل حال، بل يمكن خرقه ونقضه بحكم العقل، غاية ما في الأمر أن هذا النقص لم يحدث. ومن أمثله: الحديد يتمدد بالحرارة، والصبي لا يتكلم ساعة ولادته، والعصا لا تتحول إلى حية تسعى، والميت لا يعود إلى الحياة مرة أخرى، والماء لا يقف كالجبال من غير سدّ وحاجز.

كل ذلك وما شابه صحيح بحكم العادة وفي عالم الوقوع والتطبيق، ولكن وقوعه غير مُستحيل عقلاً، وأطراده ليس بواجب تكوينياً. وكثيراً ما يحدث الخلط والإشتباه بين القانون العقلي والقانون الطبيعي، فيعدون المعجزات في التواميس الطبيعية والخوارق فيها من نوع القانون العقلي، وما هي منه في شيء، بل هي من صلب القانون الطبيعي الذي يجوز نقضه، ولا يجب أطراده بحكم العقل وبديهته المنطق. وعلى أساس هذا الخلط والخطأ من أنكر المعجزات على

أيدي الأنبياء، قاصر أو مكابر.

العصمة:

وتَجِبُ العِصْمَةُ لِكُلِّ نَبِيِّ فِيمَا يُبَلِّغُ عَنِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِالْأَدْلَةِ التَّالِيَةِ:

١ - أن الوحي معصوم... والخطأ في تبليغه يُخرجه عن العِصْمَةِ إِلَى التَّحْرِيفِ تَمَامًا كَمَا يَتْلُو آيَةٌ مِنَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهَا.

٢ - أن الأحكام الوضعية تصدر عن بشر أمثالنا، وعليه يُمكن العِلْمُ بِهَا مُبَاشَرَةً أَوْ عَنِ طَرِيقِ التَّوَاتُرِ أَوْ شَهَادَةِ الثَّقَاتِ، أَمَّا الْأَحْكَامُ الْإِلَهِيَّةُ فَتَسْتَبِثُ عِنْدَ النَّبِيِّ بِالْحَسِّ وَالْيَقِينِ، وَلَا تَتَبَثُ عِنْدَنَا بِأَيَّةِ وَسِيلَةٍ عَلَى الْإِطْلَاقِ إِلَّا بِمَبْدَأِ العِصْمَةِ بِحَيْثُ يَكُونُ النَّبِيُّ لِسَانَ اللَّهِ وَبَيَانَهُ.

٣ - وهذا الدليل خاصٌّ بِنَبُوَّةِ مُحَمَّدٍ وَعِصْمَتِهِ ﷺ وَخُلَاصَتُهُ: أَنَّ شَرِيعَةَ الْقُرْآنِ، تَصْلُحُ لِكُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ لِأَنَّهَا تَهْدِي إِلَى الْخَيْرِ الْأَقْصَى لِكُلِّ فَرْدٍ وَمِنْ كُلِّ جِهَةٍ، وَقَدْ شَهِدَ بِفَضْلِهَا وَسَبَقَهَا مُفَكِّرُونَ مُنْصَفُونَ فِي الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ، وَنَقَلَتْ الْعَدِيدُ مِنْ أَقْوَالِهِمْ فِي (كِتَابِ النَّبُوَّةِ وَالْعَقْلِ، وَكِتَابِ فِلْسَفَةِ التَّوْحِيدِ وَالْوَلَايَةِ، وَالتَّفْسِيرِ الْكَاشِفِ) وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا كَتَبْتُ وَأَلَفْتُ.

وآخر ما قرأتُ في هذا الموضوع مقالٌ مطولٌ بعنوان علوم العرب القديمة، وفيه يقول الكاتب ما معناه:

(صدر كتاب أسمة تراث الإسلام، عن جامعة أكسفورد بإشراف توماس)

آرنولد، والفرد غليوم، ومن جملة ما جاء فيه: «أن الشريعة الإسلامية تحتوي على مبدأ المعاونة المشتركة التي تعني المساواة بين الجميع، وعلى أصل الإباحة الذي خفف من القيود القانونية التي عرفتھا اليهودية والمسيحية. كما شجعت هذه الشريعة النشاطات العلمية في مجال الزراعة، والصناعة، والتجارة، ومنعت الاستغلال، وحثت الإنسان أن يعيش من عمله، وحرمت التبذير، وتبديد الثروة، وأعتبرت المصلحة العامة هي الأساس، ومن هنا كانت عامة ومرنة... وفرقت بين حق الله وحق الناس، وهو ما يعرف في الغرب بالقانون العام والقانون الخاص. وهكذا أرتفع مستوى الأخلاق في القانون الإسلامي، وكان له أبلغ الأثر على التشريعات الأوروبية الحديثة من غير شك»^(١).

وهذا إقرار صريح من علماء الغرب أنفسهم بأن القوانين الغربية مدينة للشريعة الإسلامية. فمن أين جاءت عظمة هذا التشريع لمحمد؟ من فهمه ووعيه أم من إنطباعاته الإجتماعية والثقافية؟ كلاً، كل ذلك مستحيل أن يحدث لو لم يكن محمد نبياً يتلقى الوحي من رب العالمين.

البعث:

من يكفر بالبعث والجزاء بعد الموت فهو سفيه ومراهن مخاطر، لأنه لا يخلو من أحدٍ فرضين وليس هناك فرض ثالث:

أما أن لا يربح شيئاً على الإطلاق، وذلك إن لم تكن هناك آخرة وحساب، وأما أن يخسر كل شيء، ويعذب عذاباً مهيناً إن كان هناك بعث وحساب.

أما من يؤمن باليوم الآخر وجزائه فهو مراهن عاقل وآمن، ينظر لنفسه،

(١) أنظر، مجلة عالم الفكر الكويتية في العدد الأول من المجلد الثامن.

وَيَبْتَعِدُ عَن مَّظَانِ الْهَلَكَةِ وَشَرِّ الْعَوَاقِبِ، لِأَنَّهُ لَا يَخْسِرُ شَيْئًا إِنْ لَمْ يَكُنْ شَيْءًا،
وَيَرْبِحُ كُلَّ شَيْءٍ إِنْ يَكُنْ نَشْرًا وَثَوَابًا.

وَيُرَوَّى أَنَّ السَّيِّدَ جَمَالَ الدِّينِ الْأَفْغَانِيَّ أَبْحَرَ فِي سَفَرِهِ إِلَى بَعْضِ الْبِلَادِ، فَهَبَّتْ
رِيحٌ عَاصِفٌ، فَرَغِبَ إِلَيْهِ الْمُسَافِرُونَ أَنْ يَكْتُبَ وَرَقَةً وَيُلْقِيهَا فِي الْبَحْرِ عَسَى أَنْ
يَسْكُنَ الْمَوْجَ وَيَهْدَأَ، فَاسْتَجَابَ بِلَا تَرَدُّدٍ، وَلَمَّا سُئِلَ عَن ذَلِكَ قَالَ: إِنْ غَرَقَتْ
السَّفِينَةُ بَعَنَ فِيهَا لَمْ أَحْسِرْ شَيْئًا حَيْثُ لَا يَبْقَى مَن يُخْبِرُ النَّاسَ بِمَا فَعَلْتُ، وَإِنْ
سَلِمَتْ وَنَجَتْ قَالَ الْمُسَافِرُونَ: نَجَوْنَا بِبِرَّةِ الْأَفْغَانِيِّ، وَهَذِهِ صَفْقَةٌ رَابِعَةٌ^(١). هَذَا
إِلَى أَنَّهُ يَدْخُلُ فِي مَفْهُومِ الْيَوْمِ الْآخِرِ الْمُثَلِّ الْإِنْسَانِيَّةَ التَّالِيَةَ:

١ - أَنَّ الْإِنْسَانَ يُقَاسُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ بِأَعْمَالِهِ لَا بِأَمْوَالِهِ،
وَبِنَيْتِهِ وَسَلَامَةِ قَلْبِهِ لَا بِجَاهِهِ وَنَسَبِهِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: «يَوْمٌ
لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ»^(٢).

وَقَالَ تَعَالَى: «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا
وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهَا أَمَدًا بَعِيدًا»^(٣).

٢ - لَا يَفْلَتُ الْمُسِيءُ مِنَ الْعِقَابِ فِي مَحْكَمَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ
حَيْثُ لَا يَسْتَوِي فِي عَدْلِهِ مَصِيرُ الصَّالِحِ وَمَصِيرُ الْخَبِيثِ،
وَالْبَارِ وَالْفَاجِرِ، قَالَ سُبْحَانَهُ: «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ
أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ
لَا يَنْظُرُونَ»^(٤).

(١) أنظر، خاطرات جمال الدين الأفغاني، محمد باشا الخوارزمي.

(٢) الشعراء: ٨٩.

(٣) آل عمران: ٣٠.

(٤) الأنعام: ١٦٠.

٣ - مَنْ يُؤْمِن بِالْخُلُودِ وَالْمُكَافَاةِ يَتَزَوَّدُ بِعَمَلِ الْخَيْرِ
لآخِرَتِهِ، وَيَشْعُرُ بِالمَسْؤُولِيَةِ فِي جَمِيعِ تَصَرُّفَاتِهِ، وَيَتَوَخَّئُ
مَرْضَاةَ رَبِّهِ وَضَمِيرِهِ، أَمَّا مَنْ يُنْكِرُ ذَلِكَ فَيَرى الدُّنْيَا فَرِيْسَةً
الشَّاطِرِ وَقُرْصَتَهُ الوَّحِيدَةَ أَنْ يَنْطَلِقَ مَعَ الْأَهْوَاءِ - فِي العَادَةِ
وَالغَالِبِ - بِلاَ رَادِعٍ مِنْ دِينٍ أَوْ ضَمِيرٍ، وَلَا يَعْفُ عَنِ آيَةِ
جَرِيْمَةٍ وَرَذِيْلَةٍ مَا دَامَ آمِنًا عَلَى مَصِيرِهِ.

وبهذا يتبين لنا أن الإيمان باليوم الآخر لصالح الفرد والجماعة حيث يوجد في كل نفس رقيب وشُرطي منها عليها، قال أرسطو: رَدَعِ النَّفْسَ لِلنَّفْسِ هُوَ عِلَاجُ النَّفْسِ»^(١).

وإن قال قائل: لقد رأينا العديد من المؤمنين بالله واليوم الآخر يرتكبون أكبر الجرائم وأقبح المآثم فأين الردع والزجر الذي زعمت - قلنا في جوابه: هؤلاء مزيّفون لآ مؤمنون، فليس المسلم السليم من طالت لحيته وأسودت مسبحته، بل من تنزه دينه وعلمه، ويده وقمه عن الآثام وإتيان الحرام.

وأعجب العجب أن يدعي العديد منّا الإيمان بالله ورُسُوله واليوم الآخر، ويرفعوا شعائر الدين والخير، وينكروا على الجيل التهتك والتفسخ باسم الحرية، وعلى الساسة الطغاة هدر الدماء والحقوق باسم الديمقراطية، ثم ينسوا أو يتناسوا ما يفعلونه من الكبائر باسم الإسلام وشريعة القرآن.

الحرية:

من الشروط الأساسية والطبيعية لكل تكليف إلهي كان أم وضعياً - العقل

(١) أنظر، أعيان الشيعة السيّد محسن الأمين: ١٦٣/٣.

والحرية والقدرة، فبالعقل يُميز بين الهدى والضلال، وبالحرية يختار، وبالقدرة يفعل، ومن هنا أوجب الإسلام النظر وإعمال العقل، وأعتبر عدم البحث والنظر جريمة يستحق الإنسان عليها العذاب يوم يلقي ربه، قال، عز من قائل، حكاية عن أهل النار: «لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ الشَّعِيرِ فَأَعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ فَنَسَخْنَا لِأَصْحَابِ الشَّعِيرِ»^(١).

وهذا النص قطعي الدلالة على أن إهمال العقل من أكبر الكبائر، ونعطف عليه سائر الآيات التي حرمت التقليد، وقدست العقل والعقلاء والعلم والعلماء، وقد تتبع أحد الباحثين لفظ العقل والعلم ومشتقاتهما ومترادفاتهما، فوجد ذلك قد تكرر (٩٦٠) مرة.

ومن المعلوم بالبدئية أن لا عقل أو لا جدوى منه بلا حرية، إذ كيف يتبع الإنسان الهدى ويدع الضلال من غير حرية واختيار؟ ومن أجل هذا أسقط الإسلام التكليف عن المجنون والعاقل المكره، وأعتبرهما بمنزلة سواء من هذه الجهة. قال الرسول الأعظم ﷺ: «رُفِعَ عَن أُمَّتِي تِسْعَةٌ: «الخطأ، والنسيان، وما أكرهوا عليه، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطروا إليه، والحسد، والطيرة، والتفكير في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشفه»^(٢). وقال الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله أحتبج على الناس بما آتاهم وعرفهم»^(٣)... وقد آتاهم

(١) الملك: ١١.

(٢) أنظر، الكافي: ٦٣/٢ ح ٢، تحف العقول: ٥٠، من لا يحضره الفقيه: ٣٦٥/١، وسائل الشيعة: ٣٦٩/١٥ ح ١، مجمع الفائدة: ٦٠/٥، الإختصاص للشيخ المفيد: ٣١، الخصال للشيخ الصدوق: ٤١٧/٢ ح ٩، التوحيد للصدوق: ٣٥٣ ح ٢٤.

(٣) أنظر، الكافي: ١٦٣/١ ح ١، التوحيد للشيخ الصدوق: ٤١٠ ح ٢ و ٣، الاعتقادات للشيخ المفيد: ٣٧، الوافي: ٥٥١/١ ح ١.

القدرة، وعرفهم ما أراد على لسان رُسله، وجعل لمراده منهم حداً، وجعل على من اعتدى وتعدى ذلك الحد حداً»^(١).

ومن مبادئ الإسلام وشريعته: «الضرورات تُبيح المحظورات»^(٢)، «العقود تتبع القصود»^(٣)، «لا يحل مال امرئ إلا عن طيب نفسه»^(٤)، «لا يُنسب لساكت قول»^(٥)، «الناس مُسلطون على أموالهم»^(٦)، «المعاملات طلق - الأصل الإباحة - حتى يرد النهي»^(٧). (أي الحرّية) بل الحرّية هي الأصل والإباحة فرع. وبهذا يتبين لنا:

١ - أن الإسلام لا يفرق بين العقل والحرّية، وإنه يرفض

- (١) أنظر، الكافي: ١/٥٩ ح ٢ و ١٧٦/٧ ح ٧ و ١٢، من لا يحضره الفقيه: ٤/٢٥، التهذيب: ١٠/٣ ح ٥، مسالك الأفهام: ١٤/٣٩٨، المحاسن: ١/٢٧٤ ح ٣٨٢، وسائل الشيعة: ١٨/٣٠٩ ح ١، دعائم الإسلام: ٢/٤٤٤ ح ١٥٥٠، المذهب البارع: ٥/٢١٢.
- (٢) أنظر، المهود المحمّدية: ١٥٤، فيض القدير: ١/٧٢، كشف القناع: ٢/٣٥ ح ١٦٤٠، الحدائق الناضرة: ٨/٣٤٣، رياض المسائل: ١/١٥٢.
- (٣) أنظر، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام للشيخ محمّد حسن الجواهري التجفي: ٢٣/١١٠، المكاسب للشيخ الأنصاري: ٣/٤٤.
- (٤) أنظر، مُسنّد أحمد: ٥/٧٢، كشف الخفاء: ٢/٣٧٠ ح ٣١٠١، الإصاية: ٢/١٢١ ح ١٨٧٧.
- (٥) أنظر، إعانة الطالبين لبكري الدميّاطي: ٤/٢١٥، فتح الباري شرح صحيح الإمام البخاري، لأحمد ابن عليّ بن محمّد بن حجر المسقلاني: ٥/٢٢٠، تفسير روح المعاني للألوسي: ٥/١٠٠.
- (٦) أنظر، التبسوط للطوسي: ٣/٢٧٢، نهاية الأحكام: ٢/٥٢١، المجموع لُحبي الدين التووي: ١٣/٣٥، الفقه على المذاهب الأربعة: ٣/١٩٢، عون المعبود شرح سنن أبي داود: ٩/٢٣٠، تحفة الأحوذني بشرح جامع الترمذي لعبد الرّحيم المباركفوري الهندي: ٤/٤٥٢، نيل الأوطار للشوكاني: ٥/٣٣٥، الخلاف للشيخ الطوسي: ٣/١٧٦، مختلف الشيعة: ٥/٢٢٤ و: ٦/٢٧٨ و: ٧/٢٤ و: ١٦١ و: ٨/١١٤، تذكرة الفقهاء للعلامة الحلبي: ١/٤٨٩ و: ٢/١٨٩.
- (٧) أنظر، الاستذكار لابن عبد البر: ٨/٣٥٦ رقم «١٧١٩»، فرائد الأصول، الشيخ الأعظم مُرتضى الأنصاري: ٢/٥٢ إعداد لجنة تحقيق: ونشر تراث الشيخ الأعظم.

الجهل والعنف معاً، ولا يفرض على أي إنسان شيئاً يرفضه ويأباه، وإنما يحثه على التقوى والإستقامة بالحكمة والتوعظة الحسنة.

٢ - أن الحرية حق لكل إنسان، ولا يحدها شيء إلا حرية مثلها لإنسان آخر أو ما حرّمه الله بالنص الثابت، لأن الحرية بلا حدود تعني القضاء على الحرية من الأساس.

٣ - أن دين الإسلام هو دين الحرية يصوغ نظامه وأحكامه على أساسها، ابتداءً من العقيدة التي يعتنقها الإنسان إلى جميع أقواله وأفعاله، لأن الله سبحانه لا يتعامل مع عباده - في تصرفاتهم - بإرادته التكوينية (أي بقاعدة «كُنْ فَيَكُونُ» كلاً، أن الإسلام مجرد وحي وبيان، وتشريع ونظام، وآداب وأحكام: «كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرَةٌ فَعَن شَاءَ ذَكَرُهُ»^(١).

المَنهج العِلْمِي في الإسلام

هذا الفصل جزء من الفصل السابق ومُتمم له، وذكرناه على حدة لأهميته.

العِلْم والمَعْرِفَة :

كَانَ العِلْمُ عِنْدَ القُدَامَى مُرَادِفًا للمَعْرِفَة أَيًّا كَانَ نَوْعُهَا وَسَبَبُهَا، ثُمَّ بَدَأَ لِفِئْتِه مِنَ الجُدُدِ أَنْ يُقْسِمُوا المَعْرِفَة إِلَى مَعْرِفَة عِلْمِيَّة، لَا تَأْتِي إِلَّا عَنِ طَرِيقِ الحَوَاسِ. وَمَعْرِفَة أُدْبِيَّة، تَأْتِي عَنِ طَرِيقِ الفِكرِ والتَّأَمُّلِ فَقَطْ، وَأَسْتخْدَمُوا كَلِمَةَ العِلْمِ فِي المَعْرِفَة العِلْمِيَّة دُونَ الأُدْبِيَّة، وَشَاعَ هَذَا التَّقْسِيمُ الثَّنَائِي للمَعْرِفَة حَتَّى فِي المَعَاهِدِ وَالجَامِعَاتِ حَيْثُ يُقَالُ: القِسْمُ العِلْمِي والقِسْمُ الأُدْبِي.

وَنَحْنُ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ كَلِمَةِ العِلْمِ وَكَلِمَةِ المَعْرِفَة لِأَسْبَابِ أَهْمَيَّاهَا:
أَوَّلًا: أَنَّ الخِبْرَةَ الحِسِيَّةَ لَيْسَتْ بِأَقْوَى مِنَ المَعْرِفَة العَقْلِيَّةِ، فَكَمْ مِنْ مَرَّةٍ خَدَعْتَنَا الحَوَاسِ، فَتَرَكْنَاهَا إِلَى حُكْمِ العَقْلِ، كَالسَّرَابِ تَرَاهُ العَيْنُ مَاءً، وَ« وَتَوَى الجِبَالُ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ إِذَا هُوَ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ»^(١).

ثَانِيًا: أَنَّ الخِبْرَتَيْنِ: الحِسِيَّةَ والعَقْلِيَّةَ مُتَكَامِلَتَانِ حَيْثُ لَا غِنَى لِلحِسِّ عَنِ

(١) التَّمَلُّ: ٨٨. جَاءَ فِي النُّظْرِيَّةِ النَّسَبِيَّةِ لِأَيْنِشْتَايْنِ: أَنَّ الأَشْيَاءَ المَحْسُوسَةَ بِكاملِهَا مُجْرَدُ حَوَادِثَ

سَرِيعَةِ الحَرَكَةِ وَالتَّتَابُعِ تَحْتِ تَأْثِيرِ عَامِلِ خَفِيِّ.

العقل، ولأللعقل عن الحسّ، وعليه يكون الفصل بينهما خطأ وبلا سبب موجب. ثالثاً: أن العلماء لم يكتفوا بملاحظة الحوادث ومُشاهدة الظواهر الطبيعيّة، بل حاولوا اكتشاف العلاقات بين بعضها البعض مع العلم بأن هذه العلاقات لا يمكن إدراكها بالحسّ. ولا يُحتمل إثباتها بالتجربة، وإنما توصلوا إليها عن محاولة معرفتها بمجرد الفرض، فإذا صدق أنقلب الفرض عندهم إلى قانون علمي تتضح به حقيقة الحادثة والظاهرة الكونية، شأنه في ذلك شأن جميع القوانين الطبيعيّة، ومعنى هذا أنهم استخدموا لفظ العلم فيما لا يقع تحت الحسّ، ونقضوا هنا ما كانوا قد أبرموا من قبل، وهم لا يشعرون.

ضرورة الفرض:

ولعلّ من المفيد أن نتحدث قليلاً حول الفرض بعد أن أشرنا إليه في الأسطر المتقدمة. وما من شك أن الفرض طريق للعلم والمعرفة، وضروري لكلّ عالم وفيلسوف، ومعناه التفسير المؤقت للظواهر التي هي موضوع الدراسة، وذلك أن يرى الباحث ظاهرة، ويخفي عليه سببها، فيضع لها تفسيراً مؤقتاً من عنده، ثمّ ينظر ويختبر هذا الفرض والتفسير، فإن أنسجم والتأم مع الظاهرة تماماً كحال العلة مع المعلول فهو مطلوب وإلاّ أفترض تفسيراً آخر أنسب وأقرب... وهكذا حتّى يطمئن الباحث ويقتنع بصحة الفرض مُعزّزاً بالحوادث المُشاهدة من الأشباه والنظائر، وبعدهم أصطدامه مع المبادئ المُسلم بها، وعندئذٍ ينقلب الفرض إلى قانون أو نظريّة.

وبقصد التوضيح نعرض هذا المثال: ظهر مرض في بعض البلدان، وعمّ جميع سكّانه، فعلى الطّبيب أن يفترض لذلك العديد من الأسباب كتناول الجميع لطعام واحد وفاسد، أو مرور غريب يحمل مرضاً مُعدياً، أو لإشتراك المواطنين في

شُرب واحد، فإذا ثبت الأخير أخذ به، وألغى الأول والثاني.
 ويعترف الماديون بالفرضيات وأنه لا بُدَّ منها لتفسير الظواهر الطبيعية، ولا
 فرق عندهم بين التجربة وصحة الفرض من حيث أنهما من مصادر المعرفة. فإن
 هناك أشياء موجودة بالفعل، ولا طريق إلى معرفتها إلا بالفرض السليم، ولكن
 الماديين أنكروا صحة الفرض إذا تجاوز الطبيعة إلى ما بعدها، لأشياء إلا لأنها
 تؤدي حتماً إلى وجوب الإعراف بالله وعظمته!

الجواب:

- ١ - أن موضوع الفرض هو الشيء الموجود بالفعل،
 ولكن لا يمكن إدراكه بالحس، ومتى تحقق هذا الوصف حكم
 العقل باللجوء إلى الفرض سواء أكان الموضوع طبيعياً أم غير
 طبيعي، ومن المعلوم أن حكم العقل لا يقبل التقليد بحال،
 وأي عاقل يقول: المربع غير المدور إلا إذا كان من نحاس؟.
- ٢ - نسأل الماديين: لقد رأيتم بالحس قوانين راسخة
 مُحكمة في الكون، وأيضاً رأيتم الحياة في بعض أحيائها
 دون بعض، ولم تروا بالحس أي سبب يُوجب ذلك، كما
 تاهت عقولكم عن إدراكه، فالتجأتم إلى وضع الفروض.
 وهذا هو المألوف والمعروف بين العلماء والعقلاء، ما في
 ذلك ريب، ولكن أرتضيتم فرضاً للتفسير ياباه العلم والعقل،
 وهو ما أطلقتم عليه اسم التوحيد الذاتي أو الميكانيكي،
 وأردتم بذلك أن في الطبيعة قوة غامضة تولدت منها قسراً
 وآلياً هذه القوانين الراسخة وتلك الحياة وزينتها وزوعتها.

كلاً، أن هذا الفرض لا يُفسر ويُعبّر إلا عن الجهل والوهم، لأنه يتنافى مع القوانين العلمية والمعلومات المسلم بصحتها... أن الطبيعة لا وعي فيها ولا شعور، فمن أين جاءها هذا التدبير والتقدير والتنسيق والترتيب؟ فهل نظمت هي نفسها بنفسها، ووضعت كل شيء في موضعه، وأستمرت على هذا النظام والإحكام ملايين السنين؟... أبداً ما من شيء مُتقن ومُحكّم من أصغر صغير إلى أكبر كبير إلا وراءه علم وتدبير، وحكمة وتقدير.

وأخيراً فكل ما قيل أو يُمكن أن يُقال في هذا الباب فقد لخصه وجمعه (فولتر) في هذه اليقظة الفطرية: «أن وجود الله فرض ضروري، لأن الفكرة المضادة حماقات»^(١).

موارد الفرض:

لقد بدأ واضحاً مما تقدم أن الحواس تُدرك الظواهر من الموجودات، وأن عداها يُدرك بالعقل مباشرة، أو بواسطة الفرض. وقال أحد أقطاب الفلسفة: أن الحقائق التي يجب الاعتقاد بصحتها عن طريق الفرض - ستة أنواع، ونُلخصها فيما يلي بشيء من التصرف في الشكل لآ في المحتوى، بقصد التوضيح:

١ - الاعتقاد بوجود أشياء كثيرة بعيدة عن حيزنا وتصورنا، وهي على نوعين: بعضها يُمكن إدراكه

(١) أنظر، تراجم علماء طرابلس: ١٣٢، مجلة المجمع العلمي: ٩/٤١٤ و: ١٠/٤٩٢، مُستدركات أعيان الشيعة للسيد حسن الأمين: ٣١/٢. تجد ترجمة «فولتير».

وأنظر، P. DydDrink Water, Theotline of Liter Ture 290

Story of Philosphy, Will Durant.p.220

أنظر، الرّوض الأزهر في تاريخ بطرس الأكبر لفولتير.

بالحواس ، وبعضها فوق ذلك ، ولكنه يُعرف بآثاره .

٢ - الإعتقاد بوجود العقل في الكثير من البشر دون أن نرى لعقولهم أي أثر ملموس .

٣ - الإعتقاد بأن العقل ليس من نوع المادة ، وإنه مُتفوق إلى أقصى الحدود .

٤ - الإعتقاد بأنّ في الكون قوّة محدودة وثابتة لا تزيد ولا تنقص ، لأنّها لو لم تكن كذلك لما وجدت الجاذبية ، وأصبح الكون فوضي ، وأنحلّ الهيكل النظامي فيه ، وعندئذٍ يستحيل ضبط وقياس أي شيء ، وبهذا تمتنع كلّ المعارف والعلوم الطبيعيّة ، ويعتقد المؤمنون بالله أنّ هذه القوّة هي عناية إلهية ، أمّا الماديّون فيقولون : هي غامضة ومُبهمّة ، أو أنّها تولدت من الطّبيعة بالذات ، كما سبقت الإشارة .

٥ - الإعتقاد بأنّ في المادة قوّتي جذب ودفع ، وأنّ تعليل هذه الحقيقة وتفسيرها فوق الإدراك لمكان إجتماع التقيّضين في شيء واحد في آن واحد .

٦ - الإعتقاد بمبدأ السببيّة حيث نُساق تِلقائياً إلى اليقين بأنّ كلّ حادث لا بدّ له من سبب دون أن نرى حقيقة السببيّة والعلاقة بين الأثر والمؤثر ، وكلّ ما رأيناه أنّ حادثه لأحقّة وقعت إثر حادثه سابقة ، أو أنّ الحادثتين وقعتا معاً وبلا فاصل^(١) .

(١) من كتاب ملقى السبيل لإسماعيل مظهر : ٦٣ وما بعدها .

المنهج العلمي :

المنهج في اللغة: الطريق الواضح^(١)، وفي الإصطلاح: الطريقة التي يتبعها الباحث في أي موضوع للكشف عن حقيقة مجهولة، أو لدعم حقيقة معلومة من باب ليظمن قلبي، والعلمي هو المنسوب إلى العلم، ومن شأنه أن لا يقر شيئاً إلا بعد قيام الحجة الكافية الوافية^(٢).

ويختلف منهج الإسلام في إثبات الحق تبعاً لطبيعة الموضوع المأمور به أو المنهي عنه تماماً كالقاضي ينظر أولاً إلى نوع الدعوى وصياغتها، وفي ضوء ذلك يقرر وجهة السير فيها، ونوع الوسيلة التي يعتمدها في التقى أو الإثبات. وفيما يلي البيان.

الإيمان بالله :

١ - الإيمان بالله، وينحصر الطريق إليه بالإستقراء والإستنتاج، بالحس والعقل، ويتم الإستقراء بالنظر إلى الكون وعظمته بما فيه ومن فيه كمقدمة صادقة لإستنتاج نتيجة صادقة في نظر العقل. وهذا هو بالذات المنهج العلمي الذي يتبعه الإسلام في الدعوة إلى الإيمان بالله.

وقد أُرشدنا سبحانه إلى هذا المنهج في العديد من الآيات، وعلى سبيل المثال نذكر هذه الآية: ﴿وَأَلَمْ يَنْظُرُوا فِي

(١) أنظر، مختار الصحاح لمحمد بن عبدالقادر: ٢٨٤/١.

(٢) أنظر، الفروق اللغوية لإبي هلال العسكري: ٢٩٨، نظرات في الكتب الخالدة، الدكتور حامد حفني

داود: ٢٨ وما بعدها.

مَلَكُوتِ السَّمَنُوتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ»^(١) وكلمة
«مِنْ شَيْءٍ» هنا تُشير إلى النملة الصغيرة فما دونها كعينها
ورجلها، وأنها هي وكلّ ما فيها مُعجزة تدل على باريها فضلاً
عن الكون ونظامه وهندسته وأحكامه .

والمعنى تأملوا وتدبروا هذا الذي ترونه «مِنْ شَيْءٍ»، من
أين أتى؟ وكيف حدث؟ ومن الذي صمّم وصنع؟. ولا
تذهبوا بعيداً في البحث عن الجواب، استفتوا أنفسكم
بالذات، وأسألوا عقولكم عما رأت أعينكم: «إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ»^(٢) وإن لم
يكن لكم قلوب صافية ولا عقول واعية فاسألوا عالماً كبيراً
أو طفلاً صغيراً.

الَّذِينَ عَبْدُوا الْأَحْجَارَ:

وما أكثر ما كتبتُ وقرأتُ في هذا الباب، ولديّ من مصادره عشرات
المؤلفات، ومنها القصار والطوال، ومنها ما بين ذلك وغير ذلك من قُصاصات
الجرائد، وقد جاء في واحدة منها ما نصّه بالحرف:

«الَّذِينَ عَبْدُوا الْأَحْجَارَ مِنَ أُلُوفِ السَّنِينَ لَمْ يَكُونُوا مُخْطِئِينَ، فَإِنَّ عَقُولَهُمْ -
القاصرة - لَا تَقْوَى عَلَى أَكْثَرِ مِنْ ذَلِكَ. أَنْ عَقُولَهُمْ تُحَاوِلُ أَنْ تَعْرِفَ، وَهَذَا أَقْصَى
مَا وَصَلَتْ إِلَيْهِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ... لَقَدْ نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ وَقَالُوا: أَنَّهُا جَمِيلَةٌ وَجَلِيلَةٌ،
فَهَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ؟». «هَذَا خَلَقَ اللَّهُ فَأُرْوِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ نُورِهِ، بَلِ

(١) الأعراف: ١٨٥.

(٢) سورة ق: ٣٧.

الظالمون في ضلالٍ مبين»^(١).

الإيمان بالنبوة :

٢ - الإيمان بنبوة مُحَمَّد ﷺ يأتي عن طريق الإستقراء بالمُشاهدة والإستنتاج بمنطق العقل كما جاء في هذه الآية :
﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَبْتُكُمْ بِهِ، فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾^(٢).

والمعنى قُل يَا مُحَمَّد للذين جحدوا برسالتك من أهل مكة : لبثتُ بينكم أربعين عاماً من قبل أن يُوحى إليّ، وبلوتُموني طفلاً وشباباً وكهلاً، وساعة عُسري ويُسري، ورضاي وغيبي، وما رأيتم مني إلا الخير والإستقامة، والصدق والأمانة حتّى أشتهرت عندكم بالصادق الأمين، فما عداً مما بدا؟ ولماذا لا تربطون الحاضر بالماضي؟...
حقاً إن هذا التناقض الظاهر منكم لدليل قاطع على أنّكم أنتم الكاذبون والمفترون^(٣).

وهذا المنهج الذي أنطوت عليه الآية الكريمة هو منهج

(١) لقمان : ١١.

(٢) يونس : ١٦.

(٣) أنظر، السيرة النبوية لابن كثير : ٢٠١/١، الدر المنثور للسيوطي : ٣٠٢/٣، المجموع لمحيي الدين التتويي : ١٠٥/١٨، المعني لابن قدامة : ٣٠٣/١١، تفسير الكشاف للزمخشري : ٢٩/٢، تفسير مقاتل بن سليمان البلخي الأزدي الخراساني : ٨٦/٢، جامع البيان عن تأويل القرآن، أبي جعفر محمد ابن جرير الطبري : ١٢٥/١١، معاني القرآن للنحاس : ٢٨٣/٣، تفسير السمرقندي لأبي الليث السمرقندي : ١٠٨/٢.

علمي بالمعنى الحديث، لأنه يقوم على الحس والتجربة.

الإيمان باليوم الآخر:

٣ - الإيمان باليوم الآخر، ومن يدعي الحياة والبعث بعد الموت في المستقبل البعيد أو القريب - فعليه أولاً وقبل كل شيء أن يثبت أن ذلك ممكن الوقوع حيث لا نقش بلا عرش. وزعم بعض أهل الجهل والجاهلية أن البعث مُمتنع ذاتاً ومُستحيل عقلاً، فقد روى الرواة أن أحد المشركين جاء إلى النبي ﷺ بعظمة بالية، وقتها في يده، ونثرها في الهواء، ثم سأل النبي ﷺ ساخراً: من يحيي العظام وهي رميم؟، فنزلت الآية: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظْمَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾^(١). ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَدِيرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِنْهُمْ بَنِينَ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾^(٢).
يقول، عظمت كلمته: أن الكون موجود بالعيان

(١) يس: ٧٧-٧٨.

(٢) يس: ٨١.

أنظر، زاد المسير في علم التفسير لابن الجوزي: ٢٨٣/٦، حقه وكتب هوامشه مُحَمَّد بن عبدالرحمن بن عبدالله، أستاذ بكلية الدراسات الإسلامية بالأزهر، خرَج أحاديثه أبو هاجر السعيد بن بسونى زغلول، البداية والنهاية لابن كثير: ١١٢/٣، السيرة النبوية لابن كثير: ٥٥/٢، تخريج الأحاديث والآثار للزليعي: ١٦٧/٣، تفسير ابن أبي حاتم: ٣٢٠٢/١٠، تفسير العز بن عبدالسلام: ٤٦، تفسير ابن كثير: ٢٦٩/٥، تفسير روح المعاني للألوسي: ٥٣/٢٣، تفسير السمرقندي لأبي الليث السمرقندي: ٢٦٦/٢.

والوجدان، ووجود الشيء يدل على إمكان وقوعه بدلالة أقوى من أية دلالة، لأن الشيء لو لم يمكن لم يقع، وعليه نسال من يرى البعث مستحيلاً: لقد خلقت ولم تك من قبل شيئاً، فالذي أوجدك من العدم وأحياك ثم أماتك وأبلاك، هو الذي يُعيدك تارة أخرى. والتفرقة في الحكم بين الإنشاء والإعادة مع إتحاد السبب الموجب - تهافت وأضطراب. وفي فقرة النبوة من الفصل السابق «فلسفة الدين» ذكرنا الفرق بين القانون العقلي والقانون الطبيعي، فأرجع إليه عسى أن تجد ما يلقي بعض الأضواء على مسألة البعث والنشر.

والخلاصة: أن منهج الإسلام في إثبات عقيدته وأصولها، هو علمي محض، يرتكز على رؤية الحس وحكم العقل: العين ترى وعلى أساسها يستنبط العقل ويحكم، فأين هو الغيب؟ وأي عاقل يستدل بالغيب على الغيب؟ أن كلمة «غيب» بحرؤها وتكوّنها اللفظي تطلب الدليل على صدق الغائب عن التصور، ولن يكون هذا الدليل إلا العقل وحده أو بمعونة الحس. أبداً يستحيل أن يثبت الوحي من الله سبحانه بمعزل عن العقل، ولذا قال الرسول الأعظم ﷺ: «أصل ديني العقل»^(١)، وعليه فمن نسب إلى الإسلام ما يرفضه العقل والعلم فهو من جهل الجاهلين أو وضع الوضاعين، وليس هناك فرض ثالث.

(١) أنظر، مستدرک الوسائل: ١١/١٧٣ ح ٨، عوالي اللآلي: ٤/١٢٥ ح ١، الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ١٤٦/١.

وَمَعْنَى هَذَا أَنْ كُلَّ مَا يقرُّه الْعَقْل وَالْعِلْمُ فَهُوَ مِنَ الْإِسْلَامِ فِي الصِّمِيمِ ، وَكُلُّ مَا يَرِفُضُهُ الْعِلْمُ وَالْعَقْلُ فَهُوَ مَفْسُودَةٌ وَزَنْدَقَةٌ . وَمِنْ هُنَا قَالَ فَقْهَاءُ الشَّيْعَةِ الْإِمَامِيَّةِ : «كُلُّ مَا حَكَمَ بِهِ الْعَقْلُ يَحْكُمُ بِهِ الشَّرْعُ»^(١) . وَفِي رِسَائِلِ الْأَنْصَارِيِّ : «الْعَقْلُ بَيَانٌ مِنَ الدَّخْلِ ، وَالشَّرْعُ بَيَانٌ مِنَ الْخَارِجِ»^(٢) . وَإِذَا تَعَارَضَ ظَاهِرُ النَّقْلِ مَعَ الْعَقْلِ وَجِبَ تَأْوِيلُ النَّقْلِ بِمَا يَتَّفِقُ مَعَ حُكْمِ الْعَقْلِ^(٣) . طَبَعًا تَجْرِي عَمَلِيَّةُ التَّأْوِيلِ مَعَ مُرَاعَاةِ الْأَصُولِ اللُّغَوِيَّةِ .

وَأَخَذَ الشَّيْعَةُ هَذَا الْأَصْلَ عَنِ آلِ الرَّسُولِ ﷺ الَّذِينَ هُمْ أَعْرَفُ النَّاسِ بِمَا نَزَلَ عَلَيَّ قَلْبَ جَدِّهِمْ .

وَأَخِيرًا ، فَمَنْ قَالَ : «أَصْلُ دِينِي الْعَقْلُ»^(٤) لَا يُطْلَبُ مِنْهُ الدَّلِيلُ عَلَيَّ صِدْقِ هَذِهِ الْفِكْرَةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ ، لِأَنَّ صِدْقَهَا فِي صُلْبِ تَكْوِينِهَا ، وَإِنَّمَا يُطْلَبُ مِنْهُ الشَّاهِدُ عَلَيَّ أَنَّهُ يُدِينُ بِهَذَا الْمَثَلِ الْأَعْلَى الَّذِي يَسْعَى إِلَى بُلُوغِهِ كُلِّ النَّاسِ . وَقَدْ أوردنا بَعْضَ الشَّوَاهِدِ عَلَيَّ التَّطْبِيقِ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي هُوَ الْمَصْدَرُ الْأَسَاسُ لِلدِّينِ الْإِسْلَامِ .

(١) أنظر، أصول الفقه للشيخ محمد رضا المظفر: ٢/٢٦٤، هداية المسترشدين: ٢١٠.

(٢) أنظر، فرائد الأصول، الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري، إعداد لجنة تحقيق ونشر تراث الشيخ الأعظم.

(٣) أنظر، درة تعارض العقل والنقل لتقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحلیم بن عبد السلام بن

تيمية، دار النشر الكتب العلمية بيروت ١٤١٧ هـ، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن: ٩/١٤٨، فرائد

الأصول، الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري: ١/٥٦ إعداد لجنة تحقيق: ونشر تراث الشيخ الأعظم.

(٤) تقدّمت تخريجاته.

نَافِذَةٌ عَلَى النَّظَرِيَّةِ النَّسَبِيَّةِ

آينشتين :

البرت آينشتين يهودي ألماني ، وُلد سنة (١٨٧٩ م) وكان في صِغَرِهِ بَطِيءَ الفَهِمِ ، وَمَا تَكَلَّمَ فِي السَّنِ الثَّانِيَةِ اعْتَادَ الأَطْفَالُ أَنْ يَتَكَلَّمُوا فِيهَا ، وَفُجَاءَةً أَصْبَحَ نَابِغَةً بِالنَّسْبَةِ إِلَى أُمَّتَالِهِ وَنَظَائِرِهِ . فَقَدْ أَعْطَاهُ وَالِدُهُ « بُوصَلَةً » لِيَلْهُوَ بِهَا ، وَأَخَذَتْهُ الدَّهْشَةُ مِنْ أُبْرَتِهَا الَّتِي تَرَجَّعَ دَوَّماً إِلَى إِتْجَاهِ ثَابِتٍ وَمُحَدَّدٍ ، وَقَالَ فِي نَفْسِهِ : لَأَبْدُ وَأَنْ يَكُونَ فِي الطَّبِيعَةِ قَوَانِينِ قَاهِرَةٍ تَتَحَكَّمُ فِي أَشْيَائِهَا ، وَكَانَ قَدْ بَلَغَ آنَذَاكَ الخَامِسَةَ مِنْ عُمُرِهِ .

ثُمَّ مَضَى فِي التَّفَكِيرِ وَالتَّسَاوُلِ : لِمَاذَا لَا يَقَعُ القَمَرُ عَلَيْنَا ؟ وَمَا هُوَ السَّبَبُ المُوْجِبُ لوجودِ مَادَّةٍ حَيَّةٍ وَأُخْرَى لَا حَيَاةَ فِيهَا ؟ وَفِي سَنِّ الثَّانِيَةِ عَشْرَةَ عَرَفَ جَيِّدًا الفَرْقَ بَيْنَ العُلُومِ الرِّيَاضِيَّةِ وَالعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ ، وَلَمْ يَبْلُغِ السَّادِسَةَ وَالعِشْرِينَ حَتَّى أَشْتَهَرَ وَلَمَعَ اسْمُهُ فِي الشَّرْقِ وَالعَرَبِ . وَهَكَذَا انْتَقَلَ مِنْ مَعْرِفَةِ إِلى مَعْرِفَةِ حَتَّى انْتَهَى إِلى النَّظَرِيَّةِ النَّسَبِيَّةِ الَّتِي هَزَّتْ الأَفْكَارَ هَزًّا عَنيفًا ، وَنَسَخَتْ العَدِيدَ مِنَ المَبَادِيءِ وَالمَذَاهِبِ ، وَأَثَرَتْ تَأْثِيرًا عَمِيقًا فِي حَيَاةِ الإِنْسَانِ المَادِّيَّةِ وَالإِجْتِمَاعِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ . وَقَدْ كَتَبَ العُلَمَاءُ وَالفَلَسَفَةُ عَنْ آينشتين ، وَهُوَ جِي ، (٤٥٠٠ كِتَاب) .

« يَقُولُ العَالَمُ الفَرَنْسِي لُويس دوبروي : سَيُظَلُّ آينشتين فِي نَظَرِ التَّأْرِيخِ مُبْدِعًا

نظريّة علميّة من أعمق النظريات، وبأعش حركة وفلسفيّة بعيدة الآفاق. ويجب أن لا يغرب عن بال أحد في الأجيال إن الفيزياء التّووية ونظريّة الطّاقة الذّريّة مبنيتان على مبدأ آينشتين في تكافؤ المادّة والطّاقة»^(١).

آينشتين والإيمان بالله:

لقد أضافت العلوم الجديدة أدلّة جديدة على وجود الله سبحانه، وشهدت شهادة عيان وإيقان على صدق القول المأثور والمشهور: «فإنّ الله في كلّ شيء آية تدلّ على أنّه واحد»^(٢).

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ

ويكاد يقرب منه قول من قال: «القليل من العلم يؤدي إلى الزندقة - بل والشعوذة - والكثير منه يؤدي إلى الإيمان». وصدق الله العليّ العظيم: «وَمِنَ النَّاسِ وَالذُّنُوبِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ»^(٣).

وإذن فلا غرابة أن يؤمن (آينشتين) بالله، ويقول مدفوعاً بوحى من العلم: «هذا التناقض بين قوانين الطبيعة، وما يخفي وراءه من عقل جبار لو اجتمعت كلّ أفكار البشر إلى جانبه لما كوّنت غير شعاع ضئيل أقرب إلى القول فيه: أنّه لا شيء».

(١) أنظر، المجلد الأول من دائرة المعارف اللبنانيّة: ٤٨٤.

(٢) نُسب هذا البيت لأبي العتاهية كما جاء في ديوانه: ٦٢ طبعة دار الكتب العلمية، وسُبل الهدى والرشاد: ٢٧/٣، البداية والنهاية: ٣٧٥/١٣، تاريخ بغداد: ٢٥١/٦، تاريخ دمشق: ٤٥٣/١٣، تفسير القرطبي: ٣١٣/٤، تفسير ابن كثير: ٢٦/١ و٦٢ و٤٥/٣، تفسير الثعالبي: ١٤٩/٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٤١٢/٦، المجازات النبويّة للشريف الرضي: ٢٢١، شرح أصول الكافي: ١٤٧/٣.

(٣) فاطر: ٢٨.

وعلق توفيق الحكيم على هذه العبارة بقوله: «أن إحساس آينشتين نحو الله والكون هو عين إحساس مُحَمَّد ﷺ يوم كان يتحنث في غار حراء^(١)... ولم

(١) لما قربت أيام الوحي حبب إليه الخلوة فكان يختلي في غار حراء - يكسر الحاء - جبل من جبال مكة المكرمة - يتعبد فيه. قيل: بالذكر، وقيل: بالفكر.

وقال الشيخ محي الدين أن تعبد قبل نبوته كان بشريعة إبراهيم الخليل ﷺ، وقيل: غير ذلك، وكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح فكانت تلك المنامات الصادقة مقدمات للوحي قيل: مدتها ستة أشهر؛ وثبت أنه لما دنا زمن الوحي كثر رجم الشياطين بالنجوم مع إصابتها لهم، وأقطع بالمرّة استراق السمع من حينه، وما روى من رجهم بها ليلة مولده وقبلها في أزمته الرُّسل فعلى نبوته كان قليلاً، وتارة يُصيب، وتارة لا يُصيب. وأما في زمن قرب الوحي إليه ﷺ فكان يُصيب ولا يُبد من الكثرة.

أنظر، تاريخ ابن خلدون: ١٠١/١، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي لعبد الرحيم الشباركفوري الهندي المتوفى سنة «١٣٥٣ هـ»: ١٧١/٩، شرح مسلم للنووي: ١٦٨/٤. ولما تم له أربعون سنة قيل: وأربعون يوماً وعشرة أيام، وقيل: شهران يوم الإثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، وقيل: لسبع، وقيل: لأربع وعشرين أيام، وقيل: شهران يوم الإثنين لسبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان، وقيل: لسبع، وقيل: لأربع وعشرين ليلة.

أنظر، مسند أحمد: ٣/٢٤٠ ح ١٣٥٤٣، مسند أبي يعلى: ٦/٣١٩ ح ٣٦٤٣، فتح الباري: ٧/١٦٤ ح ٣٦٣٨، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي لعبد الرحيم الشباركفوري الهندي المتوفى سنة «١٣٥٣ هـ»: ٦٧/١٠، التمهيد لابن عبد البر: ٣/١٣، شرح النووي على صحيح مسلم: ١٥/٩٩، حلية الأولياء: ٣/٢٦٢، صفوة الصفوة: ١/١٥٢، تاريخ الطبري: ١/٥٢٦، مستدرک الحاكم: ٢/٦٢٢، تاريخ ابن كثير: ٣/١٢٢.

جاء جبريل بالنبوة وهو في غار حراء فقال له: اقرأ.

فقال: ما أنا بقاريء فضمه حتى بلغ منه الجهد، ثم أطلقه.

فقال له: اقرأ.

فقال: ما أنا بقاريء فضمه كذلك ثم أطلقه.

فقال له: اقرأ.

فقال: ما أنا بقاريء فضمه كذلك، ثم أطلقه.

يظهر نبيّ حقّ ولا عالم حقّ شعر بغير ذلك... أنّ الدّين الحقّ لا يتعارض مع العلم الحقّ، لأنّ المصدر واحد والغاية واحدة»^(١).

ولا ينشئين عبارة ثانية أوضح من هذه، كتبها لبرتراندرسل، يُحذّره من الخوف المشؤوم من الغيب الذي أصبح مرض التفلسف التجريبي المعاصر... ويؤكد باصرار أنّ وراء البحوث العلميّة والعقلية قوّة عاقلة قائمة بذاتها، لا تدرك بالحس والتّجربة مباشرة، بل بالفكر البحت^(٢). وأيضاً يؤمن آينشتين - خلافاً للدّهريين - بأنّ العالم مُتناهٍ إستناداً إلى اعتبارات رياضيّة وإلى النّظريّة

﴿ قال له: أقرأ. ﴾

فقال: ما أنا بقاري، فضمه كذلك ثم أطلقه.

فقال له: ﴿أقرأ باسم ربك الذي خلق الإنسان من علقٍ اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾. العلق: ١ - ٥. وأنظر، صحيح البخاري: ٣/١، مُسند أحمد: ٢٣٣/٦، فتح الباري: ٢٢/١، الديباج على صحيح مسلم: ١٨٣/١، المُصنّف لعبد الرزاق الصنعاني: ٣٣٥/٥، الدرية الطاهرة النبوية: ٣٤.

ثمّ نزل به من الجليل إلى الأرض فضربها برجله فنبت عين ماء فتوضأ وأمر النبي ﷺ أن يفعل كفعله، ثمّ صلّى به ركعتين، وقال الصلاة هكذا، وغاب عنه. فانطلق ﷺ إلى خديجة برجف فؤاده، وأخبرها الخبر. وقال: خشيت عليّ.

فقال له: كلاً أبشر فوالله لا يُخزيك الله أبداً إنك لتصل الرّحم، وتصدّق الحديث، وتحمل الكلّ، وتقرّي الضيف، وتعين على نوائب الحقّ.

أنظر، الرّوض الأنف: ١٦٨/٢، شرح الأزهار: ١٢٠/١، تلخيص الحبير لابن حجر: ٣/٧، المُحلّي لابن حزم: ١٠٥/٥، تفسير ابن كثير: ١٣٨/٢، صحيح مسلم: ١٨١/٥، كتاب الهواتف لابن أبي الدنيا: ١٦، صحيح ابن جبان: ٥١٧/١٤، شرح النووي على صحيح مسلم: ١٥٥/١٢، الرّوض الأنف: ١٦٨/٢، شرح الأزهار: ١٢٠/١.

(١) أنظر، تعليق توفيق الحكيم على هذه العبارة في كتابه تحت «شمس الفكر»: ٣٧ وما بعدها.

(٢) من مقال بعنوان ماخ وآينشتين والبحث عن الحقيقة، نشرته مجلة عالم الفكر الكويتية في العدد الثاني من المُجلّد الثاني.

النسبية^(١).

وبعد، فإنني أعتقد أنه لو اجتمع أقطاب العلم بالتشريع والاجتماع والرياضة والطبيعة والفلسفة والفوا كتاباً ضخماً في صدق الإسلام وعظمتها - لما أتوا بما أتى الحديث الشريف: «أصل ديني العقل»^(٢)، وهذه الآية الكريمة: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ»^(٣)؛ لأنّ الدين القائم على العلم يُستدل به على غيره، ولا يُستدل بغيره عليه.

آينشتين ضد الدولة اليهودية:

جاء في الجزء الأول من دائرة المعارف كان آينشتين يكره الظلم، وينشد السلم في العلم، وقد هاله أن يتوصل النازيون إلى القنبلة الذرية، وكتب من جملة ما كتب: أفضل أن أرى اتفاقاً معقولاً بين العرف واليهود على أساس التعايش السلمي من أن أرى نشأة دولة يهودية^(٤).

النسبية والغموض:

ليس من اليسير على أزهري أو نجفي مثلي أن يكتب عن النظرية النسبية مهما قرأ عنها وطالع، وذلك أنّها وثيقة الصلة بحيادين الرياضة والطبيعة والفلسفة، وأنّها أتت بدنيا جديدة لأعهد للعلم والعلماء بعثها، ومن هنا شغلت

(١) أنظر، كتاب النظرية النسبية لآينشتين، وأنظر كتاب النظرية المادية في المعرفة لجارودي، ترجمة إبراهيم قريط: ٢٩١ وما بعدها.

(٢) أنظر، مستدرک الوسائل: ١١/١٧٣ ح ٨، عوالي اللاكي: ٤/١٢٥ ح ١، الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ١/١٤٦.

(٣) فاطر: ٢٩.

(٤) أنظر، الجزء الأول من دائرة المعارف اللبنايية: ٤٨٤.

عقول الأقطاب حيناً من الدهر، وهاجمها العديد منهم حتى أطلق عليها بعضهم كلمة المسخ.

وقال آينشتين لهؤلاء: أنكم معذورون، فإن النسبية صعبة ومعقدة، والأيام هي الكفلية بتفسيرها وتوضيحها، لا أنا ولا أنتم. وصدقت هذه النبوءة حيث دلت التجارب أنها حق وصدق في ميدان الكون وأشياءه دون استثناء.

وأرجع إلى «النجفي» والنظرية النسبية، وهي التي قرأت عنها وطالعت الكثير من الكتب والمقالات، لأن عصرنا هو عصر «النسبية». ونقص فيمن أفنى عمره في الدرس والتدريس والتنقيب والتأليف - أن يجهل حقيقة علمية تعم وتشمل حياة الإنسان في كل ميدان، ولا يلم منها ولو بطرف ضئيل. وأحسب أنني على قدر معلوم من هذه الحقيقة.

وسأدلي بهذا الميسور، وأعرضه في هذه الصفحات وأنا أعرف حدودي، وأن هذه المهمة شاقة وعسيرة، والدافع الأول أن يكون هذا العرض نافذة على نظرية النسبية، عسى أن تمهد الطريق للقارئ إلى الإمام بها ولو بصورة إجمالية، وتشجعه على المضي في مطالعة هذا الموضوع المهم ومراجعته.

الطبيعة بين القديم والحديث:

كان القدماء يفسرون الطبيعة في غيابها وبمعزل عنها، ويصفونها بما يتخيلون ويتصورون دون أن يعتمدوا على حس وتجربة، ومن ذلك - على سبيل المثال - قول اليونانيين: المادة بشتى أنواعها تتكون من أربعة عناصر: (النار، والماء، والتراب، والهواء). وعلى أساس هذه الفكرة الخاطئة أرسلوا أحكاماً مطلقاً على الطبيعة وأشياءها، لأن هذه الأشياء الأربعة - في زعمهم - لا يطرأ عليها زوال أو تغيير ولا تقليم أو تطعيم.

وفي هذا القول ثلاثة أخطاء :

أولاً: من شرط العُنصر أن يكون بسيطاً لا مُركباً، والماء مُركب من عُنصرين، وربما غيره من الثلاثة.

الخطأ الثاني: أكتشف العلماء حتّى الآن أكثر من مئة عُنصر تتألف منها المادّة.

الخطأ الثالث: أنّ العناصر يطرأ عليها التّغيير والتّحويل، وتأتي الإشارة. وبمرور الزّمن أنّفتت كلمة العلماء والفلاسفة على أنّ الطّريق الوحيد لمعرفة الطّبيعة وكنوزها هو الحسّ والتّجربة، وليس الحدس والأوهام. وبهذا سيّطر الإنسان على قوى الطّبيعة، وأستخدمها لتحقيق أغراضه، وتوالت فتوحات العلم في شتّى جوانب الحياة حتّى أستحال على الإنسان أنّ يُحقق أي شيء بدون علم. وفوق ذلك أصبح العلم شمشون العصر الحديث بقُبلته التي ألقاها فوق هورشيما وناجازاكي... ولولا توازن القوى لكان الأقدر و«الأقذر» بطُغيانه وعدوانه وهو الحاكم بأمره، والمُسيطر على كلّ ما في الطّبيعة من أقوات وكلّ من في شرق الأرض وغربها من بشر ومخلوقات. وصدق الله العليّ العظيم: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ﴾ (١).

المادّة والنسبيّة :

هُناك قضيتان عامتان ومحتومتان بمنطق علم الطّبيعة، وهما من أخص خصائص المادّة وخطوطها الكُبرى.

القضية الأولى: أنّ المادّة في حركة دائبة ومُستمرة لا تَسْتقر على حال واحدة

أياً كان نوعها.

القضية الثانية: أن كل الأحكام التي تُطلق على شيء مادّي يجب أن تكون نسبيّة بدون استثناء، وهذه القضية فرع عن الأولى تماماً كالنتيجة بالقياس إلى مقدماتها، ويتّضح ذلك في رقم (٢) وإليك البيان.

المادّة والذرة:

١ - أثبتت البحوث والتجارب أن العالم المادّي بشتى أنواعه وأجزائه مكوّن من عناصر بسيطة، لأن أجزاء المركب لا بُدّ أن تنتهي إلى البساطة كالأكسجين والهيدروجين، وإلاّ فلاّ أجزاء على الإطلاق... والجهود الآن مُستمرة لاكتشاف عناصر أخرى... وكلّ عنصر من عناصر المادّة يُمكن تقسيمه وتجزئته إلى الجزء الأخير الذي لو أمكن تجزئته بطريق أو بآخر لا ينتقل وتحوّل من عنصره وطبيعته إلى طبيعة ثانية. وهذا الجزء هو المُسمّى بالذرة.

ومعنى هذا أن تكوين المادّة يبدأ أوّل ما يبدأ بالذرة، وهي أعجب العجب، فقد شغلت الأذهان، وأثارت الجدل، وملأت القلوب رهبةً وخوفاً على حياة الإنسانيّة جمعاء، لأنّ تحطيمها وتحويلها إلى طاقة يُحوّل مدينة كبيرة إلى هباء ويباب... وللذرة علم خاصّ، وعلماء مُبدعون ومُلهمون، ولكن أكثرهم لا يصغون إلى صوت الضمير! قال كاتب مُعاصر: «سلم آينشتين مفاتيح جهنّم للعلماء، وللأساسة المجانين، وللمجانين من هواة الحرب».

علماء الذرة:

وقال علماء الذرة: أنّها مكوّنة من جزئين: أحدهما موجب وهو البروتون، وآخر سالب وهو الألكترون، يدور حول قطبه كما يدور الكوكب حول الشمس،

وأنه يقطع في دورانه مسافة تبلغ (٣٠٠) ألف كيلومتر في الثانية باعتبار فلكه .
وفي كتاب الألكترون وأثره في حياتنا ما نصّه بالحرف: «بلغ الألكترون من الصغر بحيث لم يره إنسان قطّ حتى بإستعمال أعظم المكبرات قوّة، ونستطيع أن نتصور أن البلايين منه قد لا تصل إلى وزن أخف ريشة . وكلّ شيء في الكون مهما بدا مختلفاً عن غيره من الأشياء يستحيل أن يخلو من الأكترون»^(١) .
وإذا كانت كلّ مادة لا تخلو من الألكترون الذائب السريع في مسيره، فمعنى هذا أنه لا شيء من الطّبيعة ساكن جامد، وإن بدا كذلك للعيان .

قال روجية جارودي ما نصّه بالحرف الواحد: «لقد أكتمل المفهوم الحديث للطّبيعة بخطوطه الكبرى، فصار منحلّاً كلّ ما كان صلباً، ومتحرّكاً كلّ ما كان ثابتاً، وفانياً كلّ ما كان أزلياً، وثبت أن الطّبيعة تتحرك في سيالة ودائرة أبديتين»^(٢) .

وهذه العبارة أو النظرية الحديثة هي التفسير الصحيح الصريح لقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرًّا السُّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْشَأَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ رَحِيمٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾^(٣) .

فهل هذا الذي اكتشفه العلم الحديث وقّالته النظرية التسيبية - من فطرة مُحَمَّد ﷺ وفهمه، أو من وحي بيئته وثقافته، أو من التوراة والإنجيل وبُحيرى الرّاهب؟ ... كلاًّ وألف كلاًّ. أنه من خالق الجبال والطّبيعة بمن فيها وما فيها من الكنوز والعناصر التي كلّما بلغ العلم منها أفقا غابت عنه آفاق وآفاق في كون لا

(١) أنظر، كتاب الألكترون وأثره في حياتنا تأليف جين بندق ترجمة أحمد أبو العباس : ٩ .

(٢) أنظر، روجية جارودي في كتاب النظرة المادية في المعرفة ترجمة إبراهيم قريط : ٦٤ .

(٣) النمل : ٨٨ .

حصر له ولا حدّ: «فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ»^(١).

وكلّ من قرأت له في هذا الموضوع يذكر هذه الجملة: «كلّ ذرّة هي مجموعة شمسيّة، أي هي كالشمس تدور حولها كواكب سيّارة. وفي مجلّة المجلّة مقال لمحمّد محمود غالي بعنوان الذرة، جاء فيه أنّ الكاتب قرأ كتاباً صدر في أمريكا تأليف جون ني، ذكر المؤلف أنّ عليّ بن أبي طالب أشار إلى الذرة بقوله: «إذا فتحت الذرة تجد فيها شمساً»^(٢).

وفي ذات يوم تكلم الإمام عليه السلام ما يشبه ذلك.

«يَا أَحَنَفُ، كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ، وَلَا لَجَبٌ، وَلَا فَعْقَعَةٌ لُجُمٍ، وَلَا حَمَمَةٌ خَيْلٍ. يُثِيرُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَقْدَامُ النَّعَامِ. فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: لَقَدْ أُعْطِيتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِلْمَ الْغَيْبِ! فَضَحِكَ ٧، وَقَالَ لِلرَّجُلِ، وَكَانَ كَلْبِيًّا:

يَا أَخَا كَلْبٍ، لَيْسَ هُوَ يَعْلَمُ غَيْبٍ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلَّمَ مِنْ ذِي عِلْمٍ. وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ، وَمَا عَدَدُهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: «إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَآذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»^(٣)، فَيَعْلَمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ، أَوْ أُنْثَى، وَقَبِيحٍ، أَوْ جَمِيلٍ، وَسَخِيٍّ، أَوْ بَخِيلٍ، وَشَقِيٍّ، أَوْ سَعِيدٍ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطْبًا، أَوْ فِي الْجَنَّةِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقًا. فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ،

(١) الحاقّة: ٤٠.

(٢) أنظر، مجلّة المجلّة المصريّة السّنة التاسعة العدد (٩٩) مقال لمحمّد محمود غالي.

(٣) لقمان: ٣٤.

وَمَا سَوَى ذَلِكَ فَعَلِمَ عَلَّمَهُ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ فَعَلَّمَنِيهِ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيهِ صَدْرِي،
وَتَضَطَّمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي»^(١).

النَّسَبِيَّةُ الْعَامَّةُ :

٢ - تنقسم النسبية إلى نسبية محدودة وهي التي تختص بموضوع معين كنسبية الزمان التي نُشير إليها بعد قليل، ونسبية عامة تشمل جميع الحقائق الطبيعية بلا استثناء، لأن المادة في حركة سريعة ودائبة، ومن المعلوم أن الحركة تغيير وأن المتغير يتحول من حال إلى حال، والمتحول لا قياس له، ولا يُحكم عليه إلا مُقيداً ومنسوباً إلى شيء آخر.

وفوق ذلك تتحول المادة إلى طاقة كإبادة (هيراكليس) التي كانت نتيجة لإبادة مقدار صغير من المادة، حولها العلماء إلى طاقة، وهذه بدورها حولت المدينة إلى أنقاض، وأيضاً تتحول الطاقة نفسها إلى طاقة من نوع آخر، كما يقول العلماء، أما تحويل الطاقة إلى مادة فهو من المسلمات الأولية، وعلى سبيل المثال: أشعة الشمس تمتصها الأشجار فتتمو وتصبح كتلة لها ثقلها ووزنها... وقد توصل العلماء إلى تخزين هذه الأشعة في بطاريات، تدفع بالعجلات، وتسد الكثير من الحاجات.

هذي هي المادة في واقعها، على الضد تماماً مما تبدو أمام أعيننا، ونعرفه عنها... حتى الظاهر منها للعيان يختلف من شخص لآخر - مثلاً - إذا وقعت حصاة من يد ركب في قطار يسير على خطٍ مُستقيم - فإنه يرى مسير الحصاة أيضاً على خطٍ عامودي ومُستقيم، أما الواقف على الأرض فيرى مسيرها مُنحنيًا،

(١) أنظر، نهج البلاغة: الخطبة (١٢٨).

ومعنى هذا أن مسرى الحصة بالنسبة إلى المسافر غيره بالنسبة إلى الواقف .
وهكذا تختلف صور الأشياء المرئية تبعاً لحال الرائي والشيء الذي يراه ،
وإذن فمخال على شخصين أن يتفقا على رؤية ظاهرة واحدة أتفاقاً كاملاً ومن
كل وجه ، بل محال أن تتفق رؤيتان لشيء واحد من شخص واحد مع اختلاف
أحواله وظروفه ، بل ذات الكثير من الناس تتقلب تبعاً للظروف ، فكم رأينا رجالاً
أتقياء أمناء في حال ، تحولوا إلى خونة أشقياء في حال أرفع وأمنع ... حتى
الفولاذ يصير بُخاراً إذا كان في بيئة ملائمة .

وبكلام أجمع وأمنع أن كل أشياء الطبيعة الصلب منها والمائع والنامي
والجامد ، إن هي في واقعها المستقل عن معرفتنا إلا ذرات أو وحدات أو
شررات ، قل ما شئت ،^(١) لا وزن لها ولا طول ولا عرض ولا عمق ، أي تستعصي
على الملاحظة والقياس ، وهي تدور في فلكها الواسع باستمرار وبلا قرار ... وما
دامت هذه هي حال المادة في واقعها فكيف نحكم عليها بأحكام مطلقة وثابتة
إلى الأبد .

أجل ، هي في ظاهرها صلبة وجامدة ، فإذا أردنا الحكم عليها بموجب هذا
الظاهر وجب تقييد الحكم منسوباً إلى حواسنا المحدودة ، وإن أردنا التعبير عنها
بما هي عليه من حركات وجذب ودفع وتفاعل ، قيّدنا التعبير بصفاتها الحالية مع
ملاحظة الزمان والمكان ... والمهم أن تعكس أقوالنا عن المادة الاعتراف
بوجودها الواقعي المستقل بذاته ، وأنها تتغير وتتحوّل ، وقد يطرأ عليها الزوال

(١) اختلفت كلمات العلماء والفلاسفة في هذه الوحدات ، فمنهم من عبّر عنها بحوادث سريعة متتابعة ،
وآخر بالتموجات والإشعاعات ، وثالث بالأشباح الشبيهة بالتي يتحدث عنها الروحانيون . والمُراد
واحد ، وهو أن أي شيء مادي من الذرة إلى المجرة ينطوي على العالم الأكبر . وقد يقال : كل شيء
فيه جزء من كل شيء .

والأقول، وأنها في حالاتها وصفاتها لا يتعلق وجودها بإدراكنا ومعرفتنا. وعندئذ نكون في أقوالنا موضوعيين وملتزمين بالنسبية الطبيعية الآينشتاينية.

الزّمان - المّكان :

قد يسأل مُتسائل: هل هناك شيء واقعي مُستقل بذاته أسمه زمان، وآخر كذلك أسمه مكان، تتحرك فيهما الأجسام، وتحدث الأحداث تماماً كأناءين تملأهما - مثلاً - بما أردت من شيء، وأنّ الزّمان لا عين له ولا أثر، وإنما هو مجرد تسمية وأصطلاح لحالات تمر كالليل والنهار وفصل الصيف والشتاء، وكذلك كلمة المكان تُطلق على جسم يُمكن أن يحوي شيئاً آخر؟

الجواب:

كان من قبل في مفهوم الناس أن كلاً من الزّمان والمكان نوع من الأشياء الفارغة يوضع بها أشياء آخر حتى جاءت النظرية النسبية فنفت الزّمان من الأساس، وأعتبرته مُلتحماً بالمكان يُؤلّفان معاً حركة واحدة ونسيجاً واحداً كما سنوضح، وأيضاً نفت المكان المُطلق الثابت الذي لا يتغير ولا يتبدل، وأثبتت المكان المُقيد والمحدد بحال معينة، لأنّه في حركة دائمة دائبة - مثلاً - إذا أردت أن تُحدّد جبلاً أو بلدًا في نقطة معينة تُعذر عليك أن تُحدده بقول مُطلق دون قيد، لأنّ الأرض تدور حول الشمس، وعليه يكون البلد أو الجبل مُحاذياً لكوكب معين في هذه اللحظة الخاصّة - على فرض ثبوته - وفي اللحظة الثانية يكون مُحاذياً لكوكب آخر... وهكذا إلى غير نهاية، وإذا تُعذر التحديد المُطلق يتعين التحديد النسبي المُقيد، فنقول - مثلاً - كان البلد المُسمى بغداد في الدقيقة الأولى من الساعة كذا مُحاذياً لعطارد. وهذا معنى نسبية المكان.

أمّا الزّمان فلا وجود له إطلاقاً كما أشرنا، غاية ما في الأمر أن الإنسان أراد أن

يُرتب أعماله ويضبط السابق منها والأحق، فلم يجد قياساً لذلك أسهل وأفضل من دوران الأرض حيث تدور حول نفسها في اليوم دورة كاملة، فجزأ الإنسان هذه الدورة إلى (٢٤) جزءاً، وأخترع الساعة كرمز إلى دورة الأرض بالثواني والدقائق والساعات المشار إليها بانتقال العقرب من رقم إلى رقم، ثم أطلق على هذه العملية اسم الزمان، ومعنى هذا في جوهره أن الزمان هو دورة الأرض أو الساعة، بل عقربها، ولا شيء وراء ذلك.

وهذا عين ما أزداد آينشتين بقوله: (الزمان - المكان).

وبعد، فقد عكفتُ على قراءة ما كتبت عن الزمان عند آينشتين عشرات الصفحات، وبذلتُ في ذلك جهداً مضمناً أمداً غير قصير، وما أنتفعتُ بشيء مما قرأتُ كما أستفدت بهذه العبارة الجامعة المانعة على إيجازها: «ما السنون والفضول والأيتام إلا مقاييس لمكان الأرض من الشمس والنجوم». وحيثما الله كل من سهل العسير على عباد الله وعياله، وأراحهم من العناء والبلاء.

البعد الرابع:

البعد في اللغة: ضد القرب، والمراد به هنا ما يقاس طولاً وعرضاً وعمقاً، وهذه الأبعاد من أخص خصائص المكان حيث لا قياس ولا هندسة من غير مكان. وحصر الأولون أبعاد الجسم بطوله وعرضه وأرتفاعه. ولكن آينشتين أضاف إليها بعداً رابعاً، وهو الزمان، لأن كل ظاهرة طبيعية لا بد أن تجري في المكان والزمان معاً، ولا سبيل إلى فصل أحدهما عن الآخر. كيف وهل من الممكن أن يجري ويحدث شيء بلا حيّز وأن؟

وعليه فإذا أردت أن تقيس أي جسم فيلزمك أن تذكر مقدار طوله وعرضه وعمقه والزمان الذي جرى فيه القياس والتحديد، لأن المادة كل لحظة هي في

شأن، فقد تنتقل من عنصر إلى ضده، وقد تنموا أو تذبذب... إلى غير ذلك من الطوارئ، وإذن فلا يمكن الحكم على أي شيء من أشياء المادة حكماً مطلقاً بلا أي قيد، بل يجب أن تكون كل أحكامنا نسبية ومقيدة بزمان المحكوم عليه حين الحكم مع ملاحظة مقوماته وخصائصه. وهذا هو بالذات ما تعنيه النظرية النسبية.

ومجمل القول أن النظرية النسبية ترى كل أشياء الطبيعة وقائع وحوادث من الذرات إلى المجرات... ومن أقوال آينشتين: أن الذرة الصغيرة هي صورة عن عالم الأفلاك الكبير، ومنسجمة مع قوانين الطبيعة ونواميسها... ليس العالم سوى مادة متحركة ومتغيرة.

وعليه فكل الأحكام على الطبيعة وأشياءها يجب أن تكون نسبية وأنية لا مطلقة ونهائية.

وهناك جوانب كثيرة للنسبية، تركت الحديث عن بعضها، لأنني غير مؤهل لمعرفة، وبعضها الآخر يتطلب فهمة وإدراكه جهداً مضمناً من أمثالي... وحسبي من النظرية النسبية ما عرضت وأبديت... ومع هذا أخشى أن يكون بعيداً عن دقة العلم... ولكنه شيء قد يقرب القارئ إلى هذه النظرية العالمية الحاسمة... حتى آينشتين قال بصراحة وبلا تواضع: أن علمي نقطة من بحر. وهو سبحانه المسؤول أن يزيدنا فهما وعِلماً.

أنظر، أهم المصادر لهذا الفصل:

- ١ - تكوين العقل الحديث تأليف جون هارمان ترجمة جورج طعمة ج ٢.
- ٢ - النظرية المادية في المعرفة تأليف جارودي ترجمة إبراهيم قريط.
- ٣ - مناهج الفلسفة تأليف ول ديوارنت ترجمة إبراهيم بيومي ج ١.

- ٤ - الفلّسفة بنظرة علمية تأليف راسل ترجمة زكي نجيب محمود.
- ٥ - نحو فلسفة علمية تأليف زكي نجيب محمود.
- ٦ - الألكترون وأثره في حياتنا تأليف جين بندك ترجمة أحمد أبو العباس.
- ٧ - المجلّد الأوّل من دائرة المعارف اللُّبنيّة.

حول كونفوشيوس وفلسفته

فئات الفلاسفة :

من ألم بالفلسفة وتأريخها يلاحظ أن الفلاسفة فئات ثلاث :

١ - فئة تدعم الأوضاع القائمة أياً كان نوعها، ويُقال لهؤلاء رجعيون، ومنهم أفلاطون وأرسطو حيث أكدوا معاً بأن الشرفاء الأحرار لا يُمارسون أي عمل بأيديهم، بل ينصرفون إلى التأمل العقلي المحض، وكانت النتيجة لهذه النظرة تقسيم الناس إلى صنّاع، وعمّال مُنحطين، وسادة وأرباب عمل مُمتازين .

ولأعرف فيلسوفاً أكثر رجعية من هيجل - على الرغم من نظريته الديالكتيكية التي جعلته الصدر الأعظم لإتجاهات الفلسفة المعاصرة - لأنه أعتبر الفوارق العرقية والاجتماعية أمراً محتوماً لا مفرّ منه، وأن كل رغبة في إزالتها مآلها الفشل والإخفاق لا محالة لأنها تهرب من وضع تأريخي ضروري بزعمه^(١) .

(١) خصّصت مجلة الفكر المعاصر المصرية العدد (٦٧) للحديث عن -فلسفة هيجل، وأشترك فيه (١٦)

٢ - تهدف الفئة الثانية إلى قلب الفاسد من الأوضاع القائمة، وتتطلع إلى ما هو أحسن وأفضل. ويُقال لهؤلاء تقدميون، ومنهم الفيلسوف الإنجليزي جون لوك الذي قال: «الأخلاق تُوجد القانون، وليس القانون يُوجد الأخلاق».

٣ - ترفض الفئة فلسفة الفئتين، وترى أن مهمة الفيلسوف أن يدرك الوضع الحاضر ويفهمه لأن يقره أو يغيره، لأن غاية الفلسفة نظرية لا علمية تطبيقية تماماً كما يقال: الفنّ للفنّ، والفهم للفهم، ويُطلق على هؤلاء كلمة محايدون، وقال الفيلسوف الإنجليزي رُسل: أنا من هؤلاء^(١).

ولأصلة لهذه التقسيم والتنوع بالعصر والزمان، فقد يجتمع التقدمي والرّجعي والمحايد في عهد واحد، أو يسبق التقدمي عصره بمئات السنين، فقد عاش كونفوشيوس في القرن السادس قبل الميلاد، ومع ذلك ثار على تقاليد قومه وأوضاع عصره، وفيما يلي نعرض طرفاً من تعاليمه.

الإنسان أخو الإنسان:

قال كونفوشيوس: «كلّ الناس أخوة، فلا تميّز عنصري ولا مكانة إجتماعية، فكلّ إنسان هو الإنسان، ولا واحد منهم حيوان وآخر إله».

« كاتباً منهم فؤاد مرسي، وعنوان كلمته الدولة عند هيجل، ومنها ما ذكرناه عنه.

(١) أنظر، كتاب رُسل يتحدث عن مشكلات العصر: ١٥٧.

وهذا الحكم طبيعي وبديهي ما دام الكل من معدن ومعمل واحد، وفي طبيعة وماهية واحدة، وإلى هذا أشار سبحانه بقوله: «يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ نَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ»^(١). وقوله: «مَنْ نَكَرَ وَأُنْثَىٰ» يُشير إلى أن الناس كلهم أخوة لأُمّ وأب، وكلمة «لِتَعَارَفُوا» تُوَمِّئ إلى أن الاختلاف في البلاد والأنساب والألوان ليس جوهرياً وفارقاً أساسياً، وإنما الهدف منه التآليف والتكاتف على مصلحة الجميع. ومعنى الآية بجملتها أن كل إنسان هو مواطن عالمي شقيقاً كان أم غريباً، وأن أية حكومة لا تكون ولن تكون حكومة حقاً وصدقاً في دين الله والإنسانية إلا إذا كانت عالمية في مقاصدها وأهدافها، تُحِبُّ لغيرها ما تُحِبُّ لنفسها.

ويؤكد هذا المعنى الحديث الشريف: «الناس كلهم أحرار، كلهم سواء تماماً كأسنان المشط»^(٢). «فلا فضل لعربي على أعجمي، ولا لقرشي، ولا لصحابي إلا بالتقوى»^(٣). «الناس كلكم من آدَمَ وآدَمَ مِنْ تُرَابٍ»^(٤). وما دام كل الناس من

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) أنظر، الفردوس بما نور الخطاب: ٢٩٨/٢، طبعة بيروت، و: ٤/٣٠٠ ح ٦٨٨٢ و ٦٨٨٣، ميزان الإعتدال في نقد الرجال: ٣٠٧/٣، تحف العقول: ٣٦٨، لسان الميزان: ٤٢/٢ ح ١٥٣ و: ٩٨/٣، صفوة الصفوة: ٢٠٤/١، علل ابن أبي حاتم: ١١١/٢ ح ١٨٢٩، نزهة الناظر وتبتيه العاظم: ٣٩ ح ١٢٠، كنز العمال: ٣٨/٩ ح ٢٤٨٢٢، تفسير الثعالبي: ٤٢٢/٣، الشفا بتعريف حقوق المصطفى: ٧٨/١، سبل الهدى والرشاد: ٩٥/٢، كشف الخفاء: ٤٣٣/٢ ح ٢٨٤٧، سبل السلام: ١٢٨/٣.

(٣) أنظر، تاريخ التقيوي: ٩١/٢، نيل الأوطار: ١٦٤/٥، حلية الأولياء: ١٠٠/٣، فتح الباري: ٥٢٧/٦، الترغيب والترهيب: ٣٧٥/٣ ح ٤٤٩٤، شعب الإيمان: ٢٨٩/٤ ح ٥١٣٧، مسند أحمد: ٤١١/٥ ح ٢٣٥٣٦، المعجم الأوسط: ٨٦/٥ ح ٤٧٤٩، سنن البيهقي: ١١٨/٩، سبل الهدى والرشاد: ٢٤٢/٥، بحار الأنوار: ٣٥٠/٧٣ ح ١٣، المقدم الفريد: ١٨٥/٢.

(٤) أنظر، سنن البيهقي: ١١٨/٩، سبل الهدى والرشاد: ٢٤٢/٥، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد:

تُرَابٍ وَإِلَى تُرَابٍ يُدَاسُونَ بِالْأَقْدَامِ ، فَعَلَامَ يَعْلُو وَيَفْخَرُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ ؟
 وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ تَعَالَى : «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ
 فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا»^(١) .
 وبالمُناسبة يَعْتَقِدُ الْيَهُودُ أَنَّ مَنْ قَتَلَ يَهُودِيًّا فَقَدْ قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ، أَمَّا الْيَهُودِيُّ
 فَلَهُ أَنْ يَقْتُلَ مَنْ يَشَاءُ وَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ الْيَهُودَ هُمْ شَعْبُ اللَّهِ الْمُخْتَارِ دُونَ الْعَالَمِينَ
 جَمِيعًا .

الحكومة وثقة الشعب :

وَقَالَ كُونْفُوشِيوسُ : «يَسْتَحِيلُ أَنْ يَسْتَمِرَّ وَجُودُ الشَّعْبِ إِلَّا بِوَجُودِ حُكُومَةٍ
 يَثِقُ بِهَا» . يُرِيدُ بِاسْتِمْرَارِ الشَّعْبِ فِي وَجُودِهِ قُوَّتَهُ وَأَزْدَهَارَهُ ، وَيُرِيدُ بِثِقَةِ الشَّعْبِ
 أَنْ يَكُونَ مِنَ الْأُمَّةِ وَاللُّأُمَّةِ .
 وَهَذِهِ الْحِكْمَةُ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمَةِ ، وَأَعْلَى مَا فِيهَا أَنَّهَا أَمْنِيَّةُ كُلِّ وَاعٍ وَمُخْلِصٌ ،
 وَهِيَ الْأَصْلُ وَالْبَاعِثُ عَلَى لِقَائِنَا مَعَ كُونْفُوشِيوسُ فِي هَذَا الْفَصْلِ ... لَقَدْ تَكَلَّمَ
 الْعُلَمَاءُ وَالْفَلَسَفَةُ عَنِ الدَّوْلَةِ الْمَثَالِيَةِ وَأَطَالُوا ، وَبَعْضُهُمْ وَضَعَ فِيهَا كُتُبًا خَاصَّةً ،
 فَلَأَفْلَاطُونُ جُمْهُورِيَّتَهُ ، وَلِلْفَارَابِيِّ مَدِينَتَهُ الْفَاضِلَةَ ، وَلِلْعَقَادِ كِتَابَهُ الْقِيمِ «فَلَسَفَةُ
 الْحُكْمِ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ» وَلِلْفَيْلسُوفِ الشَّاعِرِ إِقْبَالَ ، وَالشَّيْخِ مُحَمَّدَ عَبْدِ آرَاءِ
 سَدِيدَةٍ فِي الدَّوْلَةِ وَرَئِيسِهَا .

وَالآنَ (سَنَةُ ١٩٧٧ م) وَنَارُ الْحَرْبِ اللَّبْنَانِيَّةِ الْأَهْلِيَّةِ الَّتِي أَضْرَمَتْهَا الصَّهْيُونِيَّةُ
 وَأَذْنَابُهَا - لَمْ تَهْدَأْ بِالْكَامِلِ - يَدُورُ جَدَالٌ عَقِيمٌ وَسَقِيمٌ حَوْلَ الدَّوْلَةِ الْأَصْلَحِ لِللُّبْنَانِ :
 الْعِلْمَانِيَّةُ أَمْ الدِّينِيَّةُ ؟ .

« ١٧ / ٢٨١ ، بَحَارُ الْأَنْوَارِ : ٣١ / ٣٥ .

(١) الْمَائِدَةُ : ٣٢ .

وعلى ضوء الأوضاع الحاضرة وبوحي من المصلحة العامة، نقول مع الحكيم القديم: لا حول ولا قوة للشعب إلا بحكومة يثق بها... ومن البديهة بمكان أنها لن تنال ثقة الشعب إلا أن تكون كفؤاً وأهلاً لممارسة السلطة والقيام بأعبائها على أساس الحق والعدل والمساواة بين جميع المواطنين. وبكلمة أن تكون حكومة بالمضمون حقاً وحقيقة، أما الشكل فلا يهم، لأن الحكومة وسيلة لا غاية، وأداة لإحقاق الحق لا مجرد زعامة ورياسة، وبهذا نجد التفسير السليم لقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «والله لأسلمن ما سلمت أمور المسلمين، ولم يكن فيها جور إلا عليّ خاصة، التماساً لأجر ذلك وفضله، وزهداً فيما تنافستموه من زخرفه، وزبرجه»^(١).

لأفضيلة بلا عدل في التوزيع:

وقال كونفوشيوس: «الفضيلة استخدام الموارد الطبيعية في تحسين معيشة الشعوب»^(٢) يشير بالموارد الطبيعية إلى الإنتاج بشتى أنواعه، ويريد بتحسين معيشة الشعوب توزيع الإنتاج بالعدل، وتنظيمه تنظيماً مخططاً تبعاً لمصلحة الجميع بحيث لا يكون هناك إنسان واحد بلا مأوى وغذاء ولا علاج وكساء. وقد استقرأت أقوال الفلاسفة وعلماء الأخلاق حين ألّفت كتاب فلسفة الأخلاق في الإسلام، وما رأيت أحداً أدخل في تعريف الخير ومفهوم الفضيلة الإنتاج والتوزيع مع العلم بأن العوز والفقر يؤديان إلى أمهات الرذائل بنص الحديث الشريف: «كاد الفقر أن يكون كفراً»^(٣). و«الفقر الموت الأكبر»^(٤) كما

(١) أنظر، نهج البلاغة: الخطبة (٧٤).

(٢) أنظر، مجلة الدراسات الأدبية التي تصدر عن الجامعة اللبنانية، مجموعة السنة الرابعة: ١٩٤.

(٣) أنظر، مُسند الشَّهاب لمُحمَّد بن سلامة بن جعفر الفُضاعي، حَقَّقَهُ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ، حَنْدِي

قَالَ الْإِمَامُ ، وَالْوَصْفُ بِالْأَكْبَرِ يُؤْمَىءُ إِلَى أَنْ أَقْسَى ، وَأَشَدَّ مِنَ الْمَوْتِ الْمُعْتَادِ .

الإحتكار والفقر :

وَرُبَّ مُتَسَائِلٍ عَنِ السَّبَبِ الْمَوْجِبِ لِلْفَقْرِ وَجَرَائِمِهِ ؟ .

الجواب :

قَالَ كُونْفوشيوس - وَكَانَهُ يُجِيبُ عَنِ هَذَا السُّؤَالِ - مَا مَعْنَاهُ أَنْ السَّبَبَ الْمَوْجِبَ لِلْفَقْرِ وَلَكَثِيرٍ مِنَ الْمَسَاوِيءِ هُوَ أَحْتِكَارُ الْمُحْتَكِرِينَ الطَّغَاةَ وَشُغْلَهُمُ الشَّاعِلَ بِمَا لَهُمْ مِنْ أَمْتِيَازَاتٍ ... وَلَوْلَا هَؤُلَاءِ وَمَنْ يَقِفُ وَرَاءَهُمْ مِنْ حَكَّامٍ وَسَمَاسِرَةٍ لَمَا كَانَ هُنَاكَ مُجْرَمُونَ ، وَلَتَرَكَ النَّاسُ أَبْوَابَهُمْ مَفْتُوحَةً لَيْلًا وَنَهَارًا^(٥) .

قَالَ كُونْفوشيوس هَذَا يَوْمَ لَا شَرَكَاتٍ مُسَاهِمَةٌ ، تَحْتَكِرُ بِنَايِيعِ الذَّهَبِ الْأَسْوَدِ الَّذِي يَتَدَفَّقُ أَبْحْرًا فِي شَرْقِي الْأَرْضِ وَغَرْبِهَا ، وَتَمْتَلِكُ مَنَاجِمَ الصَّلْبِ وَالْمَعَادِنِ بِشَتَّى أَنْوَاعِهَا ، وَتَفْرُضُ إِرَادَتَهَا عَلَى كُلِّ شَعْبٍ مُسْتَضْعَفٍ بِمَا تَشَاءُ وَتَهْوَى ... قَالَ هَذَا حَيْثُ لَا مَارْكَسَ وَلِينِينَ وَلَا إِنْجِلْزَ وَسْتَالِينَ . وَإِذَنْ فَمَنْ أَيْنَ أَسْتَقِي كُونْفوشيوس هَذَا الْوَحْيَ الْمُشْرِقَ ؟ هَلْ نَزَلَ عَلَيْهِ مِنَ السَّمَاءِ ؟ . كَلَّا ، أَنَّهُ لَيْسَ نَبِيًّا وَلَا أَدْعَى النَّبُوَّةَ لِنَفْسِهِ ، ثُمَّ هَلْ مِنَ الضَّرُورِيِّ أَنْ لَا تَصْدُقَ الْفِكْرَةُ وَالنَّبُوَّةُ إِلَّا إِذَا

« عبدالمجيد الشلبي: ٣٤٢/١ ح ٥٨١، فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٥٤٢/٤ و: ٥٥٨/٥، ميزان الاعتدال للذهبي: ٢٠٤/٢ ح ٢٠٤ و: ١٧٤٦ و: ٢٣١/٧ ح ٩٦٦٩، الملل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي: ٨٠٥/٢ ح ١٣٤٦، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي لعبد الرحيم المباركنفوري الهندي: ١٧/٧ و: ٤٥/١٠، كشف الحفاء للجعلوني: ١٤١/٢ ح ١٩١٩، الكافي: ٣٠٧/٢ ح ٤، الخصال للشيخ الصدوق: ١٢ ح ٤٠، الجامع الصغير: ٢٦٦/٢ ح ٦١٩٩، كنز العمال للمفتي الهندي: ٤٩٢/٦ ح ١٦٦٨٢.

(٤) أنظر، نهج البلاغة: الحكمة (١٦٢).

(٥) أنظر، مجلة الدراسات الأدبية التي تصدر عن الجامعة اللبنانية، مجموعة السنة الرابعة: ١٩٤.

كانت من السماء؟ وإذن بأي شيء نُثبت أن السماء تتكلم وتُوحى بالحق والصدق؟ ولو عقل العاقل لإستوى الإنسان والحيوان.

أن هذا الوحي من نتاج العقل الخالص والقلب السليم، وثمرة يانعة لفطرة الله التي فطر الناس عليها، جميع الناس، وكلّ عاقل يتجرد عن التقاليد والأهواء يُدرك الكثير من الحقائق تلقائياً بلا تعلّم ومُعلّم، بل يصبح هو مُعلماً ومصدراً للحكمة البالغة، يُزجّيها إلى الناس في كلمات أخّاذة نفاذة تماماً كما فعل كونفوشيوس.

قاعدة العمل الصالح:

وقال له أحد تلاميذه: هل من كلمة واحدة تكون قاعدة لعمل الإنسان طيلة حياته؟

قال كونفوشيوس: أجل، لا تصنع بالآخرين ما لا تُريد أن يصنعوا بك... لا تتصور نفسك كبيراً كيلاً يصبح الناس عندك صغاراً... لا فضيلة أسمى من أن تحبّ جميع الناس على السواء... ولا هدف لحكومة الحق إلا أن تعمل الخير للجميع... أن الإنسان هو أهم ما يجب أن يهتم به الإنسان.

وهذي هي بالذات رسالة السماء، وعليها يجب أن تقوم وترتكز كلّ الأديان والعلوم والشرائع، وأي شيء يبقى للدين والعلم والأخلاق والحضارة لو أهدرنا قيمة الإنسان وكرامته؟

وبعد، فإن كونفوشيوس لم يتخرج من جامعة أو يحضر حلقات الدروس أو يحمل أيّة شهادة، وأيضاً لم يخترع شيئاً، أو يعتل عرشاً، أو يُنظم شعراً، بل كان مواطناً عادياً، ومع هذا جعلوه إلهاً، وأقاموا له معبداً، ونصبوا له تماثلاً من دون العديد من العلماء والشعراء والملوك والمخترعين... ولمّاذا؟... لا لشيء إلا

لأنه إنسان بالمعنى الصحيح، يهون عليه الموت، ولا يهون عليه أن يتنازل عن إنسانيته.

وهكذا الناس حتى شياطين الإنس يعبدون الإنسانية والإستقامة والنزاهة والأمانة ولو من وجهة نظرية. ويلعنون اللؤم والنفاق والشعوذة والغش والخيانة. وفي مجلة العربي الكويتية أن عدد الكونفوشيوسيين في الصين (٤٠٠) مليون^(١).

(١) أنظر، مجلة العربي الكويتية عدد أغسطس آب سنة (١٩٧٣م).

الإتحاد الدولي للجمعيات الفلسفية

المؤتمر الخامس عشر للفلسفة :

ليس العالم مجرد حافظ للأصول والقواعد، ولا المثقف مجرد سرد للوقائع والحوادث، ولا الفيلسوف مجرد محلل ومعلل، فعلى كل واحد من هؤلاء واجبات غير الحفظ والسرد، ومن أهمها أن يُحاول تغيير الواقع إلى الأفضل ولو بإيقاظ الوعي والقضاء على الخرافة، وأن يُشارك المُستضعفين الآمهم وأحلامهم، ولا يدع فرصة تمر إلا أغتنمها للعمل من أجلهم... فكَم قرأتُ عن هيئات تآلفت، ومؤتمرات عُقدت لهذا الهدف النبيل في غير بلادنا.

ومن ذلك كلمة مطولة بعنوان «العلم - التكنولوجيا - الإنسان»^(١) تحدّث كاتبها الدكتور مُراد وهبة عن الإتحاد الدولي للجمعيات الفلسفية ومؤتمره الخامس عشر المُنعقد في «فارنا - بلغاريا» سنة ١٩٧٢ م، وبلغ عدد المُشاركين فيه (١٨٧٧) فيلسوفاً من شتى بلاد العالم، وتدارسوا موضوعات كثيرة ومهمة جداً، لأنّها من القضايا الرئيسيّة وصميم الحياة الاجتماعيّة، وكلّ موضوع منها

(١) المراد بالتكنولوجيا تطبيق العلم على العمل. وهذا المعنى أستوحيناه من سياق الكلام الذي استعملت فيه هذه الكلمة، وقد يكون مخالفاً لما جاء في بعض المعاجم الفلسفية.

يَتَّسَع لِكِتَاب مُسْتَقِل^(١).

وَعَقَدْتُ هَذَا الْفَصْلَ لِأَعْرُضَ الْأَهْمَ وَالْأَكْثَرَ نَفْعاً مِنْ تِلْكَ الْقَضَايَا الَّتِي طَرَحَهَا
فَلِاسْفَةَ الْمُؤْتَمَرِ وَمَا قَالُوهُ حَوْلَهَا. ثُمَّ أُدْلِي بِمَا أَرَى مُؤَيِّداً أَوْ مُفْنِداً.

بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْفَلَسَفَةِ :

وَأَبْتَدَأُ الْمُؤْتَمَرُ بِالْبَحْثِ حَوْلَ قَضِيَةِ الصَّلَةِ بَيْنَ الْعِلْمِ وَالْفَلَسَفَةِ، فَقَالَ بَعْضُ
الْفَلِاسِفَةِ مَا مَعْنَاهُ أَنْ الْفَلَسَفَةَ إِذَا لَمْ تَرْجِعْ إِلَى الْعِلْمِ بِمَعْنَاهِ الْحَدِيثِ الضَّيِّقِ، فَمَا هِيَ
بِشَيْءٍ، وَكَلْنَا يَعْلَمُ أَنْ كَلِمَةَ الْعِلْمِ تُطْلَقُ عَلَى مَا يَتَّصِلُ بِالْإِنْتِاجِ كَمَا أَوْ كَيْفَاً، فَإِنْ
أَدَّتِ الْفَلَسَفَةُ هَذِهِ الْمُهْمَةَ فَمَرَحِباً بِهَا حَيْثُ تَكُونُ، وَهَذَا هِيَ الْحَالُ، وَإِنْ لَمْ
تَوْدِهَا فَهِيَ مَرْفُوضَةٌ، لِأَنَّهَا وَهْمِيَّةٌ بَحْتٌ.

فَأَعْتَرَضَ عَلَيْهِ آخِرُ مَا مَعْنَاهُ أَنَّ هَذَا الرَّأْيَ يَحْصِرُ الْمَعْرِفَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ بِالْعُلُومِ
الطَّبِيعِيَّةِ، وَيَرْفُضُ كُلَّ مَا يَدُورُ فِي عَقْلِ الْإِنْسَانِ، وَلَا يَفْسَحُ الْمَجَالَ لِعِلْمِ الْأَخْلَاقِ
وَعِلْمِ النَّفْسِ وَلَا لِلْفَنِّ وَالْآدَابِ وَالْفَلَسَفَةِ!. وَهَذَا هُوَ أَفْيُونُ الشُّعُوبِ بِالذَّاتِ^(٢).
وَنَحْنُ مَعَ هَذَا الْفِيلَسُوفِ الْمُعْتَرِضِ، وَقَدْ سَبَقَ لَنَا الْحَدِيثُ عَنْ ذَلِكَ، وَأَقَمْنَا
الدَّلِيلَ عَلَيْهِ فِي فَصْلِ «الْمَنْهَجِ الْعِلْمِيِّ فِي الْإِسْلَامِ» مِنْ هَذَا الْكِتَابِ، وَفِي فِلَسَفَةِ
الْأَخْلَاقِ وَغَيْرِهِ مِمَّا كَتَبْنَا وَأَلْفَنَّا.

وَنَعْطِفُ عَلَى مَا سَبَقَ: أَنَّ الْفَلَسَفَةَ تَرْفُضُ كُلَّ تَقْلِيدٍ وَإِعْتِقَادٍ تَعْسِفِيٍّ، وَتُضْغِي
لِكُلِّ نَاقِدٍ، وَتَسْتَرْشِدُ بِكُلِّ خِبْرَةٍ، وَتَدْعِمُ كُلَّ شَيْءٍ وَعِلْمٍ نَافِعٍ، وَتُحَدِّدُ مَنْهَجَهُ
الْخَاصَّ بِهِ، وَمَعْنَى أَنَّ الْفَلَسَفَةَ مُتَّصِلَةٌ بِالْحَيَاةِ أَتَّصَالاً مُبَاشِراً، بَلْ هِيَ مِنْ صَمِيمِهَا
تَمَاماً كَالْمَعْرِفَةِ الْعِلْمِيَّةِ، وَإِنْكَارِ ذَلِكَ تَعْسَفٌ وَمُكَابَرَةٌ.

(١) أنظر، مجلة الطليعة المصرية في عدد ديسمبر كانون الأول سنة ١٩٧٣ م.

(٢) أنظر، كتاب أفْيُونُ الشُّعُوبِ لِلْعَقَادِ، وَسَبِيلُ الْهُدَى وَالرَّشَادِ: ٣١/١.

بين الأخلاق والعلم :

ثمّ تحدث فلاسفة المؤتمر عن الصلة بين العلم والأخلاق، وأحتدم النقاش، وتعددت الإجهادات، فبعضهم أستبعد وجود العلاقة بين العلم والقيم الروحية، وقال: أن ميدان العلم هو الكشف عن قوى الطبيعة والتغلب عليها ليستخدمها الإنسان في مصلحته وسدّ حاجاته، ولا شأن للعلم بالقيم الأخلاقية والأمانى البشرية، أما الأخلاق فميدانها الحياة الاجتماعية والقيم الروحية وتحديد الخير والفضيلة والشر والزديلة، ولا شأن لها إطلاقاً بالكشوف والمخترعات.

ونحن مع الذي ردّ على هذا الفيلسوف وقال ما معناه أن الإنسان هو الهدف الأسمى والقيمة العظمى، وكلّ شيء ينبغي أن يكون لخيره وخدمته بخاصة العلم، فإنه من صنع الإنسان وعمله، ومعنى هذا أن العلم والأخلاق يلتقيان على صعيد واحد، وهو خدمة الإنسان وتحقيق أمانيه ورغباته. وبكلام آخر أن العلم يدور في فلك المادة، وتدور الأخلاق في فلك الروح، والإنسان من جسم وروح، فالعلم لمُتطلبات الأول، والأخلاق لمُتطلبات الثاني.

وقال ثالث ما مضمونه أن العلم قد أتى بأسلحة جهنمية تهدد بإزالة العالم من الأساس، وعلى الفلاسفة أن يقوموا بدورهم في هذه السبيل، ويطلبوا الدول الكبرى بالكف عن ابتكار الأسلحة الأشد فتكاً والأكثر تدميراً... وهذا هو الحد الأدنى من الأخلاق الذي يجب أن يتفق عليه جميع الأطراف.

وهذا الفيلسوف الذي نصح الجمعيات الفلسفية أن تقوم بدورها ضدّ حزب الشيطان، هو أمريكي، وأسمه «ارشي باهم» ولا أدري لأي حزب ينتمي، أو بأي دين يُدين، ولكنّي أعلم علم اليقين أنه إنسان بكلّ ما في هذه الكلمة من معنى الطيبة والصفاء، فقد رأى الإنسان يسعى لتدمير الإنسانية جمعاء، فأغتنم

فرصة وجودة في مؤتمر لا يمت إلى السياسة والحرب بصلة، ودعاً دعوة الحق بدافع من ضميره ووجدانه، وناشد الجمعيات الفلسفية أن تحتج وترفع صوتها ضد الأسلحة التي تتحدى كل حي على وجه الأرض.

وكم من مؤتمر عُقد باسم الديانة الإسلامية، والديانة المسيحية. وفي خُزيران من هذه السنة سنة (١٩٧٧ م) عُقد مؤتمر في «قرطبة - أسبانيا» ضمَّ رجالاً من الديانتين، وتكلموا من جملة ما تكلموا حول العداوات بين المسلمين والمسيحيين وعن افتراءات بعض المبشرين على نبي الإسلام ﷺ. ودعوا إلى المحبة.

وهذا جيد جداً، ولكن بشرط واحد وهو أن لا يكون تمهيداً وتخطيماً مديراً للإعتراف بدسائس الصهيونية وعدوان إسرائيل... ومن قبل، وفي سنة (١٩٦٥ م) بالضبط يرأبأبا رُوما اليهود من تبعة صلب السيد المسيح ﷺ.

وبيت القصيد في حديثنا هذا أن نتساءل: لماذا تجاهلت كل المؤتمرات الدينية حتى المختلطة - أسلحة الدمار والإبادة بالجملة؟ وما هو السر للسكوت على هذا المنكر؟ ألم يقل النبي ﷺ بوحى من السماء: «الساكت عن الحق شيطان أخرس؟»^(١). و«أفضل الجهاد كلمة عدل عند إمام جائر»^(٢). وأيضاً روى الإمام الحسين عليه السلام عن جده: «من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحرام الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغيّر ما عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يدخله مدخله»^(٣).

(١) أنظر، فقه السنة للشيخ سيد سابق: ٦١١.

(٢) أنظر، سنن الترمذي: ٣١٨/٣ ح ٢٢٦٥، المُصنّف لعبد الرزاق: ١١/٣٤٧ ح ٢٠٧٢٠، المُعجم الكبير: ٤٩/١٧، كُنز العمال: ٦٤/٣ ح ٥٥١٢، فيض القدير: ٢/٤٠ ح ١٢٤٦.

(٣) أنظر، أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين: ٢٢٨/٤ طبعة (١٣٦٧ هـ)، وتاريخ الطبري: ٣/٣٠٧، و: ٣٠٤/٣-٣٠٥، والكامل في التاريخ: ٣/٢٨٠.

وأخيراً، فأبي مُؤتمراً أو إنساناً يتجاهل هذه الأسلحة الجهنمية ومن هي في يده - فإنه يفقد أهميته وإنسانيته فضلاً عن دينه وضميره .

الإنسان في الولايات المتحدة :

وقال الدكتور وهبه في كلمته التي أشرنا إليها في أول هذا الفصل: « وثمة بحث طريف تقدّم به هيوارد بارسنز الأمريكي عنوانه (أزمة تدمير الإنسان في الولايات الأمريكية)، يقرّر فيه أن أزمة المجتمع الأمريكي تكمن في تدمير الإنسان، لأن اقتصاده محكوم بفئة قليلة، وموجهة إلى غايات غير إنسانية، ومن شواهد هذه الأزمة انتشار الفقر والمجاعة بنسبة (٤٠ ٪ و ٥٠) مليوناً من الأطفال يُعانون من اضطرابات عقلية، و (١٨) مليوناً يُدمنون شرب الخمر، و (٨) ملايين يتعاطون المخدرات، و (٢٠) مليوناً من الأميين غير المؤهلين للوظائف، بالإضافة إلى تزايد الجرائم وفساد البوليس ورجال القانون... وهذه كلها شواهد على إنهيار مُنظم للمجتمع الأمريكي ».

ولأعجب فإلى هذا مآل كلّ مُجتمع لا همّ وأهتمام ولا قصد وهدف لحكّامه ونظامه ولزعمائه وتجارته وعلمائه وكلّ من له حول وقوة إلاّ امتصاص ثروات الشعوب ودمائها، وإلى هذه الغاية وحدها يُوجهون كلّ ما في الوطن الأمريكي من طاقات مادية وأدبية .

وفوق هذا أن الثروات المُغتصبة من شرق الأرض وغربها، لا يُنفق منها أي شيء في تأميم العلاج الطبي أو مجانية التعليم - مثلاً - وإنما تذهب توالاً إلى جيوب المحترّكين الطغاة وسماسرتهم، وتتكدس في بنوكهم ومصارفهم، أمّا بناء السفن الفضائية والأقمار الصناعية وإنتاج الأسلحة الجهنمية، فكلّ ذلك وما إليه فهو من أموال دافعي الضرائب وكدح المواطنين والمستهلكين .

أبعد هذا يجهل جاهل أو يسأل سائل: لماذا تقف الولايات المتحدة بكل ما لديها من قوة إلى جانب الصهيونية وإسرائيل، وتهلل وتكبر لكل خائن وعميل؟ وهل من عاقل يسأل: لماذا يُسمع الإنسان بأذنيه، وينظر بعينه، ويمشي على رجليه؟ إن أعجب العجب أن لا تُبارك الولايات المتحدة، وهذا وضعها ونظامها ودينها ودينتها، كل عدوان وطغيان، بل وتحث عليه، بل وتشترك فيه بكلها وثقلها^(١). ولا أجد مظهراً لهذه الآية الكريمة: «كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ»^(٢) أطفئ وأجلى من الولايات المتحدة، ومن شك في هذا فليقرأ تاريخها في حرب الشرق الأقصى وفي اليابان وفيتنام.

ومعذرة أيها القارئ، فإنني أكتب هذه الكلمات في صيف سنة (١٩٧٧ م) وأهل بلدي وديني ومذهبي يُشردون من جنوب لبنان نساءً وأطفالاً بمئات الألوف هرباً من النار وبعد هلاك الأموال وخراب الديار، والسبب الأول الصهيونية والولايات المتحدة. وقديماً قيل^(٣):

أصابك النفر بما أبدعوا وما المسبب لو لم ينجح السبب

نحنُ والرأسماليةُ والشيوعيةُ:

وعلى أية حال، فنحنُ ضدَّ الرأسماليةِ الطاغيةِ البشعة، وضدَّ كلِّ نظامٍ يقوم

(١) توالى غارات إسرائيل العدوانية على جنوب لبنان، فشكت الحكومة اللبنانية إلى مجلس الأمن سنة (١٩٧٢ م)، فقدّمت بعض الدول قراراً لآ عقوبة فيه لإسرائيل ولإدانة لها، وإنما هو مجرد رجاء وطلب أن تُوقف غاراتها الانتقامية، فاستعملت الولايات المتحدة الفيتو ضدَّ هذا القرار. وقالت لإسرائيل بلسان الحال: زيدي من العدوان أضخافاً مضاعفة.

(٢) العلق: ٧.

(٣) يُنسب هذا الشعر إلى الحاج هاشم حردان الكعبي الدورقي توفي سنة (١٢٢١ م)، كما جاء في أعيان الشيعة السيّد محسن الأمين: ٢٤٧/١٠.

على تنازع البقاء وبقاء الأقدر الأقدر أو فيه شائبة من ظلم وإستغلال... وأيضاً نرفض الشيوعية لأنّها ملحدة وكفى، بل لأنّها توغل في المادية، وتُنكر الرّوح نُكراناً تاماً، وتنظر إلى الإنسان على أنّه مُجرد آلة يجب أن يعمل ليعيش، وتجعل الإنتاج الإقتصادي هو الأصل للأديان والأخلاق، وتمنح السّلطة لفئة خاصّة وهم العمّال، وتسلطهم على حياة الناس بشتى جوانبها، ولا تسمع أي مواطن أن يقول لها «لا» وإن كان مُحقّقاً.

أقول هذا عن علم وبعد أن قرأت في هذا الباب عشرات الكتب والمقالات، وإختار للقارىء من مُطالعاتي في هذا الموضوع هذه الجملة القصيرة للدكتور طه حسين، جاءت في كتابه الفتنة الكبرى (عثمان) وهذا نصّها:

«قد ضمنت الرأسمالية للناس شيئاً من الحرّية، وقليلاً من المساواة أمام القانون، ولكنها لم تضمن لهم من العدل الإجتماعي شيئاً، والشيوعية قد ضمنت للناس قليلاً أو كثيراً من العدل الإجتماعي، فألغت ما بينهم من فروق، وأتاحت للعاملين منهم أن يعملوا وينتفعوا بثمره عملهم، وأتاحت للعاجزين منهم أن يعيشوا غير معرضين لذلة أو ضعة أو هوان، ولكنها ضحّت في سبيل ذلك بحرّيتهم كلّها فلم تدع لهم منها شيئاً، والفاشية قد ضحّت بالحرّية والعدل جميعاً». أبدأ لا يجد الإنسان ولن يجد ضمناً لحقوقه الطبيعيّة إلاّ الإسلام الذي حدّد رسالته بهذه الكلمات الثلاث: «وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ تَأْتِيكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ»^(١). و«الطَّيِّبَاتِ» تعم المال الحلال الذي لا يكون على حساب الآخرين قال سبحانه: «وَأَنْ لَيْسَ لِلإِنْسَانِ إِلَّا

مَا سَعَى»^(١). وَ«الْحَبْتِثِ» تَشْمَلُ الْمَالَ الْحَرَامَ وَمِنَهُ الْإِحْتِكَارُ وَالِاسْتِغْلَالُ .
 أَمَّا وَضْعُ الْأَثْقَالِ وَالْأَغْلَالِ فَإِنَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى حُرِّيَّةِ الْإِنْسَانِ وَقَدَاسْتِهَا قَالَ تَعَالَى :
 «وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ
 عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا»^(٢). وَالكَرَامَةُ تُرَادِفُ الْحُرِّيَّةَ حَيْثُ لَا كَرَامَةَ وَلَا
 إِنْسَانِيَّةَ بِلَا حُرِّيَّةٍ .

وَأَيْضًا قَالَ : «بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ، بَصِيرَةٌ»^(٣). وَالْمَعْنَى لَا سُلْطَانَ عَلَيْهِ وَلَا
 قَائِدَ لَهُ إِلَّا نَفْسَهُ وَعَقْلَهُ وَضَمِيرَهُ .

وَبَعْدَ، لَقَدْ كَرَّمَ الْإِسْلَامُ الطَّبِيعَةَ الْبَشَرِيَّةَ عَلَى الْعُمُومِ وَالشَّمُولِ بِلَا تَمَيِّزٍ فِي
 عُنْصُرٍ وَلَوْنٍ وَجِنْسٍ ، وَوَضَعَ الْجَمِيعَ فِي مُسْتَوًى وَاحِدٍ فِي الْحُقُوقِ وَالْوَاجِبَاتِ ،
 وَأَعْتَبَرَ الْإِنْسَانَ مِنْ حَيْثُ هُوَ إِنْسَانٌ الْقِيَمَةُ الْعُلْيَا ، وَجَعَلَ كُلَّ شَيْءٍ لِعِدْمَتِهِ حَيْثُ
 قَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ : «هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا»^(٤) وَلَكِنِ الْوَلَايَاتُ
 الْمُتَّحِدَةُ جَاءَتْ بِجَدِيدٍ هُوَ أَسْمَى وَأَعْلَى وَأَجْدَى لِلْإِنْسَانِيَّةِ وَأَبْقَى ، جَاءَتْ بِقُنْبَلَةِ
 «النِّيُوتْرِيُونَ» الَّتِي تَقْتُلُ كُلَّ النَّاسِ الَّذِينَ تَقَعُ عَلَيْهِمْ ، وَلَا تَمَسُ بِأَيِّ سُوءٍ وَأَذَى
 الْمَوْسَسَاتِ وَالْمَبَانِيِ وَالْمُمْتَلِكَاتِ . وَهَكَذَا «الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ
 يَعْلَمُ»^(٥) لِيُدْمَرَ الْإِنْسَانِيَّةُ فِي غَيْرِ الْوَلَايَاتِ ، وَيُبْقَى لَهَا كُلُّ أَمْلَاقِهَا وَأَمْوَالِهَا !! .

(١) النّجم : ٣٩ .

(٢) الإسراء : ٧٠ .

(٣) القيامة : ١٤ .

(٤) البقرة : ٢٩ .

(٥) القلق : ٤ - ٥ .

حَوافِرُ التَّقَدُّمِ

مَعَ الفِيلَسُوفِ زَكِيِّ نَجِيبِ مَحْمُودٍ:

أنصرف الدكتور زكي محمود إلى الفلسفة تدریساً وترجمةً وتالیفاً ومقالات، كما يبدو من آثاره، وقرآته في أكثرها أو الكثير منها، وكان من قبل يُدين بتیّار من فلسفة ضالة خاطئة، وبقي عليها سنوات طوالاً، وأنتقدته في بعض ما ألّفت، ثمّ أهدى إلى الحقّ، فأعترف بخطئه صراحة في مُقدّمة تجديد الفكر العربي وفي مقال بعنوان «عصرنا من فلسفته» المنشور في مجلة العربي العدد (٢٢٢)، ودأبه في مقالاته، بخاصة الأسبوعية منها التي تنشرها الأهرام في كلّ خميس، إن يسوق أمثلة من تجربة الحياة كان قد قرأها في الكتب أو الصحف العربية أو الأجنبية، وينتهي من هذه الأمثلة إلى أوضاع العرب والمسلمين، ويوضح أمام أعينهم رؤية الأخطاء على ضوء تلك التجارب، لتكون دليل عمل وإنطلاق إلى ما هو أفضل وأكمل.

ومن ذلك مقال بعنوان حوافر التقدم، نشرته جريدة الأهرام وإنه لمفيد جداً في توجيهاته، ويغني عن قراءة أكثر من كتاب في موضوعه وفيما يلي أعرض خلاصة هذا المقال بعد تجزئته، وتنسيقه في فقرات، وأضع الخلاصة أو النص بين قوسين (...) وما عداه فهو من كلامي.

عامل التقدم:

قال الدكتور زكي: قرأتُ بحثاً يستوقف النَّظر بطرَافةٍ منهجه ونتائجهُ لأستاذ بجامعة «هارفارد» وقد بدأه بهذا السؤال: (ما هو العامل الرئيسي لتقدم الفرد أو الأمة على طريق الحضارة؟) ^(١).

الجواب:

(ذهب الناس في الإجابة عن ذلك إلى مذاهب شتى، فقالت فئة منهم: أن العامل هو البيئة!. وليس هذا بجواب، فكثيراً ما تكون عوامل البيئة واحدة بين فردين أو شعبيين ومع ذلك يتقدم أحدهما ويتخلف الآخر).

أما التفاوت بين فردين من بيئة أو مدينة أو قرية واحدة أو في بيت واحد - فهو أظهر من أن يُذكر، وبالأولى أن يحدث ذلك بين قوميتين أو أمتين يعيشان في بيئة واحدة، ولأ أدري هل القوميات في الهند الآن والصين القيصريّة من قبل وأمريكا وأوربا كلها على مستوى واحد تقدماً وحضارة أو تفهراً وجهالة؟.

(وقالت فئة ثانية: أن العامل الرئيسي للتقدم أو التخلف هو التفاوت في عناصر الطبيعة البشريّة، فمنها العاجز عن التقدم، ومنها القادر عليه!. وهذا خطأً واشتباه حيث نجد في جنس البشريّة الواحد جماعة تقدّمت وأخرى تخلفت، بل رأينا الجماعة الواحدة تتقدّم حيناً، وتتأخر في حين).

والشاهد على ذلك تقدّم العرب على الغرب أيام زمان، وتخلفهم عنه في هذا الزمان... ومن جملة ما قرأتُ أن إحدى الجامعات في إنجلترا كانت تشترط أن يكون دارس الطب أو الهندسة ملماً باللّغة العربية تماماً كما تشترط جامعات اليوم أن يكون ملماً بلّغة أجنبيّة. ومعنى هذا أن التقدم أو التخلف لا يرتبط بعنصر

(١) أنظر، مقال بعنوان حوافز التقدم، نشرته جريدة الأهرام بتاريخ (١٩/٧/١٩٧٤م).

وقومية ولا بدّين أو طائفية .

لا تقدّم بلا عمل :

وبعد أن ردّ الأستاذ الباحث الأقوال الباطلة عنده وعندنا أيضاً، أبدى رأيه -
على رواية زكي محمود - بقوله :

« الشرط الأول والأساسي للتّقدّم والنّجاح هو العمل الجاد والهمة العازمة التي لا تترك حاملها ليستريح على جنبه إلا أن يرى حياته مليئة بالعمل المنتج الذي لا ينفك يزداد إنتاجاً عاماً بعد عام، كأنما في رأسه نحلة تظن وتلسع حتّى تحول بينه وبين الإسترخاء البليد، ومن لم تصبه هذه الحالة المؤرقة الهلوع على النّماء المستمر والإرتقاء المتّصل، قد ينظر إلى غيره ممّن أصيب بها، فيظن به الهوس والجنون، وقد يتساءل في عجب: فيم هذه العجلة المكروبة، وعند هذا المجنون من الرّزق ما يكفيه؟... هذه الرّغبة الحارقة عند الإنسان في أن يعمل، وأن يظل عمله يزداد فتزداد ثماره كثرة في الكمّ وتجويداً في الكيف: هي شرط التّقدّم الحضاري عند الفرد والجماعة.»

ولأريب في حرف واحد من هذا الكلام، ولكن صاحبه الأستاذ الباحث تجاهل أهم الأسباب الرئيسيّة للتّخلف كالإستعمار والصّهيونية والشركات الإحتكاريّة العملاقة! ومن الذي يجهل أن مخططات هذه القوى الشريرة تهدف إلى القضاء على كلّ نهضة وعلى كلّ سبب يمت إلى التّقدم والتّطلع إلى الأمام، بصلّة؟ .

ونعود إلى قول الأستاذ الباحث: أن التّقدّم لا ينفك عن العمل الجاد والهمة العازمة، لنعطف عليه: أن كلّ واحد منّا يود أن يكون شيئاً مذكوراً حياً وميتاً، ولكن لن ينال شيئاً من ذلك إلا بشقّ الأنفس وتعبيد الطريق إليه بتربية النفس طيلة العمر، فالمرحوم عباس محمود العقاد لم يحصل من التّعليم المدرسي على

أكثر من المستوى الابتدائي، ومع ذلك تحمل آثاره طابع الخلود، والسّر أنه اعتمد على تربيته الذاتية.

ومحال أن يكون لحامل الشهادات ثقل ووزن إذا هو اقتصر على ما سمعه من حلقات الدرس ولم يواصل القراءة والمطالعة، ويتطلع إلى مزيد من الثقافة والوعي. قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «أعلم الناس من جمع علم الناس إلى علمه»^(١). ومن الطريف قول بعض الفلاسفة: أن الله سبحانه لم يضع أبصارنا في جباهنا دون مؤخرات رؤوسنا إلا لنطمح لحياة جديدة ومبتكرة.

وتكلم المفكرون حول التعليم والتربية من عهد (كونفوشيوس) حتى اليوم وأطالوا الكلام، وفرقوا بينهما في أن التعليم يكون في المدرسة، أما التربية فطريتها القراءة والمطالعة، ومن أقوالهم: لا جدوى من تعليم بلا تربية ذاتية. التربية بلا تعليم خير مليون مرة من تعليم بلا تربية. وضربوا العديد من الأمثال على ذلك، منها أن معركة حامية قامت على صفحات الجرائد المصرية بين زمرة من المعتمدين حول الحديث المنسوب إلى نبي العقل والعلم، وهو «إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فليغمسه (فامقلوه)، ثم أنقلوه (ليسرعه) فإن في إحدى جناحيه داء وفي الأخرى دواء»^(٢).

(١) لم أقف على هذا الحديث في نهج البلاغة، ولأني الكتب المتوفرة لدي، لكن روى ذلك البرقي في المحاسن: ١/ ٢٣٠ ح ١٧٣، من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٣٩٥، الخصال: ٥/ ١٣، أمالي الصدوق: ٧٣ ح ٤، معاني الأخبار: ١٩٥ ح ١، روضة الواعظين: ٦، الأربعون حديثاً للشهيد الأول: ٥٥ ح ٢٤، سنن الدارمي: ١/ ٨٧، ولكن نسبه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم.

(٢) أنظر، صحيح البخاري: ٣/ ١٢٠٦ ح ٣١٤٢ و: ٥/ ٢١٨٠ ح ٥٤٤٥، المستقلى لابن الجارود: ١/ ٢٦ ح ٥٥، صحيح ابن جبان: ٤/ ٥٣ ح ١٢٤٦ و١٢٤٧ و: ١٢/ ٥٥٠/ ٥٥٠ ح ٥٥٠، صحيح ابن خزيمة:

وعلق زكي نجيب على هذه المعركة بقوله: «ثار الجدال حول هذا الحديث، وأمتد إلى صفحات الجرائد، وقرأت تلك المقالات... كأن الموضوع يحتمل الأخذ والردّ والدفاع والهجوم.. وهذي ثقافتنا بعدما صنعه لنا مُحَمَّد عبده ولطفي السيد والعقاد وطه حسين»^(١).

أما سلامة موسى فقد روى «أن أحد خريجي كلية الحقوق بجامعة القاهرة ألف كتاباً يُخبرنا فيه عن العفاريت، والجن، والشياطين كيف تتزاج، وكيف تتوالد، ولماذا يزيد عددها على عدد الإنس».

ونحمد الله سبحانه الذي كتم عن زكي نجيب محمود، وسلامة موسى ما هو أعظم.

﴿ ٥٦/١ ح ١٠٥، موارد الطمان: ٣٠٠/١ ح ١٣٥٥، مسند أبي يعلى: ٢/٢٣٣ ح ٩٨٦، مسند أحمد: ٢٢٩/٢ ح ٧١٤١ و٧٣٥٣، كنز العمال: ١٠/١١/٢٨١٨٠ و٢٨١٨٢، عمدة القاري في شرح صحيح البخاري: ١٥/٢٠٠ ح ٢٣٣، التفسير الكبير للفخر الرازي: ١٥/٥، دقائق التفسير: ١١/٢. (١) أنظر، جريدة الأهرام تاريخ (١٢/٥/١٩٧٧م).

.

(

أَحْذَرُ الْعَجُولَ الْغَضُوبَ

لَا مَفْرَمَ مِنَ التَّفْكِيرِ :

أَكْتُبُ هَذَا الْفَصْلَ بِلَا تَصْمِيمٍ سَابِقٍ ، عِلْمًا بِأَنَّ التَّصْمِيمَ وَالتَّفْكِيرَ يَسْبِقُ الْعَمَلَ ... وَالحِكَايَةَ : إِنِّي قَرَّرْتُ - بَعْدَ الْإِنْتِهَاءِ مِنَ الْفَصْلِ السَّابِقِ أَنْ يَكُونَ مَوْضُوعَ هَذَا الْفَصْلِ « الْفَلْسَفَةُ وَالدِّيَانَاتُ السَّمَاوِيَّةُ » . لِأَنَّ الْكَثِيرَ مِنَ النَّاسِ يَظُنُّونَ أَنَّ الْغَيْبَ بِشَتَّى مَعَانِيهِ خِرَافَةٌ يَرْفُضُهَا الْعَقْلُ ... وَقَبْلَ الشَّرُوعِ بِمَا كُنْتُ قَدْ قَصَدْتُ وَقَرَّرْتُ ، وَجَّهَ إِلَيَّ أَحَدَ الشَّبَابِ هَذَا السُّؤَالَ : قَالَ سُبْحَانَهُ : « خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوزِرُكُمْ ءَايَتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ » ^(١) . وَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ مَخْلُوقًا مِنَ الْعَجَلِ وَمَطْبُوعًا عَلَيْهِ كَمَا يَدُلُّ أَوَّلُ الْآيَةِ ، فَكَيْفَ سَاعَ النَّهْيِ عَنْهُ كَمَا جَاءَ فِي آخِرِهَا ؟ . وَهَلْ مِنَ الْمَعْقُولِ أَنْ يُتْرَكَ الْإِنْسَانُ مَا هُوَ مُقَرَّرٌ إِلَيْهِ بِفِطْرَتِهِ وَطَبِيعَتِهِ ؟ . فَقُلْتُ لَهُ : الْمُرَادُ بِالنَّهْيِ هُنَا عَيْنُ الْمُرَادِ بِالنَّهْيِ عَنِ الزَّنَا أَوْ الْخَمْرِ أَوْ غَيْرِهِمَا مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ إِذَا مَالَتِ النَّفْسُ إِلَيْهِ ، وَهُوَ ضَبَطُهَا بِالْكَبْحِ ، وَتَرْوِيضُهَا بِالصَّبْرِ ، وَتَحْذِيرُهَا مِنْ عَاقِبَةِ السُّوءِ ... وَمَا أَنْ تَرَكَنِي السَّائِلُ إِلَى شَأْنِهِ حَتَّى غَرَقَتْ فِي التَّفْكِيرِ ، أَقْلَبَ النَّظَرَ فِي الْعَجَلَةِ وَمَسَاوِئِهَا ، وَحَاوَلْتُ جَهْدِي أَنْ أُطْرِدَ هَذِهِ الْفِكْرَةَ مِنْ خِيَالِي أَوْ أَتْجَاهِلُهَا لِأَنْصَرِفَ إِلَى الْكِتَابَةِ فِيمَا قَصَدْتُ ، وَلَكِنَّهَا تَجَسَّدَتْ أَمَامَ

ناظري كأنها حقيقة ملموسة، وأملت عليّ هذه السطور العاجلة، فأستجبتُ بلا رغبة وطيبة قلب، وحبذا لو لزمتُ الصمت.

وعلى أية حال فإنّ الحديث عن العجلة والحمق والغضب حديث فلسفي ما دامت مهمة الفيلسوف أن تعلمنا كيف نُفكر فيما نمارسه بحياتنا اليومية المألوفة.

العجلة طريق الهلكة:

قال رسول الله ﷺ: «إنما أهلك الناس العجلة، ولو أنّ الناس تثبتوا لم يهلك أحد»^(١). وهذا الحديث يُغني عن كتاب ضخّم، فكلّ ما نفعه عليّ عجل فسرعان ما ينهار. ومن قواعد الإرث في الفقه الإسلامي قاعدة تقول: «من أستعجل الشيء قبل أوانه عوقب بحرمانه»^(٢). يُشير الفقهاء بذلك إلى أنّ القريب القاتل عمداً لا يرث من مال المقتول.

وللعجلة مصدران: سرعة الغضب لأنفه شيء، والقطع الجازم باللمحة ومُجرد التصور بلا رؤية. أبداً لا يشك ولا يظن، ولا يبيح ويسأل! ومن يك هذا شأنه فلا دواء له إلاّ الفرار منه.

وبالمناسبة نُشير أنّ في علم أصول الفقه ثلاثة أبواب:

الأول: يبيح عن القطع بالحكم الشرعي وآثاره.

والثاني: يبيح عن الظنّ به وأحكامه.

(١) أنظر، المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي: ٢١٥/١ ح ١٠٠، وسائل الشيعة للحر العاملي:

١٦٩/٢٧ ح ٥٠.

(٢) أنظر، الإقناع في حلّ ألفاظ أبي شجاع للشرييني الخطيب القاهري الشافعي: ٣٠٦، مُعني المحتاج

في شرح ألفاظ المنهاج: ٤/٥٣٩، حواشي الشرواني: ١٠/٤٢٤، إعانة الطالبين للبكري الدميّاطي:

١١٠/١، فيض القدير شرح الجامع الصغير: ٦/٢٠٤.

وَالثَّالِثُ: يُعَالِجُ الشَّكَّ فِيهِ، وَلَا حَظَّتْ أَنْ بَعْضُ مَنْ يَقْرَأُونَ هَذِهِ الْبَحُوثَ لَا يَشْكُونَ وَلَا يَظُنُّونَ فِي مَرَجَلَةِ الْعَمَلِ، بِخَاصَّةِ السَّبِّهِ وَالرِّذِيلَةِ، فَإِنَّهُمْ يَنْسَبُونَهَا إِلَى مَنْ يَشَاؤُونَ بِلَا بَحْثٍ وَتَرَدُّدٍ تَمَامًا كَالْأَطْفَالِ، وَلَا غَرَابَةِ، فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْكِبَارِ سَنًا صَغَارًا فِي عَوَاطِفِهِمْ وَتَصَرُّفَاتِهِمْ، عَلَى مَا يَحْمِلُونَ مِنْ شَهَادَاتٍ. وَلَيْسَ بَعْدَ الْعَيَانِ مِنْ شَاهِدٍ.

الغضب حمى الجنون:

السَّيْرُ مَعَ الْغَضَبِ يَنْتَهِي بِصَاحِبِهِ إِلَى مَوَاطِنِ الْعَطْبِ وَفَسَادِ الدِّينِ وَالْإِيمَانِ وَالْقَوْلِ وَالْعَمَلِ بِلَا عِلْمٍ وَرَوِيَّةٍ، وَالْإِسَاءَةِ لِمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ.

سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ: «أَيُّ شَيْءٍ يَدْخُلُنِي الْجَنَّةَ؟»

فَقَالَ لَهُ: لَا تَغْضَبُ»^(١).

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا قَرَأْتُ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ أَرْسَطُو: «سَهْلٌ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَغْضَبَ، أَمَّا أَنْ يَغْضَبَ مَعَ الشَّخْصِ الْمُنَاسِبِ، وَإِلَى الْحَدِّ الْمُنَاسِبِ، وَفِي الْوَقْتِ الْمُنَاسِبِ فَهَذَا لَيْسَ فِي الْمَقْدُورِ».

وَلَا مُسَكِّنَ لِحَمَى الْغَضَبِ الْمَجْنُونَةِ إِلَّا جُرْعَةٌ مِنْ صَيْدِلِيَةِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؑ حَيْثُ قَالَ: «تَجَرَّعَ الْغَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرْ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً، وَلَا أَلَذَّ مَغْبَةً. وَلَنْ لِمَنْ غَالِظَكَ، فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَكَ لَكَ، وَخَذَ عَلَى عَدْوِكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحْلَى الظُّفْرَيْنِ. وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبِقْ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بِقِيَّةٍ يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَأَ لَهُ ذَلِكَ يَوْمًا مَا، وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْرًا فَصَدَّقْ ظَنَّهُ، وَلَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ أَتَّكَلًا»

(١) أنظر، السنن الكبرى للبيهقي: ١٠٥/١٠، إحياء علوم الدين للغزالي: ١٤٣/٣، مجمع الزوائد

ومتنع الفوائد للهيتمي الشافعي: ٧٠/٨، مسند أبي يعلى: ١٦٦/٣، المعجم الأوسط: ٢٥/٣، علل

الدارقطني: ١٢٠/١٠.

عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بَأَخٍ مَنْ أَضَعَتْ حَقَّهُ. وَلَا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشَقَى
الْخَلْقِ بِكَ، وَلَا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهَدَ عَنْكَ، وَلَا يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَى عَلَيَّ قَطِيعَتَكَ
مِنْكَ عَلَيَّ صَلْتَهُ، وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيَّ الْإِسَاءَةَ أَقْوَى مِنْكَ عَلَيَّ الْإِحْسَانَ. وَلَا يَكْبُرَنَّ
عَلَيْكَ ظُلْمٌ مِنْ ظَلَمِكَ، فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضْرَّتِهِ وَنَفْعِكَ، وَلَيْسَ جِزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ
تَسُوَّهُ»^(١). وَأَيْضًا قَالَ: «إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا فَتَحَلَّمْ؛ فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلَّا
أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ»^(٢).

العفو من شِيَمِ الْكِرَامِ:

القصاص عدل، والعفو فضل، وهو أقرب إلى مَرَضَةِ اللَّهِ مِنَ الْأَوَّلِ، وَمَرَضَاتِهِ
تَعَالَى أَقْصَى الْغَايَاتِ لَمَنْ آمَنَ بِهِ حَقًّا وَصِدْقًا. قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ
لِلتَّقْوَى﴾^(٣). وَالْمُرَادُ بِالتَّقْوَى الْعَمَلُ بِمَرَضَاتِهِ، جَلَّتْ عَظَمَتُهُ، وَالْمَعْنَى أَنَّ مَنْ عَفَا
عَنْ أَخِيهِ لَوَجْهَ اللَّهِ تَوَلَّى هُوَ عَقَابَهُ بِنَفْسِهِ، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ الْحَدِيثُ الْقُدْسِيُّ الَّذِي رَوَاهُ
الْكَلْبِينِيُّ فِي أُصُولِ الْكَافِي: «يَا أَبْنَ آدَمَ إِذَا ظَلَمْتَ بِمُظْلَمَةٍ فَارْضَ بِإِنتِصَارِي لَكَ،
فَإِنَّ إِنتِصَارِي لَكَ خَيْرٌ مِنْ إِنتِصَارِكَ لِنَفْسِكَ»^(٤).

وَفَحْوَى الْحَدِيثِ: وَإِنْ أَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تَثَارَ وَتَقْتَصَّ بِيَدِكَ فَدُونِكَ، عَلَيَّ أَنْ لَا
تَتَعَدَّى وَتَتَجَاوَزَ عَنِ الْمِثْلِ، وَلَكِنْ لَا يَسُوغُ لَكَ بَعْدَ الْقِصَاصِ مِنْهُ أَنْ تَشْكُوهُ إِلَيَّ
اللَّهُ، لِأَنَّ الْعُقُوبَةَ لَا تَتَكَرَّرُ عَلَيَّ ذَنْبٍ وَاحِدٍ. وَتَجَدُّرُ الْإِشَارَةِ إِلَيَّ أَنْ الْمُرَادُ

(١) أنظر، نهج البلاغة: الرسالة (٣١).

(٢) أنظر، نهج البلاغة: الحكمة (٢٠٦).

(٣) البقرة: ٢٣٧.

(٤) أنظر، الكافي: ٣٠٤/٢ ح ١٠-٨، شرح أصول الكافي: ٣١٣/٩ ح ١٠-٨، وسائل الشيعة:

٣٦٤/١٥ ح ٣-١، أعلام الدِّين وصفات المؤمنين للدِّلمي: ١٨٤.

بِالْمَظْلَمَةِ هِيَ الْخَاصَّةُ دُونَ الْعَامَّةِ كَالْكَلِمَةِ النَّابِيَةِ وَمَا أَشْبَهَهُ.

أَحْمَقُ الْحَمَقِ :

أَحْمَقُ الْحَمَقِ أَنْ تَجْتَمِعَ فِي الشَّخْصِ الْعَجَلَةُ وَسُرْعَةُ الْقَضْبِ، وَمِثْلُهُ لَا يَسُوعُ النَّقَاشُ مَعَهُ، بَلْ وَلَا الْحَدِيثُ بِحَالٍ، لِأَنَّهُ لَا يَشْكُ إِطْلَاقًا، بَلْ يَجْزِمُ وَيَحْكُمُ بِلَا أُسَاسٍ، وَمَنْ لَا يَشْكُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَقْنَعُ أَوْ يَقْتَنِعَ، قَالَ كُونْفُوشِيوسُ: «لَا أُدْرِي مَا أَفْعَلُ بِالْإِنْسَانِ الَّذِي لَا يَشْكُ وَلَا يَسْأَلُ نَفْسَهُ مَا يَجِبُ أَنْ يَفْعَلَ».

وَكُلُّ ذِي عَقْلٍ وَدِينٍ وَضَمِيرٍ عَلَيْهِ أَنْ يَسْأَلَ هَذَا السُّؤَالَ، وَيَبْحَثَ عَنِ الْإِجَابَةِ عَنْهُ فِي مِظَانِهَا وَمِصَادِرِهَا، وَمَنْ لَا يَتَهَمُ نَفْسَهُ، وَيَتَوَقَّعُ مِنْهَا الْخَطَأَ فِدَاؤُهُ مُسْتَحْكَمٌ، وَلَا دَاءَ لَهُ عَلَى الْإِطْلَاقِ. فَقَدْ رَوَى الْقَمِّيُّ فِي سَفِينَةِ الْبَحَارِ عَنِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «دَاوَيْتُ الْمَرَضِيَّ فَشَفَيْتَهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَأَبْرَأْتُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَعَالَجْتُ الْمَوْتَى فَأَحْيَيْتَهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَعَالَجْتُ الْأَحْمَقَ فَعَجَزْتُ عَنِ إِصْلَاحِهِ.

فَقِيلَ لَهُ: وَمَا الْأَحْمَقُ؟

فَقَالَ: الْمُعْجَبُ بِرَأْيِهِ وَنَفْسِهِ الَّذِي يَرَى الْفَضْلَ كُلَّهُ لَهُ لَا عَلَيْهِ، وَيُوجِبُ الْحَقَّ كُلَّهُ لِنَفْسِهِ، وَلَا يُوجِبُ عَلَيْهَا حَقًّا. فَذَلِكَ هُوَ الْأَحْمَقُ الَّذِي لَا حِيلَةَ فِي مُدَاوَاتِهِ»^(١).

(١) أنظر، مُسْتَدْرِكُ وَسَائِلِ الشَّيْخَةِ: ١٣٩/١ ح ١٠، الْإِخْتِصَاصُ لِلشَّيْخِ الْمُفِيدِ: ٢٢١، بَحَارُ الْأَنْوَارِ لِلْمَجْلِسِيِّ: ٣٢٣/١٤ ح ٣٦، قِصَصُ الْأَنْبِيَاءِ لِلرَّوَانْدِيِّ: ٤٧١.



الفلسفة والديانات السماوية

الفلسفة حلال أو حرام؟ :

أختلف الأقدمون : هل طلب الفلسفة وممارستها حلال أو حرام؟ . وإذا أمعنا النظر في أقوال المختلفين من القرب والمسلمين لم نجد أي خلاف فيما بينهم على المبدأ العام، وهو وجوب النظر وطلب المعرفة من مصادرها، وإنما الصراع في تطبيق المبدأ لا في صحته، وأن الفلسفة اليونانية وغيرها من الفلسفات الدخيلة هل تؤدي إلى الشك والإلحاد، أو إلى دعم الإيمان ورشوخته، أو لا إذا ولا ذلك - على الأقل؟ .

والجواب عن هذا السؤال لا يحتاج إلى تبيان وبرهان أكثر من القول بأن الحكم في ذلك يتبع ويخضع لنوع الفلسفة وأهدافها، فالتيارات والفلسفات القائمة على الإلحاد والقائلة بأن المادة هي الموجود الوحيد كالماركسيّة والوضعيّة، أو الداعية إلى التحرر من كلّ قيد كالإباحيّة والوجوديّة، أو الهادفة إلى الإستغلال والإحتكار كالصهيونيّة والإمبرياليّة، أو القائلة بوحدة الوجود وأن مجموع الوجود الطبيعي هو الله، كلّ هذه الفلسفات والتزعّات حرام محرمة ومرفوضة من الأساس .

أما الفلسفة التزيهية السليمة التي ترفض كلّ جهالة وضلالة، وتردها بالمنطق

القويم، فهي من صميم الدين الحنيف، وأي عاقل يُحرم فلسفة تُحرّم ما حرّم الله، وتُحلل ما أحلّ؟. لقد حثّ القرآن الكريم على النظر والتفكير، وحرّم التعصب والتقليد. وهذي عين الفلسفة التي حلّلتها وقال بها الفلاسفة المؤمنون السابقون منهم والأحقون.

أنّ الأصل الأوّل للدين الحنيف هو العقل وخالق العقل، وأيضاً الأساس الأوّل للفلسفة الصحيحة هو العقل، وما دام مصدر الدين والفلسفة واحداً يسوغ، وهذي هي الحال، وصف الدين الإلهي السماوي بأنه عقلي، والفلسفة الصحيحة بأنها إلهية سماوية.. اللهمّ إلاّ أن ترفض صراحة أو ضمناً العقل كمصدر لها ولمبادئها وأحكامها، والمعروف بين الناس أن الديانات السماوية ثلاث: (الإسلامية، النصرانية، واليهودية). وفيما يلي ننظر ونرى: هل هذه الديانات تقوم كلّها على أساس العقل، أو أنّها ترفضه بالكامل، أو بعضها تعترف به وبعضها ترفضه؟.

الأقانيم^(١) الثلاثة في الكتاب المقدس:

الكتاب المقدس عند المسيحيين يعم ويشمل العهد القديم (أي التوراة) والعهد الجديد (أي الأناجيل الأربعة) وأعمال الرّسل (أي رسائل الحواريين). ولهذا الكتاب المقدس فهرس يرشد إلى مكان الكلمات، أشبه بالمعجم المفهرس للقرآن الكريم، وأيضاً له قاموس، يدل على الكلمات أين هي؟. ويبين معانيها، وما يتصل بها بإيجاز بحيث يُغني القاريء عن مراجعة الشروح والتفاسير إذا هو اقتنع بالكفاف، وقد أشترك في وضع هذا القاموس (٢٧) من اللاهوتيين وذوي

(١) الأقانيم: الأصول، واحداً أقنوم. قال الجوهري: وأحسبها رومية (أنظر، لسان العرب لابن منظور: ٤٩٦/١٢، مختار الصحاح: ٢٣١/١).

الإختصاص. وأتنتنى لو أن نُخبه من ذوي الكفاءة المسلمين أشتركوا في وضع قاموس القرآن الكريم على غرار قاموس الكتاب المقدس.

وجاء في هذا القاموس: ١٠٧ وما بعدها ما نصّه بالحرف الواحد: «الله واحد، وهو ثلاثة أقانيم متساوية في الجوهر: الله الأب، والله الإبن، والله رُوح القدس، فالأب هو الذي خلق العالم بواسطة الإبن، والإبن هو الذي أتمّ الفداء وقام به، والرُوح القدس هو الذي يطهر القلب والحياة، غير أن الأقانيم يشتركون معاً في جميع الأعمال الإلهية»^(١).

وفي المعجم الفلسفي للأب الدكتور جميل صليبا: «أنّ الأَقنوم هو الجَوهَر والشَّخص، والأَقانيم الثلاثة جواهر مُتميزة، والأَقنوم عند اللاهوتيين يُطلق على إتحاد الطبيعة الإنسانية بالطبيعة الإلهية».

ويلاحظ من وجهة عقلية أنّ الواحد من حيث هو غير الثلاثة من حيث هي، وإذن فلا يسوغ بمنطق البديهة أن يُقال: «الله واحد وهو ثلاثة».

ثانياً: أنّ الخالق لا يتحد مع المخلوق (أي الإنسان) ولا يُماثله ولا يكون أحدهما جزءاً من الآخر ولا هما معاً جزأين لشيء ثالث.

ثالثاً: أنّ مفهوم الإله ينبغي بذاته وطبيعته أن يكون له شريك في عمل حيث

(١) أنظر، مقارنة الأديان الدكتور أحمد شلبي: ١١٤/٣، تفسير الكشاف للزمخشري: ١/٥٨٥، جامع البيان عن تأويل القرآن، أبي جعفر مُحَمَّد بن جرير الطبري: ٤٢٢/٦، التفسير الكبير للفخر الرازي: ١٢/٦٠، تفسير القرطبي: ٢٣/٦، تفسير البحر المحيط، لمُحمَّد بن يوسف الشهرير بأبي حنيفة الأندلسي (٧٤٥ هـ): ٤١٧/٣، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، طبعة - بيروت (١٤١٣ هـ)، طبعة السعادة بمصر، تفسير رُوح المعاني للألوسي: ٢٦/٦، التوحيد والتثليث للشيخ مُحَمَّد جواد البلاغي: ٥٨، أضواء على المسيحية لمُتولي يوسف شلبي: ٥٨، قاموس الكتاب المقدس لمجمع الكنائس الشرقية: ١٠٧.

لا يخلو الواقع من أحد فرضين: إما أن يكون أحد الإلهين قادراً على خلق الكون وتدييره، وإما أن يعجز عن ذلك، فإن كان قادراً يكون وجود الثاني عبثاً ولزوم ما لا يلزم، والإله منزّه عن النقص والعبثية، وإن يك عاجزاً احتاج إلى كفيل ومعين. ولكن الكنيسة بخاصة القديمة لا تعبأ بعقل وعلم، وتعترف صراحة بأن الذين فوق العقل، وأن ما يخالف ظاهر النصوص فهو بدعة وضلالة، وعلى هذا الأساس قتلت الكنيسة وحرقت العديد من العلماء والفلاسفة تحت عنوان الهرطقة والزندقة، واستمرت على ذلك أزماناً طويلاً وقرناً متعاقبة.

ولو أن الكنيسة على ثقة من ديانتها قوة وصدقاً لشجعت العلم والعلماء، وباركت الفلسفة والفلاسفة، وناقشت المخطيء منهم بالحكمة والموعظة الحسنة. ونختم هذه الفقرة بكلمة جاءت في مقال بعنوان «كبير كجورد في قبضة هيجل» وهي «على المسيحي أن يؤمن بلا عقل، بل أن الإيمان يزداد كمالاً وسمواً كلما ازداد معارضة للعقل»^(١).

وبعد، فإن سرّ الأسرار لنفور المسيحية أو الكنيسة من العقل، يكمن في الأقانيم الثلاثة التي يرفضها القلب والعقل مع أنها الحجر الأساسي في هذه الديانة، وما وجد أتباعها سبيلاً للإخلاص من هذه الورطة المحيرة إلا القول بأن الذين فوق العقل والفلسفة... ولكن هذا الحل يحتاج أيضاً إلى حل للقوى الماثور: «حدث المرء بما لا يليق، فإن لاق له فلا عقل له»^(٢). علماً بأن المسيحيين عقلاء.

(١) أنظر، مقال بعنوان «كبير كجورد في قبضة هيجل» نشرته مجلة الفكر المعاصر العدد (٦٧) سبتمبر أيلول سنة ١٩٧٠م.

(٢) أنظر، شرح القصيدة الرائية تنمة الثرية للدكتور جعفر جواد الخليلي: ٢٦.

إله إسرائيل :

والحديث عن الفلسفة اليهودية والعنصرية الصهيونية، يتسع لأكثر من مجلد. ونكتفي هنا بكلمة موجزة عن إله إسرائيل وحقيقته ومهمته كما هو في الديانة اليهودية، لأن فلسفتها وجميع تعاليمها تركز على طبيعة هذا الإله وصفاته. ومجمل القول فيه - كما هو عند إسرائيل - أنه أعجب من أن يتصوره عقل، أنه صهيوني يُعادي الإنسانية فيأمر بالدمار وحرق القرى والمدن بمن فيها حتى الأطفال... فيما عدا الذهب والفضة والنحاس والحديد، لأن هذه الأموال للإله الرأسمالي الأكبر... وأيضاً هذا الإله عنصري قبلي على غرار أصنام بعض القبائل في الجاهلية... ولأ يعنيه من أمر الخلق إلا حل مشكلات اليهود، ومن أجل ذلك سخر لهم الكون بمن فيه من إنسان غير اليهودي وما فيه من كائنات وأنعام. وتُورد التوراة فيما تُورد عن هذا الإمتياز خطاباً مع بني إسرائيل: «أحرقوا المدينة مع كل ما بها.. إنما الفضة والذهب وآنية النحاس والحديد اجعلوها في خزانة بيت الرب»^(١). وفي سفر التثنية: «قد اختارك الرب لكي تكون له شعباً خاصاً فوق الشعوب على وجه الأرض»^(٢). وفي سفر العدد الإصحاح: «خذوا كل الغنيمة وكلّ النهب من الناس والبهائم»^(٣).

وقد ذلك أن الله تصارع مع يعقوب الليل بطوله فعجز عنه، بل عجز عن التخلّص والفرار منه، وبالتالي لم يجد الرب بداً من الرجاء والتوسل إلى يعقوب كي يمن عليه بالإطلاق، فقال له مُستعظفاً: «أطلقني لقد طلع الفجر؟

(١) أنظر، سفر يشوع الإصحاح (٦) فقرة (٢٤).

(٢) أنظر، سفر التثنية الإصحاح (١٤).

(٣) أنظر، سفر العدد الإصحاح (٣١) فقرة (١٢).

فقال له يعقوب: لا أطلقك إن لم تُباركني... فباركه الرب، وسماه إسرائيل^(١).
ومعنى إسرائيل في العبرية القوة ضد الله، كما نقل العارفون بهذه اللغة.
وتشير هذه الفلسفة أو هذه الخرافة أن اليهودي لا غالب له حتى الله يعجز
عنه! وقد جاء هذا المعنى في القرآن الكريم بنص أبين وأوضح في الآية:
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا﴾^(٢).
وفي الآية: ﴿قَالُوا إِنْ أَلَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾^(٣).

وهذه الديانة السفاكة الأفاقة نابعة من الطبيعة الصهيونية وفلسفتها، ولا صلة
لها إطلاقاً بأي وحي أو علم أو عقل وضمير... فقد روى الإسرائيليون أنفسهم أن
التوراة المتداولة الآن هي من صنع أحبار اليهود بعد عودتهم من الأسر البابلي إلى
أرض كنعان^(٤).

ولأدري: كيف جمع المسيحيون بين الإيمان برب التوراة (أي إله إسرائيل
السفاح الضاري) والإيمان برب الإنجيل وهو أرحم الراحمين.
ومن كل ما تقدم يتبين لنا أن هذا الإخاء واللقاء بين الصهيونية والولايات
المتحدة - ليس من باب الصدفة، بل من باب المشاركة والإلتحام في المبدأ
والهدف والنظام، وقد ظهرت هذه الحقيقة بوضوح على لسان بيغن رئيس وزراء
إسرائيل الحالي بعد زيارته للولايات المتحدة وإجتماعه برئيس جمهوريتها

(١) أنظر، التوراة سفر التكوين الإصحاح (٣٢) فقرة (٢٢-٢٩).

(٢) المائدة: ٦٤.

(٣) آل عمران: ١٨١.

(٤) أنظر، الرحلة المدرسية للشيخ جواد البلاغي، وأظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندي، وفلسفة
التوحيد والولاية فصل أهل الكتاب يعترفون بتحرير كتابهم لمحمد جواد مئنيته، وموسوعة لأروس،
ورسالة لسيجموند فرويد.

حِينَ سَأَلَهُ مُرَاسِلٌ صُحْفِيٌّ عَنِ نَتِيجَةِ الإِجْتِمَاعِ، فَأَجَابَ بِقَوْلِهِ: «إِنْسَانًا نُوْمَنُ بِحَقَائِقِ مُقَدَّسَةٍ مُشْتَرَكَةٍ، وَذَلِكَ مَا قَرَبْنَا وَوَفَّقَ بَيْنَنَا مِنْ أَوَّلِ نَظَرَةٍ».

وَبَعْدَ، فَقَدَ كَانَتِ الْكَنِيسَةُ مِنْ قَبْلِ تَعْتَقِدُ أَنَّ الْمُعْطِيَاتِ الْعِلْمِيَّةَ تُنَافِرُ ظَاهِرَ النَّصُوصِ الْمُقَدَّسَةِ الَّتِي تَعُودُ إِلَى الطَّبِيعَةِ وَنَوَامِيسِهَا، فَحَدَّثَ الإِصْطِدَامَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفَلَسَفَةِ... وَمَعَ الأَيَّامِ أَرْتَفَعَ السَّتَارُ وَظَهَرَتِ الْحَقِيقَةُ، وَخَضَعَتِ الْكَنِيسَةُ لِلأَمْرِ الْوَاقِعِ، وَقَالَتْ لِلْعُلَمَاءِ: لَنَا حَقْلٌ الْعَقِيدَةِ الدِّينِيَّةِ وَلَكُمْ حَقْلُ الْعِلْمِ، وَأَنْتَهَى كُلُّ شَيْءٍ.

أَمَّا الْفَلَسَفَةُ الْيَهُودِيَّةُ الصَّهْيُونِيَّةُ الضَّارِيَّةُ، فَلَا نَهَايَةَ لَهَا مَا دَامَتِ نَصُوصُ التَّوْرَةِ ثَابِتَةً عَلَى أَمْرِهَا بِالْخَرَابِ وَالذَّمَارِ وَالسَّلْبِ وَالتَّهْبِ... وَعَلَى أَسَاسِ هَذَا النَّصِّ ضَمَّ بِالْأَمْسِ الْقَرِيبِ رَئِيسُ وَزَرَءِ إِسْرَائِيلِ الضَّفَّةِ الْغَرِيبَةِ وَقَطَّاعَ غَزَّةَ إِلَى دَوْلَةِ إِسْرَائِيلِ، وَقَالَ بِصَرَاحَةٍ وَوَقَاحَةٍ: «مِنَ التَّوْرَةِ نَنْطَلِقُ وَإِلَى التَّوْرَةِ نَعُودُ». وَتَقُولُ التَّوْرَةُ: «أَنَّ اللَّهَ أَعْطَى الْأَرْضَ لِلشَّعْبِ الْيَهُودِيِّ».

الإِسْلَامُ وَالْعَقْلُ:

تَقَدَّمَ الْكَلَامُ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ عَنِ مَكَانَةِ الْعَقْلِ فِي الإِسْلَامِ، وَالْحَدِيثُ عَنْهُ عَيْنُ الْحَدِيثِ عَنِ الْعِلْمِ، لِأَنَّ الْعِلْمَ مِنْ صُنْعِ الْعَقْلِ وَثَمَارِهِ. وَتَسْأَلُ: هَلِ الدِّينُ وَالإِيْمَانُ بِاللَّهِ أَيْضًا مِنْ نَتَاجِ الْعَقْلِ وَأَثَارِهِ، أَوْ أَنَّ الدِّينَ، كُلَّ دِينٍ، يَنْبَعُ مِنْ مَصْدَرٍ آخَرَ لَا يَمْتُ إِلَى الْعَقْلِ بِسَبَبِ؟.

الجَوَابُ:

هُنَاكَ مَنْ يَقُولُ: أَنَّ الأَدْيَانَ بِشَتَّى أَلْوَانِهَا مَصْدَرُهَا اللَّاشُعُورُ وَاللَّامْعُقُولُ، وَأَنَّ الإِنْسَانَ يُكْرَهُ عَلَى الْعَقِيدَةِ الدِّينِيَّةِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ عَنْ طَرِيقِ المُحِيطِ أَوْ التَّرْبِيَةِ أَوْ أَيِّ عَامِلٍ آخَرَ غَيْرِ الْعَقْلِ وَالْفِكْرِ وَالتَّأَمُّلِ... وَقَدْ يَكُونُ لَهُؤَلَاءِ بَعْضُ الْعُذْرِ،

لأنّ أكثر الأديان على هذا الوصف، ومنها ما أشرنا إليه قبل قليل. ولكنّ العاقل، بخاصّة إذا كان من أهل الفكر، لا يُعطي حكم الخاصّ للعامّ والجُزء للكُلّ، وأي عاقل يقول: أنا أعرف من هم شيوخ النجف وهو لا يعرف منهم إلاّ معلماً أو اثنين! ومثله تماماً الحكم المطلق على جميع الأديان من خلال دين أو أكثر؟. وقد تعجّل ماركس وتورّط حين قال: «الدين أفيون الشعوب بالذات»^(١). وهو لا يعرف عن الإسلام شيئاً، وكان عليه أن يُخصص بما رأى وعلم ولا يطلق ويُعمم.

أنّ الدين على أنواع، منها بلا حجة وأساس معقول، ومنها نتيجة التعقل والتفكير والتدبير كالإسلام. وإليك الدليل:

١ - أوجب الإسلام النظر العقلي كوسيلة للإيمان الصحيح، ونَدّد في العديد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بالتقليد والمقلدين، وأثنى على العلم وأهله، ونذكر هذه الآية على سبيل المثال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٢). والمراد بالعلماء هنا هم المعنيون بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلاً﴾^(٣). ينظرون إلى الكون وما فيه من أسرار وحكمة ونظام، فتأخذهم الدهشة ويتساءلون: من أين هذا العلم والصنع المحكم؟. وكيف حدث؟. ولَمَن هذه القدرة

(١) أنظر، كتاب أفيون الشعوب للمقاد، وسبل الهدى والرشاد: ٣١/١.

(٢) فاطر: ٢٨.

(٣) آل عمران: ١٩١.

الخارقة ؟ . ولا يجدون جواباً تَرَكْنَ إِلَيْهِ الْقُلُوبَ السَّلِيمَةَ
وتَقْتَنِعُ بِهِ الْعُقُولَ النَّيِّرَةَ إِلَّا أَنَّهُ مِنْ صُنْعِ قَدِيرٍ عَلِيمٍ ، يَقُولُ
لِلشَّيْءِ كُنْ فَيَكُونُ .

أَمَّا خَشْيَةُ الْعُلَمَاءِ مِنْهُ تَعَالَى فَإِنَّهَا تُشِيرُ إِلَى الْعَالَمِ بِاللَّهِ حَقًّا
وَصِدْقًا لَا يَسْتَعْمَلُ عِلْمَهُ إِلَّا فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَمَرْضَاتِهِ ، وَفِي
خِدْمَةِ الْإِنْسَانِ وَسَدِّ حَاجَاتِهِ ، وَلَا فَضِيلَةَ أَسْمَى مِنْ هَذِهِ
وَأَرْفَعُ عِنْدَ اللَّهِ وَالنَّاسِ . وَمَحَلُّ الشَّاهِدِ أَنَّ الْإِيمَانَ الصَّحِيحَ
فِي نَظَرِ الْإِسْلَامِ هُوَ مَا جَاءَ نَتِيجَةَ النَّظَرِ الْعَقْلِيِّ وَالْمَنْهَجِ
الْعِلْمِيِّ ، وَيُؤَيِّدُ مَكَانَةَ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ فِي الْإِسْلَامِ هَذَا الْحَدِيثَ
الشَّرِيفَ قَالَ الْإِمَامُ الصَّادِقُ عليه السلام : « إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَمَعَ
اللَّهُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ ، وَوَضَعَتِ الْمَوَازِينَ ، فَتَوَزَنَ دِمَاءُ
الشُّهَدَاءِ مَعَ مَدَادِ الْعُلَمَاءِ ، فَيُرْجَعُ مَدَادُ الْعُلَمَاءِ عَلَى دِمَاءِ
الشُّهَدَاءِ » ^(١) .

٢ - يَقْرَأُ الْإِسْلَامُ كُلَّ مَا فِيهِ خَيْرٌ وَصَلَاحٌ ، وَيُبَارِكُ كُلَّ
جَدِيدٍ مُفِيدٍ حَتَّىٰ وَلَوْ لَمْ يَرِدْ فِيهِ نَصٌّ ، وَلَا يَسْوَعُ بِحَالٍ أَنْ
يُنْسَبَ إِلَيْهِ أَيُّ شَيْءٍ يَجْلِبُ الشَّرَّ وَالْأَذَى لِمَخْلُوقٍ أَوْ يُنَافِرُ
الْعَقْلَ بِجَهَةِ مِنَ الْجِهَاتِ .

٣ - الْإِنْسَانُ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ حَرٌّ طَلِيقٌ فِي حُدُودِ الْعَدْلِ
وَالْمُسَاوَاةِ ، وَهُوَ وَحْدَهُ الْمَسْئُولُ عَنِ تَصَرُّفَاتِهِ أَمَامَ اللَّهِ بِلَا
وَاسِطَةٍ ، وَإِذَا بَحِثَ عَنِ الْحَقِّ وَأَسْتَقْصَىٰ جَهْدَهُ لِلْوُصُولِ إِلَيْهِ

(١) أنظر، أمالي الشيخ الصدوق: ٢٣٣ ح ١، من لا يحضره الفقيه: ٤/٢٩٩ ح ٥٨٥٣، روضة الواعظين

للفتال التيسابوري: ٩، مستطرقات السرائر لابن إدريس: ٦٢٢.

فأخطأه فهو معذور، بل وما جور أيضاً على ما بذل من جهد.
 قال رسول الله ﷺ: «إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدْ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ
 أَجْرَانِ، وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدْ ثُمَّ أَخْطَأَ فَلَهُ أَجْرٌ»^(١).
 وعلق كاتب معاصر على هذا الحديث بقوله:

«هَلْ رَأَيْتَ أَحَدًا يُوجِرُ عَلَى الْخَطَا، وَيَحْرُسُ عَلَى
 مُعَارَسَةِ الْحُرِّيَةِ الْعَقْلِيَّةِ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ؟»

نحن نفهم أن المرء يُثاب إذا أجاد، وإن غاية ما يتوقعه إذا
 أخطأ أن يغفر له وأن لا يعاقب، ولكن الذي يبحث ويجهتد
 هو وحده الذي يُوجر إذا أخطأ، لأن الإسلام يلح في دعوته
 على ممارسة الحرية العقلية، والكثير من آيات القرآن تُثبت
 هذه الدعوة، وتساءل: «أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ»^(٢)؟
 «أَفَلَا تَعْقِلُونَ»^(٣)؟

(١) أنظر، صحيح البخاري: ٢٦٨/٤ ح ٧٣٥٢، تفسير ابن كثير: ١٧٨/٣ و: ٤٦٨/٣، المنتقى لابن
 الجارود: ٢٤٩/١ ح ٩٦٦، صحيح ابن حبان: ٤٤٦/١١ ح ٥٠٦٠ و ص: ٤٤٧ ح ٥٠٦١، مُسند أبي
 عوانه: ١٦٧/٤ ح ٦٣٩٣ و ص: ١٦٨ ح ٦٣٩٧، سنن الترمذي: ٦١٥/٣ ح ١٣٢٦، سنن البيهقي
 الكبرى: ١١٨/١٠-١١٩، مُسند أحمد: ١٨٧/٢ ح ٦٧٥٥ و: ١٩٨/٤ و: ٢٠٤/٤، عِلل الترمذي
 للقاضي: ١٩٩/١ ح ٣٥٢، سنن أبي داود: ٢٩٩/٣ ح ٣٥٧٤، شرح النووي على صحيح مسلم:
 ٩١/١١، سنن أبين مساجه: ٧٧٦/٢ ح ٢٣١٤، المُغني: ٨٩/١٠، الأُم: ٢٠٠/٦ و: ٩٣/٧ و:
 ٢٧٨/٧ و ٣٠٢، سنن النسائي: ٢٢٤/٨، مجمع الفوائد: ٦٨٣/١، باختلاف يسير.

أنظر، المُستدرک على الصحیحین: ٨٨/٤، سنن سليمان بن داود الطيالسي: ٢٣٠٧/٣، جامع
 الأصول: ٥٤٨/١٠، مجمع الزوائد: ١٩٥/٤، الرسالة، لمحمد بن إدريس الشافعي، تحقيق وشرح
 أحمد محمد شاكر: ٤٩٤، صحيح مسلم: ١٢٢/٣.

(٢) الأتعام: ٥٠.

(٣) البقرة: ٤٤.

لَا إِسْلَامَ بِلَا عَقْلٍ :

وَمِنَ الْمُؤَسَّفِ أَنْ فِتْنَةٌ مَنَا نَحْنُ حُمَاةَ الْإِسْلَامِ، دِينَ الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ وَالْحَيَاةِ أَنْ يَقُولَ فَرْدٌ مِنْ أَفْرَادِهَا بِأَسْمِ هَذَا الدِّينِ: الْعَقْلُ دَاءٌ وَمَفْسَدَةٌ، وَآخِرُ يَنْفِي الْإِيمَانَ عَنِ الَّذِي يَطْلُبُ الْحِجَّةَ الْعَقْلِيَّةَ كَشَرَطٍ لِلطَّاعَةِ، وَثَالِثٌ يَزْعَمُ بِأَنَّ الْإِسْلَامَ بَعِيدٌ وَغَرِيبٌ عَنِ كُلِّ الْعُلُومِ! . فَقَدْ نَشَرَتْ مَجَلَّةُ الْعَرَبِيِّ الْكُوَيْتِيَّةِ كَلِمَةً بِعَنْوَانِ الْعَقْلِ فِي قَفْصِ الْإِتْهَامِ، جَاءَ فِيهِ مَا نَصَّهُ بِالْحَرْفِ الْوَاحِدِ:

« وَاحِدٌ مِنْ عُلَمَائِنَا فِي مَرَكِزِ رَفِيعٍ خَصَّصَ فَصْلًا كَامِلًا فِي كِتَابٍ آخِرٍ صَدَرَ لَهُ، يُهَاجِمُ فِيهِ الْعَقْلَ، وَيَعْتَبِرُهُ مَفْسَدَةً لِلْقَلْبِ وَجُرْثُومَةً ضَارَّةً يَجِبُ أَنْ تُعْبَأَ الْجُهُودُ مِنْ أَجْلِ الْقَضَاءِ عَلَيْهَا قَبْلَ أَنْ يَسْتَفْجَلَ الدَّاءُ، وَيَتَنَشَّرَ الْبَلَاءُ عَلَى أُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، فَتَشِيْعٌ بَيْنَهُمْ وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ آفَةٌ إِسْتِخْدَامِ الْعَقْلِ »^(١) .!

وَعَلَى قَوْلِ هَذَا « الرَّفِيعِ » تَكُونُ الْآيَاتُ الْقُرْآنِيَّةُ فِي تَمْجِيدِ الْعَقْلِ كُلِّهَا مَنَسُوخَةٌ، وَالْأَحَادِيثُ الْقُدْسِيَّةُ وَالتَّبَوِيَّةُ كُلُّهَا مَوْضُوعَةٌ! . وَلَا يُرِيدُ الْمُبَشِّرُونَ ضِدَّ الْإِسْلَامِ وَأَعْدَاؤُهُ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ... قَالَ سُبْحَانَهُ لِلْعَقْلِ فِي حَدِيثٍ قُدْسِيٍّ مُتَوَاتِرٍ عِنْدَ الشَّيْعَةِ وَالسُّنَّةِ: « مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ، بِكَ أَثِيبُ، وَبِكَ أُعَاقِبُ »^(٢) . وَقَالَ الرَّسُولُ الْأَعْظَمُ ﷺ: « لِكُلِّ شَيْءٍ دَعَامَةٌ، وَدَعَامَةُ الْمُؤْمِنِ عَقْلُهُ »^(٣) .

وَقَالَ هَذَا « الرَّفِيعِ »: كَلَّا، أَنَّ الْعَقْلَ دَاءٌ وَوَبَاءٌ وَجُرْثُومَةٌ ضَارَّةٌ بِدِينِ الْإِسْلَامِ،

(١) أنظر، مجلة العربي الكويتية في العدد (٢٢٥ تاريخ آب ١٩٧٧ م).

(٢) أنظر، كشف الحفاء للمجلوني: ١/٢٦٣ ح ٨٢٣، نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ١٨/١٨٥، المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي: ١/١٩٢ ح ٨، فتوح الشام للواقدي: ١/١٧٨، أعلام الدين وصفات المؤمنين للدليمي: ١٧٢.

(٣) أنظر، إحياء علوم الدين للغزالي: ١/٨٣.

وَصَدَقَ اللهُ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنْ شَرُّ الدُّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَتَفَقَّهُونَ﴾^(١).

وأيضاً جاء في هذه الكلمة: «قال أبو الأعلى المودودي الهندي في كتابه نحن والحضارة الغربية: «الإيمان وطلب الحجة العقلية كشرط من شروط الطاعة أمران متناقضان لا يسوغ العقل السليم اجتماعهما أبداً، فالذي هو مؤمن لا يمكن أن يكون طالباً للحجة».

ونسأل هذا القائل: هل كان خليل الرحمن مؤمناً أو غير مؤمن حين قال ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تَأْمِينٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لِّيَطْمِئِنَّ قُلُوبِي قَالَ فخذُ أربعةً من الطيرِ فصرهنَّ إليك ثم اجعل على كلِّ جَبَلٍ منهنَّ جزءاً ثم ادعهنَّ يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيزٌ حكيمٌ﴾^(٢)؟

فإن إختار الأول ناقض نفسه بنفسه، وإن قال بالثاني فقد جحد وخالف نص القرآن الكريم: ﴿قَالَ أُولِمُ تَأْمِينٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَئِن لِّيَطْمِئِنَّ قُلُوبِي﴾^(٣). بأن الذي خلقني وأختارني لرسالته هو دون سواه يُخاطبني، وما على عيني أو في أذني غطاءً وغطاوة.

ولأدري: لماذا هذا الإصرار والتركييز على تجميد الإسلام وتَحجيره، والإبتعاد به عن نور العقل وأسباب التقدم والتطور على أساس الوحي ومبادئه؟ وهل هذا لمصلحة الإسلام والتبشير بعظمته ومرونته؟

وفي مجلة الهلال المصرية كلمة بعنوان كيف نرقى بالتشريع المعاصر؟. جاء فيها:

(١) الأنفال: ٢٢.

(٢) البقرة: ٢٦٠.

(٣) البقرة: ٢٦٠.

« أن حُكْم الإسلام يَنْطَلِق من أساس الإيمان بِالْغَيْب... والحَقِيقَةُ أَنَّ الْفَارِقَ الْمُمَيِّزَ بَيْنَ الْحُكْمِ الدِّينِيِّ وَبَيْنَ الْحُكْمِ الْوَضْعِيِّ هُوَ الْإِيمَانُ بِالْغَيْبِ، بَلْ هُوَ الْفَارِقُ بَيْنَ الْعَالَمِ الدِّينِيِّ وَبَيْنَ الْعُلُومِ الْمُخْتَلِفَةِ »^(١).

أَرَأَيْتِ إِلَى هَذَا الْمَنْطِقِ؟: أَبَدًا لَا يَرْفَعُ التَّشْرِيْعَ الْمُعَاَصِرَ إِلَّا بِالْإِبْتِعَادِ عَنِ كُلِّ الْعُلُومِ وَالرَّجُوعِ إِلَى الْغَيْبِ (أَيِ الْوَحْيِ) وَكَأَنَّ وَحْيَ اللَّهِ وَكُتَابَهُ عَدُوٌّ لِلْعِلْمِ وَالْعَقْلِ! مَعَاذَ اللَّهِ. كَيْفَ وَلَا شَيْءَ بَعْدَ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ إِلَّا الضَّلَالَةُ وَالْخَرَاةُ... تَعَالَى اللَّهُ عَنِ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

وَلَوْ صَدَقَ هَذَا الْكَاتِبُ فِي زَعْمِهِ لَمَا كَانَ لِلْإِسْلَامِ حَضَارَةٌ وَثِقَافَةٌ، وَلَا شَيْءٌ أَسْمَهُ عُلُومِ إِسْلَامِيَّةٍ... وَرَحِمَ اللَّهُ عُلَمَاءَ السَّلَفِ الَّذِينَ أَجْمَعُوا قَوْلًا وَاحِدًا عَلَيَّ أَنَّ عِلْمَ الزَّرَاعَةِ وَالصَّنَاعَةِ وَالطَّبِّ وَالْهَنْدَسَةِ وَكُلِّ مَا هُوَ ضَرُورِيٌّ لِلْحَيَاةِ وَاجِبٌ كَفَائِيٌّ لِأَنَّ مَا لَا يَتِمُّ الْوَاجِبُ إِلَّا بِهِ فَهُوَ وَاجِبٌ. وَهَذِهِ الْقَاعِدَةُ يَحْفَظُهَا الصَّغَارُ مِنَ الطَّلِبَةِ، وَلَكِنِ الْكَاتِبُ ذَهَلَ عَنْهَا... أَللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَدَّعِي أَنْ عَلَى النَّاسِ أَنْ يَزْرَعُوا وَيَصْنَعُوا وَيَتَطَبَّبُوا وَرَاءَ الطَّبِيعَةِ!

وَأخِيرًا نَسْأَلُ: هَلْ جَاءَ هَذَا الْإِنْتِظَامُ وَالْإِنْسِجَامُ بَيْنَ هَذَا الْكَاتِبِ وَزَمِيلِيهِ السَّابِقِينَ مِنْ بَابِ الصَّدْفَةِ، أَوْ أَنَّ الْهَدَفَ مِنْ تَعَاظُدِهِمْ وَتَكَاتُفِهِمْ هُوَ بَثُّ الْوَعْيِ الدِّينِيِّ وَالْإِرْشَادِ وَالثَّوْرَةِ عَلَى الْفَسَادِ وَالْإِلْحَادِ؟. وَطَرِيفٌ أَنْ يَعلنَ عُلَمَاءُ الْغَرْبِ أَنَّ الْإِسْلَامَ وَضَعُ أُسُسِ الْحَضَارَةِ فِي الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ، ثُمَّ يَتَّفِقُ هَؤُلَاءِ الثَّلَاثَةُ عَلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ أَبْعَدُ مَا يَكُونُ عَنِ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِ!

القرآن وكلمة الغيب:

ولعلَّ من المُفِيدِ - بَعْدَ الْإِشَارَةِ إِلَى الْغَيْبِ - أَنْ نَتَحَدَّثَ حَوْلَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ

(١) أنظر، مجلة الهلال المصريَّة تاريخ أكتوبر تشرين الأول (سنة ١٩٧٣م).

بإيجاز، وهي تُستعمل لغةً وعرفاً في الجهل وضدّ الحضور، يقال: غاب فلان عن البيت أي لم يحضر فيه، وحفظت شيئاً وغابت عنك أشياء أي جهلت بها^(١). ولم يتجاوز القرآن هذين المعنيين، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾^(٢). حيث أراد سبحانه الآخرة الغائبة عن الأعين كما في قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣) أي ما غاب من أسرارها عن الخلق، ومن ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾^(٤) وذلك إشارة إلى من مضى من عباد الله... إلى غير ذلك من المعاني التي لا تتناقض حكم العقل وتنافره.

وهل من المعقول أن يصطدم الإسلام مع العقل، وهو الطريق إلى معرفة الله وإثبات نبوة محمد ﷺ وصدق القرآن الكريم وإعجازه... ومن هنا قال علماء الدين الحنيف: إذا تعارض العقل مع ظاهر الشرع أخذنا بما دلّ عليه العقل، وأولنا ذلك الظاهر بما لا يصطدم مع العقل، إن أمكن وإلاّ وجب الانتظار حتى تنكشف الحقيقة بطريق أو باخر^(٥).

وخير ما نختم به هذا الفصل قول (برناردشو) الشهير: «إنّ دين محمد هو

(١) أنظر، مختار الصحاح لمحمد بن عبد القادر: ٢٠٣/١، النهاية في غريب الحديث: ٣/٣٩٩، لسان القرب لابن منظور: ٦٥٤/١.

(٢) البقرة: ٣.

(٣) البقرة: ٣٣.

(٤) آل عمران: ٤٤.

(٥) أنظر، درء تعارض العقل والنقل لتقي الدين أحمد بن عبد السلام بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية، دار النشر الكتب العلمية بيروت ١٤١٧ هـ، تحقيق: عبد اللطيف عبد الرحمن: ١٤٨/٩، فرائد الأصول، الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري: ٥٦/١ إعداد لجنة تحقيق: ونشر تراث الشيخ الأعظم.

الدين الوحيد الحائز على أهلية الهضم لأطوار الحياة المختلفة لكل الناس... إنَّ مُحَمَّدًا يَجِبُ أَنْ يَدَّعِي مُنْقَذَ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَلَوْ تَوَلَّى رَجُلٌ مِثْلَهُ زَعَامَةَ الْعَالَمِ الْحَدِيثِ لَنَجَحَ فِي حَلِّ مُشْكَلَاتِهِ بِطَرِيقَةٍ تَجْلِبُ إِلَى الْعَالَمِ السَّلَامِ. بِهِذِهِ الرُّوحِ يَجِبُ أَنْ يَفْهَمَ مُحَمَّدًا، فَهُوَ أَكْمَلُ الْبَشَرِ مِنَ الْغَابِرِينَ وَالْحَاضِرِينَ، وَلَا يَتَّصِرُ وَجُودَ مِثْلِهِ فِي الْآتِيَيْنِ.»

f

,

.

المَادِيَّة والوَاقِعِيَّة والمَثَالِيَّة

المَادِيَّة :

المَادَّة هي التي تَشغَل حَيَازاً من مَكَان . والمَادِيَّة في الإِصطِلَاح الحَدِيث تعني أَنَّ المَادَّة هي المَوْجُود الحَقِيقِي الوَحِيد والأَصْل وَكُلِّ مَا عَدَاهَا فَرَع ... بِهَا يُفَسَّر العَقْل والرُّوح والحَيَاة والإنسَانِيَّة وَكُلِّ مَا يَحْتَاجُ إِلَى تَفْسِيرٍ ، إِذْ لَأ شَيْءٍ فَوْقَهَا عُلَى الإِطْلَاق ، وَهي أَزْلِيَّة لَأ أَوَّلَ لَأوَّلِهَا ، وَأَبْدِيَّة لَأ آخِرَ لَأخِرِهَا .

وَيَتَلَخَّصُ دَلِيلُ المَادِيَّينَ بِأَنَّ المَادَّةَ هي وَحدهَا التي تُرَى بِالْعَيْنِ ، وَتُلَمَسُ بِالْيَدِ ، وَلَا وَجُودَ إِلاَّ لَمَنْ هُوَ عُلَى هَذَا الوَصفِ . وَهَذَا الزَّعْمُ - كَمَا تُرَى - مَصَادِرَةٌ وَلَيْسَ بِدَلِيلٍ ، لِأَنَّهَا تَتَّخِذُ مِنَ المَدْلُولِ دَلِيلًا وَمِنَ النَّتِيجَةِ قِيَاسًا . وَتَتَّضِحُ هَذِهِ الحَقِيقَةُ مِنَ الحِوَارِ الآتِي :

قَالَ بَعْضُ الطَّلَابِ لِلْمَادِيَّينَ : لَقَدْ فَسَّرْتُمْ كُلَّ شَيْءٍ بِالمَادَّةِ ، فَبأَيِّ شَيْءٍ تُفَسِّرُونَ المَادَّةَ ؟ .

قَالُوا : هي فِي غِنَى عَن كُلِّ تَفْسِيرٍ ، لِأَنَّهَا مِن أَوْضَحِ الوَاضِحَاتِ .
قَالَ : أَجَلْ ، أَنَّ المَادَّةَ وَاضِحَةٌ بِوَجُودِهَا ، مَا فِي ذَلِكَ رَيْبٍ ، وَلَكِن مِّنَ الَّذِي أَوْجَدَهَا ؟ .

قَالُوا : هي وَاجِبَةٌ الوجودَ لِأ تَحْتَاجُ إِلَى مُوجِدٍ .

قال: من الذي يُدير الكون والطبيعة هذه الإدارة المحكمة، ويُديرها هذا التدبير المنظم بوضع كلِّ جزء في مكانه الملائم والمتفق مع جميع الأجزاء مُحققاً للقرص المقصود من وجوده؟.

قالوا: في البدء كانت الطبيعة ذرات رقيقة وأليفة، يُطلق عليها كلمة الأثير^(١) وكانت هذه الذرات تسبح وتموج في أطراف الفضاء، ودامت على هذا المنوال ملايين الملايين من السنين، وبهذه الحركة الدائبة الطويلة الأمد تطورت الذرات إلى أشكال وألوان وكائنات وحلقات متنوعة. منها الكواكب والأنعام والحشرات والإنسان... إلخ.

قال: ومن الذي رأى هذه الذرات اللطيفة، وحضر طوافها وأطرافها وشهد تطورها الآلي إلى هذا النظام والإنسجام والجمال والكمال؟.

قالوا: أبداً، ما من أحدٍ رأى وشاهد... ولكن أياً كان السبب فلا يمكن أن يكون عن قصد وتصميم ومن فقال لما يريد!.

أرأيت إلى هذا المنطق؟. نظام بلا منظم معقول ومقبول، أما النظام بمنظم فسُخف وخرافة!. ولماذا يا «عقلاء»؟. لأنه ما من أحدٍ فردٍ صمدٍ يمكن أن يصنع هذا الكون العظيم!.

ومن قبل قال الكافرون: «هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ أَجْعَلُ إِلَهِةً إِنَّهَا وَجِدَا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ»^(٢).

وهكذا ينتهي الماديون في كلِّ أقوالهم إلى المصادرة والقول بالظن والتخربص

(١) قالوا في تفسير هذا الأثير: «هو شيء لا لون له ولا كثافة، وتُخالف صفاته الصفات التي نعرفها في المادة».

(٢) سورة ص: ٤-٥.

تماماً كأهل الجاهليّة الجّهلاء . وفي العدد الأوّل من السّنة الأولى لمجلّة عالم الفكر الكويتيّة ما نصّه بالحرف: «أنّ المادّيين الذين يزعمون أنّه لا وجود إلاّ للمادّة قليلون بين المفكرين ، وهم في الحقيقة ليسوا أصحاب مذهب في تفسير الكون ، بل هم أصحاب رأي في طبيعة الوجود ، وهو رأي سطحيّ تعسفي وغير نقدي ، لأنّ المادّة كما نراها لا تُفسّر شيئاً ، وليست علّة حقيقة لشيء»^(١) .

وللمادّية أقسام وأصناف كالذريّة ، والإقتصاديّة ، والتأريخيّة ، والجديّة ، والساذجة ، والنقدية . والكلام عنها يستوعب مجلداً ضخماً وقد نُشير إلى بعض أقسامها فيما يأتي .

الواقعية :

أبعد شيء عن خاطر العاقل أن يشكّ ويتردّد في الشيء الذي يراه ويحسّه ، وأيضاً لا يشكّ في أنّ هذه الأعيان الخارجيّة قد وجدت وجوداً مستقلاً عن عقله وعلمه وعلم غيره ، ولا أظنّ أحداً من هذا السواد وهؤلاء الناس يتصور ، أنّ هناك من يشكّ في وجود الشمس والأرض والقمر وجوداً مستقلاً عن عقول الخلق - مثلاً - أو يقول: كلّ ما غاب ومن غاب عن علمي وعلم الآخرين فلا عين له ولا أثر... أمّا إدراكنا وإحساسنا بوجود شيء من الأشياء فهو مجرد صورة له وإنعكاس عنه تماماً كصور الوجه التي تراه العين في المرآة .

وهذا هو معنى الواقعية ، معناها بكلّ وضوح وبساطة أنّ في الواقع والخارج أشياء لا يُنابط وجودها ويرتبط بأي علم وتصور إلاّ بعلم خالقها وإرادته^(٢) .

(١) أنظر ، العدد الأوّل من السّنة الأولى لمجلّة عالم الفكر الكويتيّة : ١٣٤ .

(٢) قسّم بعضهم المثاليّة إلى ذاتية تُنكر وجود المادّة ، وتأتي الإشارة إليها ، وإلى موضوعيّة تعترف

وقديماً قال الفلاسفة وأهل المنطق: العلم هو صورة الشيء عند العقل، وبين
المعلوم بالبدئية أن الصورة فرع والشيء المتصور أصل، ولكن أهل التحقيق
والنظر يسمون هذه الصورة أو هذه المعرفة بالواقعية الساذجة أي أن السواد
الأعظم من الناس هم الذين يرون هذه الصورة علماً حقاً وواقعاً، وعلى هذا
الأساس يتفاهمون في حياتهم اليومية المألوفة بلا تحقيق وتمحيص.
وهذا خطأ وإشتباه، لأن الكثير من المرئيات تبدو لأعيننا عن بعد أصغر
حجماً وأقصر طولاً من واقعها، وكذلك نرى المربع مُدوراً من مكان بعيد، وعليه
فلا يسوغ القول أو الحكم بأن إدراكنا لأي شيء هو صورة طبق الأصل عنه، بل
يجب أن نقف من هذا الإدراك أو هذه الصورة موقف الناقد والفاحص فننظر: هل
هي من صلب الواقع قطعاً أو على الأرجح أو مُرددة بين السلب والإيجاب حيث
لا وسيلة للترجيح، ثم تصدر الحكم على الإدراك العقلي والصورة الذهنية تبعاً
لنتيجة النقد والتحصيص، فإن انتهينا إلى التطع واليقين بأن هذه الصورة الذهنية
الموجودة الآن هي طبق الأصل عن الواقع ربّنا جميع آثاره بلا تردد حتى يثبت
العكس وإلا توقفنا عن الحكم. وقد نعود إلى هذا الموضوع لسبب أو لآخر.

المثالية:

للمثالية معان شتى، منها المثالية الذاتية أو اللامادية، وعنها نتحدث في هذه
الفقرة، وخلاصتها أنه لا وجود لأي شيء في الخارج إلا إذا أدركه عقل من
العقول، وما لا يدركه عقل يستحيل أن يكون موجوداً - مثلاً - السمك موجود في
البحر لأننا نعلم بذلك، ولو لم نعلم به لم يوجد، ومن أخص خصائص هذه

« بوجود المادة، ولكن تسندها إلى مبدأ لامادي، وهو الله كما يقول المؤمنون، أو المسمى العقل المطلق
كما يقول آخرون، وتركنا الإشارة إلى هذه لأنها تندرج تحت الواقعية، وتمتج بها.

المثالية القول بأنّ الرّوح أصل والمادّة فرع على العكس من الفلسفة المادّية القائلة بأنّ المادّة أصل والرّوح فرع. وسبقت الإشارة إلى ذلك في الفقرة الأولى من هذا الفصل.

ويتلخص دليل المثاليين بأنّ ما من أحدٍ يستطيع إدراك أي شيء مُنفصل عن إدراكه وإحساسه، فكيف يؤمن بوجوده؟. وهل يُستلهم العلم من الجهل أو من مقدور الإنسان أن يتفصل عن إحساسه وإنفعاله؟. وردّ الواقعيون على هذه المثالية بما يلي:

١ - أن تصوّر الشيء والعلم به لا يأتي جزافاً وبلا سبب، وإتّما هو إنعكاس مُسبب عن الواقع العياني الملموس، وهذا الواقع هو الأصل والسبب، فما الذي جعل المُسبب سبباً، والسبب مُسبباً؟.

٢ - فرق بعيد بين الشيء المحسوس وبين الإحساس به، فالأوّل عين من الأعيان الخارجيّة المستقلة عن رؤية العين وعمل الفكر، والثاني موقف تأملي عقلي وإحساس داخلي صرف، فأين هذا من ذلك؟.

٣ - إذا نفينا وجود المادّة قبل العلم بها فأى شيء يبقى للمكتشفات العلميّة؟. فنيوتن لم يخلق الجاذبيّة بعلمه والأطباء لم يخترعوا الدّواء، لقد كان كلّ شيء موجوداً من قبل، والعقل أكتشفه وأستخدمه في مصالح الخلق. إلى غير ذلك من الرّدود والنقوض.

وكان الفيلسوف باركلي من أنصار المثالية الذاتيّة،

موجوداً فيها من قبل؟.

والفيلسوف جونسون من أنصار الواقعية، فقبل لهذا:
بماذا تُفند فلسفة باركلي القائلة بعدم وجود الأشياء
الخارجية؟. فركل حجراً برجله وقال: أفندها بهذا، وكيف
أقبل فكرة تقول: الشمس لا وجود لها إذا تورات عن
العين، أو أن اللحم الدفين في الفطيرة سيقفز إلى الوجود
بمجرد أن أفتحها دون أن يكون.

وبعد، فنحن نعلم بوجود هذا الكون المحسوس بالعيان والوجدان، وأيضاً
نعلم علم اليقين أنه يتطوي على أسرار وآفاق لا يبلغها العد والإحصاء، وأنه كلما
بلغنا منها أفقاً غابت عنا آفاق وآفاق... حتى أكثر الأشياء وضوحاً في أفهامنا
تبتن أسراراً لا نعرف عنها شيئاً، بل نجهل الكثير ممّا تحمله أرواحنا
وأجسامنا من آيات ومعجزات، وهي التي أشار إليه القائل: «وفيك أنطوى
العالم الأكبر»^(١).

أبعد هذا هل يجروء أحد على القول بأنه لا عين ولا أثر لما يعرب عن علمه أو
علم مخلوق مثله حتى ولو كان مثقال ذرة في الأرض ولا في السموات؟.

(١) وعلى حد ما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. أنه يسع كل شيء ولا يسعه شيء... أنه العالم الأكبر
الذي أشار إليه الإمام عليه السلام بقوله:

وتحسب أنك جرم صغير

وفيك أنطوى العالم الأكبر

ينسب هذا البيت إلى أمير المؤمنين الإمام عليه السلام كما في الديوان المرتضوي: ١٤٥، فيض
القدير شرح الجامع الصغير: ٤٦٦/٥، جواهر المطالب في مناقب الإمام عليه السلام بن أبي طالب لابن
الدمشقي: ٦٣٦/٢.

وقول الإمام عليه السلام و«أن الإنسان في بعض حالاته يُشارك السبع الشداد».

أنظر، شرح رسالة الحقوق للإمام عليه السلام بن الحسين (زين العابدين) عليه السلام: ٨٤.

حَوَالِ الْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ

بَيْنَ الْكُونِ وَالطَّبِيعَةِ :

تُطْلَقُ كَلِمَةُ الْكُونِ عَلَى الْعَالَمِ بَعَا فِيهِ وَمَنْ فِيهِ مِنْ مَادَّةٍ وَطَاقَةٍ أَوْ جِسْمٍ وَرُوحٍ أَوْ الظَّاهِرِ مِنْهُ وَالْبَاطِنِ ، قُلْ مَا شِئْتَ ، وَلَا تَطْلُقُ كَلِمَةً كَانَتْ عَلَى مَا يَدُلُّ عَلَيْهِ أَسْمَ الْجَلَالَةِ لِأَنَّ كَلِمَةً كَانَتْ تُؤْمِيءُ إِلَى حَدُوثِهِ .

وَتُطْلَقُ كَلِمَةُ طَبِيعَةٍ عَلَى السَّجِيَّةِ وَالصِّفَاتِ الذَّاتِيَّةِ الْمُقَابِلَةِ لِلْمُكْتَسِبَةِ ، أَمَّا الْعُلُومُ الطَّبِيعِيَّةُ فَإِنَّهَا تَبْحَثُ فِي الْمَادَّةِ وَأَحْوَالِهَا حَيْثُ كَانَتْ أَوْ جَامِدَةً ، وَتُسَمَّى أَيْضًا بِالْعُلُومِ التَّجْرِبِيَّةِ ، لِأَنَّ طَرِيقَةَ الْبَحْثِ فِيهَا الْمُلَاحَظَةُ وَالِاسْتِقْرَاءُ وَالِإِخْتِبَارُ .

الْعُلُومُ الْإِنْسَانِيَّةُ :

الْعُلُومُ الطَّبِيعِيَّةُ يَدُلُّ أَسْمُهَا عَلَيْهَا لِأَنَّ مَوْضُوعَهَا الطَّبِيعَةَ ، وَكَذَلِكَ الْعُلُومُ الْإِنْسَانِيَّةُ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِكَلِمَةِ إِنْسَانِيَّةٍ مَجْمُوعَ خِصَائِصِ الْجِنْسِ الْبَشَرِيِّ الَّتِي تُعَيِّرُهُ عَنْ سَائِرِ الْأَحْيَاءِ فِي الطَّبِيعَةِ .

وَلِلْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ أَقْسَامٌ مِنْهَا عِلْمُ التَّأْرِيخِ ، وَيَبْحَثُ فِي الْوَقَائِعِ وَالْحَوَادِثِ الْمَاضِيَّةِ ، وَعِلْمُ النَّفْسِ ، وَمَوْضُوعُهُ نَشَاطُ النَّفْسِ وَأَحْوَالِهَا وَصِفَاتِهَا الذَّاتِيَّةِ ، وَعِلْمُ الْإِجْتِمَاعِ ، وَيَتَنَاوَلُ الْحَيَاةَ الْإِجْتِمَاعِيَّةَ وَمَا تَخْضَعُ لَهُ مِنْ قَوَانِينِ ، وَعِلْمُ الْأَخْلَاقِ ، وَهُوَ مَجْمُوعَةٌ مِنَ الْمَبَادِيءِ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ يَجْرِيَ السَّلُوكُ الْبَشَرِيُّ عَلَى

مقتضاها، وعلم الاقتصاد، ويبحث في إنتاج الثروة وتوزيعها وأستهلاكها... إلى غير ذلك مما يتصل بحياة البشر كالتشريع والسياسة.

منهج العلوم الإنسانية:

كان في سالف الأزمان للعلوم الإنسانية مقامها الأعلى والأرضي يوم كان للقيم الأخلاقية وزن وشأن، وكانت هذه الحكمة: «أعرف نفسك»^(١) هي الهدف والرسالة لكل عالم ومعناها ظاهر وواضح، وهو يجب أن تفهم وتعرف ما لك وما عليك لكي تقف عند حدك، ولا تتجاوزة إلى غير حقك.

ولما تقدمت العلوم الطبيعية، وطفت المادة على كل شيء تخلفت العلوم الإنسانية، وتزعزع إيمان الأكثرية الغالبة بكل فضيلة ومعرفة إلا إذا كانت معملية و«شهيته» وما عداها سُخف وخرافة... وعلى هذا الأساس قالت بعض الفئات المعاصرة: يجب أن تتحرر العلوم الإنسانية من النظريات الفلسفية، وتخضع للحس والتجربة تماماً كالعلوم الطبيعية.

وهذا القول على عمومه وإطلاقه بعيد عن الصواب، لأن طبيعة موضوع العلم هي التي تحدد المنهج الملائم لبحثه ودراسته، فالعلم الطبيعي يعتمد على التجربة، والرياضيات على العقل، والتاريخ على النقل والآثار، ويخطيء من يعتقد أن التجربة هي الطريق الوحيد إلى المعرفة، أو أن النظر العقلي الفلسفي أقل شأنًا من العلم المعملية، قال رسل في كتاب الفلسفة بنظرة علمية: «ليست النتائج التي تنتهي إليها الفلسفة بالمختلفة من حيث الأساس عن النتائج التي

(١) أنظر، الجواهر السنوية للحر العاملي: ١١٦، تفسير السمعاني: ١٤١/١، تفسير البهوي: ١١٧/١، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية: ٢٩١، تفسير آبن القريني: ٣٦٠/٢، تفسير الثعالبي: ٤١٣/٥، المبدأ والمعاد، لصدر الدين محمد الشيرازي: ١٠١.

يصل إليها العلم»^(١).

ونتائج العلوم الإنسانية منها ما تنتهي إليه عن طريق الحس والتجربة كعلم الاقتصاد، ومنها ما نتوصل إليه عن طريق العقل أو الضمير كالقيم الاجتماعية، ومعنى هذا أن العلوم الإنسانية تتقبل الفلسفة والعلم بمعناه الحديث، وأنهما يعيشان فيها جنباً إلى جنب.

نقد الفلسفة:

وقال بعض المتأخرين: ليست الفلسفة في شيء من العلم والمعرفة، بل هي مجرد تفكير وتأمل يخضع لأهواء الفيلسوف ومزاجه أو لظرفه وأحداث عصره أو لتربيته وعقيدته المروثة.

الجواب:

هذا اعتراف من غير شعور بأن الذنب ذنب الفيلسوف لا ذنب الفلسفة... فإن الشرط الأول والأساسي في كل باحث عالماً كان أم فيلسوفاً أن يتنزه عن الميول والمصالح الخاصة، ويتخلص من كل المعتقدات والآراء السابقة، ويقف موقف الناقد والمتمحن لكل ما يمر بخاطره.

هذا إلى أن كل العلماء والفلاسفة معرضون للخطأ مهما تجردوا ودققوا، فكأن من عالم متمكن ومثبت حكم على الباطل بأنه حق، وعلى الحق بأنه باطل من حيث يظن العكس، ومن أجل هذا يحسب العالم الراسخ دائماً حساب الخطأ المحتمل، ويقرر أحكامه على سبيل التقريب لا على سبيل اليقين.

(١) أنظر، الفلسفة بنظرة علمية تأليف راسل ترجمة زكي نجيب محمود.

عُلماء الغرب والرّياء :

يتق أهل الشّرق أو جلّهم بعُلماء الغرب أكثر بكثير من عُلماء الشّرق وفلاسفته ، لأنّ أقوال الغربيّين وآراءهم - كما يزعمون - تقوم على التّجربة العلميّة لأعلى الحدس والتّخمين... وعلى هذا الأساس صدّق العديد من شبّابنا (دارون) في قوله : أن أصل الإنسان قرد لا لشيء إلا لمجرد زعمه هو بأنّ منهجه علمي !. وبمزور الأيّام ثبت لكلّ النّاس أنّ في عُلماء الغرب مُدلسين ومُرائين ، وفيما يلي نعرض - على سبيل المثال - بعض أفكار هؤلاء المُزيّفين .

في سنة (١٩٧١م) مات عالم بريطاني شهير ، اسمه (سيريل بيرت) ، وكان يتمتع بقدر هائل من الإحترام في كلّ الأوساط ، وكان ينشر آراء بالغة الأهميّة مدّعياً أنّها نتيجة التّجارب والإختبارات ، وبعد موته تبين أنّه كان يكذب ويخدع ، وأنّه نشر العديد من المقالات المُزوّرة ، ووقعها باسماء وهميّة لمؤلفين وباحثين لا عين لهم ولا أثر ، يمدحونه ويتنون على جهوده وصحة آرائه ونظريّاته .

وليس هذي هي المرّة الأولى من عُلماء الغرب في تزوير العلم رغبة في حبّ الظهور والشّهرة ، فمُنذ رُبع قرن ألف (فاينز وكلارك) كتاباً في المُزورين والدجّالين من عُلماء الغرب ، وقد شهدت السّنوات الأخيرة اكتشافات قلبت الآراء السائدة حول أصل الإنسان وأنّه قرد ، وكثير من العُلماء الآن يُعيدون تقديراتهم السابقة حول علاقة القرابة بين الإنسان والقردة العُليا^(١) .

قوى الشر والعلوم الإنسانيّة :

دأبنا في كلّ أو جلّ ما نكتب أن نُشير بأدنى مناسبة إلى وحشيّة الحضارة في

(١) من مقال مطول بعنوان ماذا يحدث في علوم الإنسان والمُجتمع ، نشرته مجلة عالم الفكر الكويتيّة في العدد الأوّل من المُجلّد الثامن .

هَذَا الْعَصْرَ وَأَفْتَرَسَهَا حَقُوقَ الْإِنْسَانِ وَأَمْتَصَّاصَهَا دِمَاءَ الشُّعُوبِ وَأَغْتَصَبَهَا الْأَقْوَاتِ وَالثَّرَوَاتِ بِكُلِّ وَسِيلَةٍ وَسَبِيلٍ، إِيْمَانًا مِنَّا وَإِيْقَانًا، بِأَنَّ الْإِسْلَامَ فِي جَوْهَرِهِ الصَّافِي يَرْبِطُ الدِّينَ بِالْحَيَاةِ، وَيَمْدُهَا بِكُلِّ قُوَّةٍ، وَيَذْبُ عَنْهَا بِكُلِّ سَلَاَحٍ، وَيُحْتَمِ عَلَى كُلِّ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَمُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ أَنْ يُجَاهِدَ فِي هَذِهِ السَّبِيلِ بِكُلِّ مَا يَمْلِكُ، وَلَا يَخْشَى فِي الْحَقِّ لَوْمَةَ لَأْتِمَ، بِخَاصَّةِ الْمُسْلِمِ الصَّالِحِ، وَبِوَجْهِ أَخْصَ مِنْ ظَهَرَ أَمَامَ النَّاسِ بِجُبَّتِهِ وَعِمَامَتِهِ.

وَفِيْمَا تَقَدَّمَ مِنْ صَفْحَاتِ هَذَا الْكِتَابِ ذَكَرْنَا -لِبَعْضِ الْمُنَاسِبَاتِ- أَنَّ قَوِيَّ الشَّرِّ فِي هَذَا الْعَصْرِ أَتَجَهَّتْ بِالْعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ إِلَى أَسْلِحَةِ الْفَنَاءِ وَالْإِبَادَةِ، وَالْآنَ، وَنَحْنُ نَتَكَلَّمُ عَنِ الْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ الَّتِي تَهْدَفُ بِطَبِيعَتِهَا إِلَى خِدْمَةِ الْإِنْسَانِ وَمَصْلَحَتِهِ، نُسِيرُ: كَيْفَ صَرَفَتْ قَوِيَّ الشَّرِّ هَذِهِ الْعُلُومَ عَنِ طَبِيعَتِهَا، وَأَنْحَرَفَتْ بِهَا إِلَى صِيَاغَةِ الْإِنْسَانِ الْمُعَاَصِرِ صِيَاغَةَ مُلَائِمَةٍ لِأَطْمَاعِهَا وَأَهْدَافِهَا.

لَقَدْ اسْتَفْلَ طُغَاةُ الْإِحْتِكَارِ وَالْإِسْتِعْمَارِ فِي هَذَا الْعَصْرِ الْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَثَمَارَهَا فِي التَّمَكِينِ لِأَجْهَازَةِ الدَّعَايَةِ الْمُضَلِّلَةِ وَمَنَاهِجِ التَّعْلِيمِ لِخَلْقِ الْمَوَاطِنِ الْمُطِيعِ لِلسَّيْطَرَةِ الْإِسْتِغْلَالِيَّةِ... وَأَيْضًا تُسْتَفْلُ هَذِهِ الثَّمَارُ وَالنَّتَائِجُ فِي مُمَارَسَةِ الْإِرْهَابِ وَالتَّعْذِيبِ الْوَحْشِيِّ وَاكتِشَافِ أَقْصَرِ الطَّرِيقِ لِإِلْغَاءِ إِرَادَةِ الْأَشْخَاصِ الْمُعَادِينَ لِلْأَنْظَمَةِ الْجَائِرَةِ، وَلَمْ تُعَدِ الْأَشْكَالُ الْإِنْتِقَامِيَّةُ فِي الْقُرُونِ الْوَسْطَى إِلَّا لُعبَةً مِنْ لُعبِ الْأَطْفَالِ بِالْقِيَّاسِ إِلَى الْعِلْمِ الْمُنْظَمِ الَّذِي يَنْقَلُ النَّاسَ مِنْ عَقِيدَةٍ إِلَى عَقِيدَةٍ وَمِنْ مَوْقِفٍ إِلَى مَوْقِفٍ.

وَقَدْ شَاعَ وَذَاعَ أَنَّ الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةَ تُسَخَّرُ عِدَدًا كَبِيرًا مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمُتَخَصِّصِينَ بِالْعُلُومِ الْإِنْسَانِيَّةِ بِشَكْلِ وَاضِحٍ وَعَلَى نِطَاقٍ وَاسِعٍ، وَتُجَنِّدُهُمْ لِدْرَاسَةِ الْقَبَائِلِ وَكُلِّ بِلَادِ الْعَالَمِ، وَتَسْتَعْمَلُهُمْ فِي خِدْمَةِ أَهْدَافِهَا، وَتُحَلِّقُ الْعَدِيدَ

منهم بالمخابرات العسكرية والسفارات^(١).

أقرأ باسم ربك:

وخير ما نختم به هذا الفصل كلمة طيبة من مقال للدكتور عبدالعزيز كامل بعنوان النبي والعلم، نشرته مجلة الهلال المصرية في العدد العاشر من سنتها الـ (٨٠)، ونذكر نص الدكتور المسلم عبد العزيز بين قوسين (...) وما عداه فهو من قلمنا لمجرد التوضيح.

قال: «أقرأ باسم ربك»^(٢). ولتقف قليلاً عند هذا الأمر القرآني الأول لترى فيه بعض توجيهات الله لنا في طلب العلم. سواء أكان من العلوم الطبيعية أم الإنسانية أم الرياضية.

«وإن أكبر تكريم للعلم هو الأمر الأول الذي أنزله الله على رسوله». ذهب أكثر المفسرين والعلماء والرواة إلى أن أول ما نزل على رسول الله ﷺ. «أقرأ باسم ربك الذي خلق»^(٣)... «أقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم»^(٤). وعليه يكون الواجب الأول في الإسلام هو العلم، ثم الإيمان والعمل، ولا فضيلة أسمى من هذه وأعظم.

«أقرأ باسم ربك». ونحن في حياتنا نرى أنواعاً كثيرة من القراءة، فقد تكون

(١) كتاب المخابرات الأمريكية، نشرته مجلة الحوادث البيروتية في أعداد متتابعة سنة (١٩٧٧م)، ومجلة الكاتب المصرية العدد (١٠١) من السنة التاسعة، ومجلة عالم الفكر الكويتية العدد الأول من المجلد الثامن.

(٢) العلق: ١.

(٣) العلق: ١.

(٤) العلق: ٣-٥.

القراءة بأسم التسلط والهوى والشهوة والإستعلاء الكاذب، قراءة الدول الإستعماريّة، وما عندها من علم وضّعت في خدمة عدوانها الإستعماري، قراءة الإستعمار الأمريكي في أرض (فيتنام)، وقراءة إسرائيل في (فلسطين) والأرض العربيّة السّليبيّة، كلّ أولئك علم وقراءة، ولكنها ليست بأسم الله، ويبدو من ذلك ضرورة ربط العلم في الإسلام بهدفه الأخلاقي، أن يكون بأسم الله، وأن يكون في خدمة الإنسان، بل لو تعمقنا في هذا الأمر الأوّل (أي اقرأ) لوجدنا فيه عمقاً عميقاً في قول الله بأسم ربك، ولم يقل بأسم الله، لأنّ لفظ ربّ يدل على التّربيّة والرّعاية).

ولماذا أوجب الإسلام العلم أولاً وقبل الإيمان والعمل؟. لأنّه لأخير في أي دين أو مبدأ أو عمل يأباه العلم والعقل، وأيضاً لأخير في علم يأباه ويلعنه العقل والضّمير والإنسانيّة جمعاء.

وختاماً فإنّ الدين الذي يحث على طلب العلم، ويعتبره الأوّل والأساس لا يطلب منه الدليل على صدقه وصحته، لأنّه يحمل هذا الدليل في صلب تكوينه وطبيعته.

فلسفة الآخرة وجمال الدين الأفغاني

تحدث العلماء والفلاسفة عن الآخرة قديماً وحديثاً، ووضعوا فيها وفي إثباتها الكتب الطوال والقصار وما بين ذلك... وشاركتمهم بنصيب، والله الحمد، وأعتقد جازماً أن ما كتبه حكيم الشرق السيد جمال الدين الأفغاني في هذا الباب - على إيجازه - هو أعظم نفعاً وأقوى تأثيراً في القلوب والعقول مما كتب الفلاسفة والعلماء مجتمعين... ولا أرى عملاً أنتفع به في موقف العرض والحساب وموضع الثواب والعقاب، خيراً وأفضل من المساهمة في نشر ما قاله هذا العظيم وأذاعه. قال فقيد الدين والإنسانية:

«الإعتقاد بأن الإنسان إنما ورد في هذه الحياة الدنيا لإستحصال كمال يهيئه للعروج إلى عالم أرفع وأوسع من هذا العالم الدنيوي، والانتقال من دار ضيقة الساحات، كثيرة المكروهات، جديرة أن تُسمى بيت الأحزان وإقرار الآلام إلى دار فسيحة الساحات خالية من المؤلمات، لا تنقضي سعادتها، ولا تنتهي مدتها.»

«فهذه العقيدة أعظم صارف للإنسان عن الوحوش المفترسة في معيشتها والثيران البرية في حالتها، والهوام التي لا تستطيع دفع مَضرة ولا الوقاية من عادية، ولا تهتدي طريقاً لحفظ حياتها، وتقضي آجالها في دهشة الفزع ووحشة الإنفراد، هذه العقيدة أشد زاجراً لأبناء الإنسان عن التقاطع المؤدي لإفتراس بعضهم كما يقع بين الأسود الكأسرة، والوحوش الضارية، والكلاب العاقرة،

وأشد مانع يدفع صاحبها عن مشاكلة الحيوانات في خصائص الصفات». «وهذه العقيدة أحجى حاد للفكر في حركاته، وأنجح دافع للعقل في استعمال قوته، وأقوى فاعل في تهذيب النفوس، وتطهيرها من دنس الرذائل، وإن شئت فآرم بنظر العقل إلى قوم لا يعتقدون بالبعث: كيف لا يتسابقون إلى شرائف الأمور وفضائل الصفات... أن من مقتضيات الجزم بأن الإنسان ما ورد هذا العالم إلا ليتزود منه كما لا يعرج به إلى عالم أرفع، ويرتحل به إلى دار أوسع، وجنات أروع إن أشربت هذه العقيدة قلبه ينبعث بحكمتها، وينساق بخايتها للإضاءة بالعلوم الحقة والمعارف الصافية، وينصرف همه إلى الخير وتهذيب نفسه وتطهيرها من دنس الرذائل، ويناله التقصير في تقويم ملكاته النفسية، وينزع لكسب المال من الوجوه المشروعة متكباً عن طريق الخيانة، ووسائل الكذب والحيلة، معرضاً عن أبواب الرشوة، مترفعاً عن الملق الكلبى، والخداع الثعلبى، ثم ينفق ما كسب في الوجه الذي يليق وعلى الوجه الذي ينبغي، ولا يأتي فيه باطلاً، ولا يغفل حقاً عاماً أو خاصاً».

«إن هذا الاعتقاد أشد ركن لقوام الهيئة الاجتماعية التي لا عماد لها إلا معرفة كل ذي حق حقه وحقوق الآخرين عليه، والقيام على صراط العدل المستقيم، وهذا الاعتقاد أنجح الذرائع لتوثيق الروابط بين الأمم، إذ لا عقد لها إلا مراعاة الصدق، والخضوع لسُلطان العدل في الوقوف عند حدود المعاملات، هذا الاعتقاد نفحة من روح الرحمة الأزلية، تهب على القلوب ببرد الهدوء والمسالمة، فإن المسالمة ثمرة العدل والمحبة، وهما زهر الأخلاق والسجايا الحسنة... كل ذلك وغير ذلك من الفضائل هو من ثمار العقيدة باليوم الآخر»^(١).

(١) هذا النص مقتبس من رسالة الرود على الدهريين للسيد المفكر المصلح، ومنتشور في مجلة العربي

أَنْ قَائِلَ هَذِهِ الْكَلِمَةِ هُوَ الْعَدُوُّ الْأَوَّلُ لِلظُّلْمِ وَالْبَاطِلِ وَهُوَ الَّذِي رَكَلَ بِحَذَائِهِ مَنْصِبَ الصِّدْرِ الْأَعْظَمِ فِي بَلَدِهِ أَفْغَانِسْتَانَ وَقَالَ لِبْرِيطَانِيَا حِينَ عَرَضَتْ أَنْ تُعَيِّنَهُ سُلْطَانًا عَلَى السُّودَانِ: «هَلْ تَمْلِكِينَ السُّودَانَ حَتَّى تَبْعَثِي إِلَيْهِ بِسُلْطَانٍ؟... أَنْ تَخَوْفَ بْرِيطَانِيَا مِنْ أَعْزَلٍ مِثْلِي لِدَلِيلٍ عَلَى ضَعْفِ شَوْكَتِهَا، وَإِنَّهَا فِي الْحَقِّيقَةِ أَضَعَفُ مِنَ الشُّعُوبِ الَّتِي تَسْتَدْلُهَا».

وهنا سؤال يطرح نفسه، وهو لقد رأينا شعوباً لا تؤمن باليوم الآخر، علماً بأنّها أرقى وأكثر حضارة من بعض الشعوب التي تؤمن به على عكس ما قال السيد الأفغاني؟.

الجواب:

أَنْ مَا ذَكَرَ السَّيِّدُ مِنْ آثَارِ الْإِيمَانِ بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَثَمَارِهِ هُوَ بِنَفْسِهِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مُرَادَهُ بِالْإِيمَانِ عَيْنَ مَا أَرَادَهُ الْإِمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام بِقَوْلِهِ: ««فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ، وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْإِيمَانِ، وَبِالْإِيمَانِ يُعَمَّرُ الْعِلْمُ، وَبِالْعِلْمِ يُرَهَّبُ الْمَوْتُ، وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا، وَبِالدُّنْيَا تُحَرَّزُ الْآخِرَةُ، وَبِالْقِيَامَةِ تُرْفَقُ الْجَنَّةُ، وَتُبَرِّزُ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ، وَإِنَّ الْخَلْقَ لَا مَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَةِ مُرْقَلِينَ فِي مَضْمَارِهَا إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى»^(١). وَمَعْنَى هَذَا أَنَّ الْعَمَلَ الصَّالِحَ أَمْتَدَادَ لِلْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ مَصْدَرَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَأَنَّ مَنْ يَدَّعِي الْإِيمَانَ وَلَا يَعْمَلُ فَهُوَ إِمَّا جَاهِلٌ بِجَهْلِهِ، وَإِمَّا مُخَادِعٌ كَذَّابٌ.

وبعد، فإنّ الإيمان الحقّ باليوم الآخر هو المدد الذي لا ينضب معينه لكلّ مكرمة وفضيلة، والرباط الوثيق بين الله والإنسان، ومن لا يؤمن به فقد قطع كلّ

«الكويتية العدد (٢٢٢) بعنوان أثر العقائد الدينية في تقدّم البشرية.

(١) أنظر، نهج البلاغة: من كلام له عليه السلام لأهل البصرة رقم (١٥٦).

الصّلات والعلاقات بينه وبين خالقه ، وإذا عمل الخير لوجه الخير والإنسانيّة فهو أجير مأجور ، ما في ذلك ريب ، لقوله سبحانه : ﴿ قُلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴾^(١) . ولكن الأجير المأجور شيء ، والقريب من الله شيء آخر . وهل كلّ من يعمل لك بأجرٍ هو قريب منك وحبيب ؟ .

(١) الرحمن : ٦٠ .

فلسفة الإلحاد في العصر الراهن

كان الناس أمة واحدة:

هناك نظرية تقول: أن الطفل منذ سنّ مبكرة يعي ويؤمن فطرياً وآلياً بوجود قوة عليا يلجأ إليها للحماية وهو يحترمها ويعبدها بطريقة غريزية، ولكن النظرية الأكثر شيوعاً تقول: أن الإنسان يُولد لامتديناً ولا مُلحدأ، وكلّ ما يملكه من شيء هو الاستعداد لذا وذلك، وإنه يتكيف تبعاً لتربيته وبيئته. وإلى هذا تُشير الآية: ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً - لا ضالين ولا مهتدين - فَاخْتَلَفُوا﴾^(١). وما أكثر الخلافات والحماقات! فبعث الله النبيين ليحكموا بين الناس فيما اختلفوا فيه، وروى صاحب مجمع البيان هذا المعنى عن أهل البيت عليهم السلام في تفسير الآية: ﴿رَبِّينَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَزْزِقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾^(٢).

أجل، لا عذر لذي وعي وعقل في كُفره بالخالق وجُوده حتّى ولو جهل دعوة الأنبياء ما دام الله في كلّ شيء من أشياء الكون آية تنطق بوجوده وعظمته. فقد نقل ناقل عن كتاب «بحث عن العقل الإنساني» للفيلسوف الإنجليزي

(١) يونس: ١٩.

(٢) البقرة: ٢١٢.

(جون لوك) ما يلي:

«إن كان الله لم يعطنا أفكاراً فطرية عن ذاته، ولم يطبع حرُوفاً أصيلة في عقولنا نستطيع بها أن نقرأ وجوده، فإنه بما أودعه في عقولنا من ملكات لم يجعل وجوده بلا شيء يشهد له، لأن لنا الإحساس والإدراك والعقل، فلا نحتاج إلى برهان واضح على وجوده ما دمنا نحمل ذاتنا معنا، ولا نحن نستطيع أن نشكو من جهلنا في هذه النقطة، لأن لنا من كثرة الوسائل لمعرفة بقدر ما يلزم للغاية من وجودنا».

أسباب الإلحاد:

وقد يسأل سائل: إذا كانت الدلائل والآيات البينات على وجود الله سبحانه بهذه الكثرة الكاثرة مع الوضوح والظهور فكيف أنتشر الإلحاد في كل عصر ومصر؟

الجواب:

١ - أن مجرد ظهور الدلائل أمام الأعين لا يجدي شيئاً إذا كانت القلوب والعقول منصرفه عنها، قال بعض الفلاسفة: «طالما حدث لي أن أتلفت في كل ناحية لأخذ منظاري وهو أمام عيني، وهذه حقيقة كثيراً ما تحدث للفلاسفة، فليس في استطاعتنا إذن القول عن شخص أنه يدرك هذا الشيء لمجرد أنه ينظر إليه ببصره».

فالمهم الانتباه والتفكير، القلب والعقل، وليس العين وحدها... وأكثر الجاحدين أو الكثير منهم في شغل شاغل يعيشهم عن النظر إلى الكون وعجائبه ونظامه، ثم الاستنتاج السليم مما يرون ويشاهدون. ومن هنا قال سبحانه أكثر من

مرّة: «أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ»^(١)؟ . «أَفَلَا تَعْقِلُونَ»^(٢)؟

٢ - أن بعض الملحدين يتعمدون مُحاربة الإيمان بالله لا لشيء إلا لأنَّ اسمه دين!

٣ - قال آينشتين: «أشدّ الأمور غموضاً في الكون أنّه غير غامض». ولعلّه أراد أن كلّ شيء في الكون فني وعلمي بتنسيقه وتنظيمه وأحكامه، وهذا ظاهر للعيان، ولا يُنكره جاحد مهما بلغ به العناد، أما الغموض فسره أن خالق العالم ليس كمثله شيء، يرى ولا يُرى إلاّ بخلقه وآثاره.

٤ - إقبال الشباب على كلّ دعوة وفلسفة تقول: لماذا الدين والثواب؟. ولماذا الإنسانيّة والقيم الروحية؟. فعلى الإنسان أن يتحرّر من كلّ قيمة وقيد، وأن يعمل لنفسه في هذه الحياة، فإنّها كلّ الحياة، وأهم المذاهب الفلسفيّة في العصر الزاهن وأكثرها شيوعاً وأتباعاً تهدف إلى هذه الغاية، وهي أربعة: (الوضعيّة المنطقيّة، والبراجماتيّة، والوجوديّة، والماديّة الجدليّة)، وإذا اختلفت هذه المذاهب في جانب أو أكثر، فإنّها جميعاً تهدف إلى شيء واحد، وهي أن تجعل الدنيا هي الأولى والأخيرة.

وفي الصفحات الآتية نتكلم عن كلّ مذهب من هذه المذاهب في فصل مستقل، ونُحاول جهدنا أن نعرض أمام القارئ صورة واضحة عنه، ثمّ نُعقب عليه بما نرى، وبخاصّة فيما لا يلتئم ويتسجم مع الإسلام ومبادئه.

(١) الأنعام: ٥٠.

(٢) البقرة: ٤٤.



الوَضْعِيَّةُ الْمَنْطِقِيَّةُ

مَعْنَاهَا :

المُرَاد بالوَضْعِيَّةِ الْمَنْطِقِيَّةِ هُنَا التَّجْرِبَةُ الْعِلْمِيَّةُ ، وَهِيَ تَتَّخِذُ مِنْ شَهَادَةِ الْحَوَاسِ وَحَدِّهَا طَرِيقاً لِلْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَمَعْيَاراً لِلْحَقِّ وَالْحَقِيقَةِ ، وَتُنْكَرُ وَجُودَ الْعَقْلِ بِالْمَعْنَى الَّذِي نَعْرِفُهُ فِي مَقَابِلِ مَنْ يَتَّخِذُونَ مِنَ الْعَقْلِ وَحَدِّهِ أَدَاةً وَوَسِيلَةً لِلْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ ، وَلَا يَتَّقُونَ بِالْحَوَاسِ كَطَّرِيقٍ إِلَى الْمَعْرِفَةِ الصَّحِيحَةِ .

وَتَخْجُرُ هَذِهِ الْوَضْعِيَّةُ عَلَى الْفَلَسَفَةِ أَنْ تَتَحَدَّثَ عَنِ الْكَوْنِ أَوْ الْإِنْسَانِ ، وَتُعْطِي عَنْهُ نَظْرَةً شَامِلَةً ، أَوْ تُعَبِّرُ عَنْ رَأْيِهَا فِي أَيِّ شَيْءٍ مِنْ أَشْيَاءِ الطَّبِيعِيَّاتِ أَوْ الْإِنْسَانِيَّاتِ ، وَتَحْصُرُ مَهْمَةَ الْفَلَسَفَةِ بِتَحْلِيلِ الْكَلَامِ تَحْلِيلًا يُمَيِّزُ بَيْنَ مَالِهِ مَعْنَى وَمَضْمُونٍ ، وَبَيْنَ مَا هُوَ فَارِغٌ عَنِ الْمَعْنَى وَالْمَحْتَوَى بِالرَّجُوعِ إِلَى الْخِبْرَةِ الْحَسِيَّةِ ، وَيَأْتِي التَّوَضُّيْحُ .

أَقْسَامُ الْقَضِيَّةِ :

تَبْدَأُ الْوَضْعِيَّةُ الْمَنْطِقِيَّةُ بِقَضِيَّةٍ قَبْلِيَّةٍ لِأَصْلِ لَهَا وَلَا أُسَاسٍ ، وَهِيَ أَنَّ الْمَادَّةَ هِيَ الْمَوْجُودُ الْوَحِيدُ ، وَعَلَيْهِ فَكَلِمَةُ عَقْلٍ وَرُوحٍ وَآخِرَةٌ وَخَيْرٌ وَشَرٌّ ، كُلُّ ذَلِكَ وَمَا إِلَيْهِ كَلَامٌ فَارِغٌ مِنَ الْمَعْنَى وَالْجَدْوَى تَمَاماً بِمِثْلِ كَلِمَةِ غُولٍ وَعَنْقَاءٍ وَالْمُرْبَعِ الْمُدَوَّرِ .

وَيُقَسَّمُ الْوَضْعِيُّونَ الْقَضِيَّةُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ ، مِنْهَا قَضِيَّةُ الْكَلَامِ الْفَارِغِ :

١ - القضيّة الرّياضيّة وهي التي يكون المَحْمُول فيها عَيْن الموضوع بحيث يُصدقها السّامع بمُجرد النّطق بها من غير شَاهِد من خَارِجها كَقَوْلنا: الإِثْنان عدد زَوْجِي لآ فَرْدِي، أو يُكذِّبها كَقَوْلنا: الإِثْنان عدد فَرْدِي لآ زَوْجِي، وتُسَمَّى هذه القضيّة تَحْلِيلِيّة.

٢ - القضيّة الطّبيعيّة وهي لآ تَدَل بِنَفْسِهَا عَلى صِدْقِهَا أو كِذْبِهَا، لِأَنَّ المَوْضوع فِيهَا غَيْر المَحْمُول، وَلَكِن السّامع يَسْتَطِيع أَن يَتَحَقَّق وَيَتَشَبَّه: هَل هي صَادِقَة أو كَاذِبَة بِمَعُونَة الحِسِّ والتَّجَرِبَة كَقَوْلنا: الحَدِيد يَتَمَدَّد بِالْحَرَارَة. فَهَذِهِ جُمْلَة صَادِقَة بِالْمُلاحَظَة والمُشَاهَدَة، وَعِندمَا نَقُول: الحَدِيد لآ يَتَمَدَّد بِالْحَرَارَة. فَيُعَدُّ هَذَا القَوْل كَاذِباً لِأَنَّهُ خِلَاف الوَاقِع المَحْسُوس، وتُسَمَّى هَذِهِ القضيّة تَرْكِيبِيّة.

٣ - القضيّة الفارغة من المعنى وهي التي لآ تَحْمَل فِي صُلْبِهَا صِدْقِهَا أو كِذْبِهَا كَمَا هُوَ شَأْن القضيّة الرّياضيّة، وَأَيْضاً لآ يُمكن أَمْتَحَانِهَا وَأَخْتِبَارِهَا بِالْمُشَاهَدَة أو التَّجَرِبَة كَالقضيّة الطّبيعيّة حيث لآ عَيْن ولا أَثَر لَمَدْلُولِهَا فِي الخَارِج مِثْل العَقْل يُدْرِك والرُّوح تَشْعُر، فَهَل مِن أَحَدٍ رَأَى شَيْئاً أَسْمَهُ عَقْل أو رُوح؟.

والفَرَق بَيْن الكَلَام الكَاذِب والكَلَام الفَارِغ - مَا زَالَ الحَدِيث للوَضْعِيّين - أَنَّ الأوَّل يُمكن أَن يَكُون صَادِقاً بِمُوَافَقَة الوَاقِع، أَمَّا الثَّانِي فَلَا وَاقِع لَهُ عَلى الإِطْلَاق، فَكَيْف

يُوصَفُ بِصِدْقٍ أَوْ بِكَذَبٍ؟. وَإِذْنُ هُوَ كَلَامُ فَارِغٍ. وَبِتَعْيِيرٍ
 آخِرُ أَنَّ التَّقَابِلَ بَيْنَ الصِّدْقِ وَالْكَذْبِ تَمَاماً كَالْتَّقَابِلِ بَيْنِ
 الْأَعْمَى وَالْبَصِيرِ، فَلَا يُقَالُ هَذَا أَعْمَى إِلَّا لَمَنْ شَأْنُهُ أَنْ يَكُونَ
 بَصِيراً، أَمَّا الْحَجَرُ - مِثْلاً - فَلَا يَتَّصَفُ بِالْعَمَى، وَإِنْ وَصَفَهُ
 وَاصِفٌ بِذَلِكَ فَكَلَامُهُ لَعُوٌّ وَعَبَثٌ، وَهَكَذَا كَلِمَةُ عَقْلٍ وَنَفْسٍ
 وَخُلُودٍ وَمَا أَشْبَهَ فِي الْوَضْعِيَّةِ الْمُنطَقِيَّةِ.

مُلاحَظَات:

ويُلاحَظُ عَلَى الْوَضْعِيَّةِ وَالْوَضْعِيِّينَ:

١ - مِنْ الْبِدَاهَةِ بِمَكَانٍ أَنَّهُ لَا يَسُوغُ لِعَاقِلٍ عَلَى وَجْهِ
 الْأَرْضِ أَنْ يُثَبَّتَ شَيْئاً أَوْ يَنْفِيَهُ بِلِسَانٍ جَازِمٍ حَازِمٍ إِلَّا بِدَلِيلٍ،
 أَمَّا أَنْ يُثَبَّتَ أَوْ يَنْفَى بِلَا دَلِيلٍ وَمَعْرِفَةٍ فَهَذَا النَّفْيُ أَوْ الْإِثْبَاتُ
 هُوَ الْكَلَامُ الْفَارِغُ... وَالْمَعْرِفَةُ لَا تَخْلُو مِنْ أَحَدٍ فَرَضَيْنِ:
 حَسِّيَّةٍ أَوْ عَقْلِيَّةٍ تَبَعاً لِطَبِيعَةِ الْمَوْضُوعِ، فَإِنْ كَانَ مِنَ النَّوْعِ
 الظَّاهِرِ الْمَحْسُوسِ اعْتَمَدْنَا فِي إِثْبَاتِهِ عَلَى الْمَعْرِفَةِ الْحَسِّيَّةِ،
 وَإِنْ يَكُ كَامِناً وَرَاءَ الْحَسِّ، وَلَا أَثَرَ نَعْرِفُهُ لَهُ فَلَا نَنْفِيهِ وَلَا
 نُثَبِّتُهُ، وَإِنْ ظَهَرَ آثَارُهُ لِلْحَوَاسِّ وَالْعَيَانَ أَنْتَقَلَ الْعَقْلُ مِنْهَا
 إِلَى وَجُودِ الْمُؤَثَّرِ تَمَاماً كَمَا أَنْتَقَلَ (نِيُوتِن) مِنْ سُقُوطِ التُّفَاحَةِ
 عَلَى الْأَرْضِ إِلَى وَجُودِ الْجَادِيَّةِ).

فَالدَّلِيلُ الَّذِي نَعْتَمِدُ عَلَيْهِ فِي إِثْبَاتِ مَا غَابَ عَنِ الْحَسِّ
 هُوَ فِعْلُهُ وَآثَارُهُ، وَبِهَذَا صَرَّحَ الْعَدِيدُ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْفَلَّاسِفَةِ،
 وَمِنْهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ آيْنَشْتَيْنَ الَّذِي قَالَ: «هُنَاكَ عَالَمٌ

موضوعي وحقوقي ورأى الحواس»^(١) وفي كتاب المنطق للدكتور جميل صليبا أن جوفروا قال: «أبدأ لأنسلم بأن الحقيقة محصورة فيما يقع تحت الحواس من حوادث»^(٢).

٢ - أن الإنسان يحمل في أعماقه العديد من المعاني والفرائز، ولا أحد يجرو على أنكارها، لأن أفعالها وآثارها ظاهرة في كل مجال من مجالات الحياة ومنها قفزة الإنسان من الأرض إلى القمر مع العلم بأن الفرائز والملكات لا تقع تحت الحواس، ولا تُكتشف بأية وسيلة حتى بالتحليل والمجهر.

٣ - أن هذه الجملة: «إذا لم تكن القضية رياضية أو طبيعية فهي كلام فارغ». التي قالها أنصار الوضعية المنطقية ليست رياضية ولا طبيعية، وإذن هي كلام فارغ. أرايت إلى هذا التهافت والتناقض من الوضعيين المتجسد في التحذير من الكلام الفارغ بكلام فارغ، على مبدئهم ومنطقهم؟

الوضعيون والقيم الأخلاقية:

وقال أنصار الوضعية: أن العبارات الأخلاقية لا تحكي عن شيء موجود في الخارج، بل هي مجرد إنشاء يُقال بصيغة أفعال أو لا تفعل، وأي كلام ليس له مدلول محسوس في الخارج كالقضية الطبيعية، أو دل على نفسه بنفسه كالقضية

(١) من مقال بعنوان (ماخ وآينشتين)، نشرته مجلة عالم الفكر الكويتية في العدد الثاني من المجلد الثاني.

(٢) أنظر، كتاب المنطق للدكتور جميل صليبا: ٣٥٩.

الرِّيَاضِيَّةُ فَهُوَ كَلَامُ فَارِغٍ، وَبِكَلِمَةِ أَنَّ الْقِيَمَ مُجْرَدِ أَمَانٍ وَرَغْبَاتٍ إِنْسَانِيَّةٍ، وَلَا شَأْنَ لَهَا بِعِلْمٍ أَوْ فِلْسَفَةٍ !.

الجواب :

أَنَّ الْقِيَمَ الْأَخْلَاقِيَّةَ تَعْلِيمٌ وَتُوجِيهِ إِلَى حَيَاةٍ أَفْضَلَ، فَإِذَا كَانَ هَذَا التَّوْجِيهِ كَلَامًا فَارِغٌ فَعَلَيْنَا أَنْ نَرَفُضَ دَعْوَةَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُفَكِّرِينَ وَالْمُصْلِحِينَ، وَأَنْ نَهْدِمَ الْمَدَارِسَ وَالْمَسَارِحَ وَالْجَامِعَاتِ، وَنُلْغِي جَمِيعَ الشَّرَائِعِ وَالْإِرْشَادَاتِ، وَنَعِيشَ فِي الْغَابِ وَالْمَغَاوِرِ مَعَ الْوَحُوشِ وَالطَّيُورِ الْكَوَاسِرِ. وَهَذَا بِالْفِعْلِ هُوَ الْكَلَامُ الْفَارِغُ.

فِلْسَفَةُ التَّحْلِيلِ :

وَأَيْضًا حَجَّرَ الْوَضْعِيُّونَ عَلَى الْفِلْسَفَةِ أَنْ تَحُلَّ أَيَّةُ مَشْكَلَةٍ أَوْ تَكْشِفَ عَنْ أَيَّةِ حَقِيقَةٍ، لِأَنَّهَا تَعْدِي الْحَوَاسِ إِلَى مَا وَرَاءَهَا، وَلَا شَيْءَ وَرَاءَهَا إِلَّا مَضْغُ الْهَوَاءِ - كَمَا يَزْعُمُونَ - وَإِذَا سَأَلْتَهُمْ سَائِلًا : وَمَاذَا نَصَنَعَ بِهَذِهِ الصَّفْحَاتِ الْمُسَهَّبَةِ فِي مَجَلِّدَاتِ الْفِلْسَفَةِ ؟.

أَجَابُوهُ : إِقْبَاهُ طَعَامًا لِلنَّارِ .

وَإِنْ قَالَ لَهُمْ : هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ بَدِيلٍ ؟ .

قَالُوا : أَجَلٌ ، عِنْدَنَا فِلْسَفَةُ التَّوْضِيحِ وَالتَّحْلِيلِ .

وَخُلَاصَةٌ هَذِهِ الْفِلْسَفَةِ أَنَّهَا تَقُولُ لِلْفَيْلَسُوفِ : أَيَّاكَ أَنْ تَفْلَسِفَ، لِأَنَّ الْفِلْسَفَةَ لَيْسَتْ مَيْدَانًا لِلْعَقْلِ وَالْفِكْرِ وَالتَّأَمُّلِ .. أَبَدًا لَا يَحِقُّ لَكَ أَنْ تَشْكُ وَتَنْتَقِدَ وَتُبْذِي رَأْيَكَ فِي أَيِّ شَيْءٍ، بَلْ عَلَيْكَ أَنْ تَقِفَ مَوْقِفَ الْحَيَادِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ !. وَإِذَا قَالَ الْفَيْلَسُوفُ لِلْوَضْعِيِّينَ الْمَنْطِقِيِّينَ : وَإِذْنًا فَمَاذَا أَصْنَعُ وَأَنَا مُثْقَلٌ بِهَذِهِ الْقِيُودِ ؟ .

قَالُوا لَهُ : تُحْلَلْ وَتُوضَّحْ مَعَانِي الْأَلْفَاظِ وَالْمُصْطَلِحَاتِ الَّتِي يُسْتَعْمَلُهَا عُلَمَاءُ الرِّيَاضَةِ مِثْلَ نُقْطَةٍ وَضِلْعٍ وَمُسْتَوًى .. وَعُلَمَاءُ الطَّبِيعَةِ مِثْلَ ذَرَّةٍ وَمَوْجَةٍ وَالْكَتْرُونَ ...

أجل لأبأس أن تُفسر أيضاً العبارات التي يقولها الناس في حياتهم اليومية .
هذي هي فلسفة التحليل عند الوضعيين المنطقيين ، تُترجم كلمة إلى كلمة
أخرى مساوية لها في المعنى ، شأنها في ذلك شأن المعاجم اللغوية .. وحاول
زكي نجيب أن يخلق لها امتيازاً وفضيلة على القواميس والمعاجم ، فقال في
كتاب خرافة الميتافيزيقا : « ليس المراد بالتحليل الترجمة من لغة العبارة الأولى
إلى لغة العبارة الثانية ، بل لابد أن تجيء الثانية أكثر إيراداً للعناصر التي تنطوي
عليها العبارة الأولى »^(١) .

وهذا اعتراف صريح بأن التحليل معجم فلسفي تماماً كقاموس اللغة ، ولا
فرق إلا في زيادة الشرح والتوضيح ... وهكذا خرج الدكتور من باب القاموس ،
وتسرب إليه من النافذة .

والعجيب الغريب في فلاسفة التحليل أنهم يُنكرون الفلسفة بالفلسفة ،
ويذهلون عن هذه الحقيقة : « من أنكر الفلسفة فقد تفلسف » ! . وأعتذر أحدهم
بقوله : أن الفلاسفة وعلماء الدين والأخلاق يُخطئون في بعض ما يرون ، لأنهم
يتجاوزون إلى ما وراءه ، وتحفظاً من الخطأ والإشتباه حصرننا طريق المعرفة
بالمشاهدة والتجربة ، وعزلنا الفلسفة عن العقل الخالص ، وأخضعناها للتحليل
العلمي الحسي .

الجواب :

أيضاً علماء الطبيعة يخطئون في تجاربهم الحسية لأشياء إلا لأنهم بشر تماماً
كعلماء الدين والأخلاق ، وما أكثر الأمثلة على ذلك ، ومنها أن المادة كانت في
نظرهم صلبة متماسكة ، وأنفقوا الآن قولاً واحداً على أنها مجموعة من ذرات

(١) أنظر ، كتاب خرافة الميتافيزيقا لزكي نجيب محمود : ١٤٧ .

وكهارب سألته وموجبة، ومنها أنهم ثاروا على النظرية النسبية، ثم أصبحت عندهم قدس الأقداس. قال (جون هرمان):

«لا يدعي الأسلوب العلمي (أي الحس والتجربة) العصمة من الخطأ، بل هو أبرز ما يتميز به عن الأساليب الأخرى، وهذا يُفسر تقدم العلم، إذ من الواضح أن تقدمه لم يكن ممكناً لو رضى بنتائج التي حصل عليها من قبل، ولا يمكن أن تكون ثمة نهاية لعملية اختبار النظريات العلمية وفحصها»^(١).

وتتلخص هذه العبارة بجملة واحدة هي أن المعرفة الحسية ليست بأفضل من المعرفة العقلية الفلسفية، وهذا المعنى ذكره رُسل في كتاب الفلسفة بنظرة عصرية ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود، وأيضاً فيه ما نصّه بالحرف: «أن احتمال وقوعنا بالخطأ يظل قائماً لأننا بشر غير معصومين، وللفلسفة أن تدعي لنفسها حقاً، وهو أنها تحاول أن تحصر إمكان التعرض للخطأ في أضيق دائرة ممكنة، بل ربما ضيّقت دائرة الخطأ المتحمل إلى حدّ يمكن تجاوزه، وليس في مقدور البشر أن يبلغ درجة أعلى من هذه الدرجة في الكمال»^(٢).

والإشراكيون يرفضون فلسفة التحليل، لأنها لا تصلح سلاحاً نضالياً للثورة الاجتماعية، بل تقف عقبة في سبيلها، أما نحن فنرفضها بالخصوص، لأنها تُكبل العقل وتقيده، وأيضاً نرفض معها كل فلسفة مادية بلا استثناء، لأن الإنسان لا يحيا بالعلم المعلمي وحده، وفي الوقت نفسه نرحب بأيّة فكرة تلتصق بالحياة، وتسير بها إلى الرخاء والهناء والحرية والكرامة والأمن والأمان لجميع الناس على السواء.

(١) أنظر، (جون هرمان) في كتابه مدخل إلى الفلسفة ترجمة الدكتور يلحم قربان: ٧٤ طبعة ١٩٦٣ م.

(٢) أنظر، الفلسفة بنظرة عصرية ترجمة الدكتور زكي نجيب محمود.

لقد نزل الإسلام من السماء إلى الأرض لهداية الإنسان وسعادته، ومن أجل هذا أمتن عليه سبحانه بقوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(١).

وأيضاً من أجل هذا حارب الإسلام الظلم والفقير والإستغلال والجهل والخرافات، وكل ما يعوق الحياة عن النمو والتقدم. هذا هو الإسلام في حقيقته وجوهره، ومن فكر فيه بعيداً عن هذا الحقيقة وهذا الجوهر فهو جاهل أو مضلل.

(١) الإسراء: ٧٠.

البرامجاتية

الرغبة والرغبة :

كل إنسان يفعل أو يترك رغبة في منفعة أو رهبة من مضرّة حتى الأنبياء كانوا يدعون الله رغبا ورهبا كما في الآية : ﴿ فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ رِيحَيْنِ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴾^(١). ولا ضير في شيء من ذلك ما دام الإنسان بطبعه وكيانه مطبوعاً على الدفاع عن نفسه والعمل على مصلحتها ودرء الضرر عنها، وعلى هذا الأساس تقوم الشرائع والمباديء السماوية والإنسانية.

أبداً لا فرق بين إنسان وآخر في العمل لمصلحته، وإنما الفرق بين من يعمل لها وهو مؤمن بالتعاون والأخاء والمشاركة والمساواة، بل وبالتضحية بحياته لغاية من الغايات النبيلة، ويتصرف ضمن هذا النطاق ولا يتجاوزه بحال، وبين من يعمل لمصلحته بلا حدود وقيود، ولا يفهم إلا بلغة خذ كل شيء إن استطعت ولا تعط أي شيء، فإن عجزت فخذ أكثر مما تُعطي تماماً كالتاجر. وهذا هو البرامجاتي كما يتضح بعد قليل.

وبهذه المناسبة نشير إلى أن الإسلام ينظر إلى العلم على أنه طريق وتخطيط

(١) الأنبياء: ٩٠.

للعمل المطلوب، وإلى الإيمان على أنه التزام وإحساس بالمسؤولية عنه، ومعنى هذا أن الهدف الأول لكل من العلم والإيمان هو العمل، وأن الإيمان وحده أو العلم وحده تماماً كالشجرة بلا ثمرة والمصنع بلا صناعة... وتد سُبْحَانَهُ مَنْ لَا يَعْمَلُ إِلَّا لِمَصْحَلَتِهِ الذَّاتِيَّةِ بِلَا قَيْدٍ وَشَرَطٍ، وَنَعْتَهُ فِي الْآيَةِ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ أُمَّةٍ أَلَّا تَذَكَّرُونَ﴾^(١). بَأَنَّهُ عَبْدٌ لِهَوَاهُ، وَفِي الْآيَةِ: ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(٢). بَأَنَّهُ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ، أَي عَلَى شَرَطٍ أَنْ يَقْبِضَ ثَمَنَ عِبَادَتِهِ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّ فِي الْآخِرَةِ، وَيَدُلُّ عَلَى إِرَادَةِ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(٣).

هذِي هِيَ الْبِرَاجِمَاتِيَّةُ :

أصل هذه الكلمة يوناني، وقد اشتقت من براغما أو براجما، ومعناه العمل... والبراجماتية في العصر الزاهن مذهب أو منهج، ويتلخص بأنه يُنكر الواقع وحكم العقل، ويقيس الحق والصدق والخير والواجب بما يُحقق للفرد أو الجماعة من ميول ورغبات، فالشيء الواحد يكون حقاً وخيراً بالنسبة إلى مَنْ يَنْتَفِعُ بِهِ، وَشَرَّاً وَبَاطِلاً إِذَا تَضَرَّرَ مِنْهُ آخِرٌ، وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ إِنْ نُسِبَ إِلَى حَيَادِي

(١) الجاثية: ٢٣.

(٢) الحج: ١١.

(٣) الحج: ١٠.

ثالث لا يضره ولا ينفعه .

ومعنى هذا كله أنه لا علم وفكر في الواقع ولا حق وصواب ولا دين وأخلاق ولا خير ولا عدل... أبداً لأشيء يُوصف بشيء يُذكر إلا الفعل المحسوس الملموس الذي يجلب من هذه الصورة أو هذا المضمون، نعرض أمامه طرفاً من عبارات البرجماتيين بحرّ وفها .

من أقوال البرجماتيين :

قال الدكتور زكي نجيب محمود: «ثلاثة عمالقة خلقوا الفلسفة البرجماتية خلقاً، وأشاعوها في أرجاء العالم طراً بحيث لم يعد في وسع مُثقف إلا أن يتابعهم في نتائجهم قبولاً أو رفضاً، وهؤلاء الثلاثة هم «بيرس وجيمس وديوي»^(١).

وقال أيضاً: «المنهج الذي بنى عليه ديوي تفكيره هو أن العقل في سلوك الإنسان ذو طابع معين، وليس هو الكائن الروحي الكامن في الجسم كما يقول المثاليون... أن كل فكرة هي عين الفعل والسلوك المحسوس، والفكرة الصائبة هي التي تنتهي بنا إلى ما نبتغي، والفكرة الخاطئة هي التي لا تؤدي الغاية المقصودة... أبداً يستحيل فصل الفكرة عن التطبيق العملي»^(٢).

ومعنى هذا بصرحة أن العقل والفكر جزء من السيارة والطائرة والسفينة، وليس في دماغ المُصمم والمخترع تماماً كالباب والدولاب، ووجه من وجوها كالدّهان والألوان!. وأيضاً معنى هذا أن التخطيط والتصميم ليسا علماً بل ولا شيئاً حتى ولو كان صحيحاً إلا أن يبرز للوجود والعيان، وكذلك أفكار العظماء المصلحين إلا إذا سمع الناس لهم وأطاعوا!. وأيضاً معنى هذا أنه لا فرق بين

(١) أنظر، الدكتور زكي نجيب محمود في كتاب حياة الفكر في العالم الجديد: ١٩٤.

(٢) أنظر، الدكتور زكي نجيب محمود في كتاب حياة الفكر في العالم الجديد: ٢٠٢.

الجرّائم عن سهو ونسيان وعن قصد وعمد ما دام الفعل من حيث هو يُوجب المؤاخذه والعقوبة^(١). وأشتهر عن الرئيس الأمريكي السابق (أيزنهاور) أنه قال: إذا كانت القنبلة الذرية تُحقق لي النصر في الحرب فإنّ استخدامها حقّ وواجب!. وأيضاً شاع عن (موسوليني) قوله: لقد أفادتني البراجماتيّة، والفاشيّة تُدين لها بنصيب كبير.

هذي هي ثمار البراجماتيّة: فاشيّة دكتاتوريّة إرهابيّة، وإمبرياليّة تُمثل أعلى مراحل الرأسماليّة الإحتكاريّة... ولا يُباركها إلاّ جاهل بسماتها وعوزاتها، أو نازي فاشي.

وأيضاً جاء في كتاب حياة الفكر: «قال جميس: كلّ ما يؤدي إلى النتائج المرجوة فهو حقّ، وكلّ ما لا يؤدي إلى هذه النتائج فهو باطل... إن كلمة الحقّ وكلمة النفع مترادفتان، فنقول عن فكرة: أنّها حقّ لأنّها نافعة، وأنّها نافعة لأنّها حقّ، والقولان في المعنى سواء... وأيضاً هذا هو معيار الأخلاق، فالذي يجعل الفعل فضيلة هو أنّه فعل ناجح»^(٢).

وفي كتاب فضول في الفلسفة للفيلسوف جود: تقول البراجماتيّة: «الإعتقاد الصادق بإختصار هو النافع فقط فيما يتعلق بالفكر، كما أنّ الصواب هو النافع فيما يتعلق بالسلوك»^(٣).

أرأيت إلى هذا المنطق؟ كلّ شيء مباح، بل هو خير وفضيلة وحقّ وحقيقة وصدق وعدل ما دمت قادراً عليه!. ولماذا؟. أبدأ لأشياء إلاّ لأنّ الحياة فريسة

(١) قانون الولايات المتحدة يُدين ربّ العمل في كلّ ضرر يحدث للأخرين حتّى ولو كان الضرر ناتجاً عن سبب آخر، لا يمت إلى ربّ العمل وآلاته وأدواته بسبب قريب أو بعيد.

(٢) أنظر، حياة الفكر: ١٧٨ وما بعدها.

(٣) أنظر، كتاب فضول في الفلسفة للفيلسوف جود ترجمة عطية محمود وماهر كامل: ٢٦٧ طبعة ١٩٥٦ م.

الغانم تماماً كحياة الوحوش في الغاب، أما القيم والأخلاق فكلام فارغ!. وإذن فعلاً الأنظمة والشرائع؟.

لقد اتفق أهل العصور على مجموعة من القيم لأن حياة المجتمع لا تستقيم بدونها، ولكن البراجماتية تقول: ولماذا المجتمع والجماعة؟. فالمهم حياة الأقدار «الأقدر» أما أصوات الضعفاء وأنين البؤساء فإنها تذهب مع الرياح. ومثلها تماماً عقول العباقرة إلا أن تمد الجسور، وتشيّد القصور.

ونحن أيضاً نقول: أن العلم بلا فاعلية وعمل ليس بشيء حيث لا حياة ولا حضارات إلا بالكفاح والنضال، وأن على الإنسان أن يعمل من أجل مصلحته ومنفعته... وفي نفس الوقت نؤمن بالقيم وحكم العقل، لأن العلم بلا عدل كارثة، والعمل بلا ضمير سلب ونهب، ولكن البراجماتية تقول: المهم هو النجاح، ومتى تحقق صار حقاً وعدلاً حتماً وبالضرورة من أي سبيل كان ويكون، أما العدل والضمير فكلام فارغ. ومن هذه الفلسفة وأخواتها أنطلقت قوى الشر بأسلحتها وثروتها إلى أن تفرض سياستها، وتعلمي إرادتها على كل شعب أقل منها قوة وأضعف صناعة.

ومن جملة ما قرأت أن إحدى الشخصيات البارزة في الولايات المتحدة قال ما نصه بالحرف الواحد: «نحن أكثر الدول إنتاجاً، وأقواها رأسمالياً، وأغناها آلياً، وعلينا إذن أن نحزم أمرنا كي نملك غالبية الأسهم في كل الشركات الكبرى التي يطلقون عليها أسم العالمية، ولا ينبغي أن يكون ذلك إلى أجل مسمى، بل إلى الأبد».

هذي هي البراجماتية نصاً وروحاً، وهي في العصر الزاهن الأقوى والأعظم حيث تُنفذ أحكامها بالسلاح الأشد فتكاً والأكثر تدميراً. من الصواريخ الموجهة

إلى القنابل النووية، ومن حرب العقول الألكترونية إلى المواد السامة... إلى ما لا
نهاية من سلاح جديد أقوى وأمضى.

وإن سأل سائل: أين الحق والعدل والدين والضمير؟.

فجوابه: في الأسلحة الجهنمية. وإن قال: كيف؟. وأين هيئة الأمم ومجلس

الأمن؟. فجوابه: تحت أقدام الصهيونية والشركات الإحتكارية.

الوجودية

كتاب المذاهب الوجودية :

وضعت كتاباً صغيراً في الوجودية، نشرته دار التعارف ببيروت، وفي مكتبي لسارتر نبي الوجودية في العصر الزاهن ثمانية كتب مترجمة إلى اللغة العربية، ومنها الكتاب الضخم: الوجود والعدم (٩٩٢) صفحة، أضافه إلى ما قرأته عن الوجودية في الصحف والعديد من الكتب.

وحين عزمت العودة إلى الوجودية في هذا الفصل، بحثت في المكاتب عن مصدر آخر، عسى أن يزيدني علماً بها، أو يصحح من فهمي لها، فعثرت في بعض المكتبات على كتاب في (٣٣٤) صفحة، أسمه المذاهب الوجودية تأليف (رجيس جوليفيه) ترجمة فؤاد كامل، فأشتريته وقرأته، وما زاد في خبرتي إلا من الناحية التاريخية: متى وجدت هذه الفكرة؟ وكيف تطورت؟. لأن خطة الكتاب - كما يبدو - تاريخية، وليس هذا من همّي وأهتماي، وكل ما أبتغيه أن أعرف الوجودية كما هي في أذهان شباب اليوم لأخاطبهم بلغتهم^(١).

الوجودية واللامعقول :

وذكر جوليفيه في مقدمة كتابه المذكور، السبب الموجب لفلسفة اللامعقول

(١) أنظر، المذاهب الوجودية تأليف (رجيس جوليفيه) ترجمة فؤاد كامل.

كالوجودية وأخواتها، وأطال الكلام، ويمكن تلخيصه بما معناه أن كل أنظمة هذا العصر، وكل الأدوار التي تلعبها قوى الشر من إثارة الحرّوب والسيطرة على الأقوات والمقدرات وتشكيل العقول بالإعلان الكاذب والدعاية المضللة، كل أولاء وغيرها كثير بعيدة أقصى البعد عن العقل والمعقول، وإذن فلا بدع أن يُثمر مثل هذا المجتمع تفلسفاً أو أدباً غير معقول^(١).

وفي الترجمة العربية للموسوعة الفلسفية: «الوجودية ردّ فعل لا عقلاني ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى في ألمانيا وبعدها في فرنسا وبعدها الحرب العالمية الثانية في بلاد أخرى، منها الولايات المتحدة، وقد أثرت تأثيراً كبيراً على الفن والأدب الحديثين في المجتمع الرأسمالي وفي الإطار العقلي لقطاع كبير من المفكرين»^(٢).

وقال جوليفيه وما بعدها: «لقد بدأ عالم اليوم وكأنه قد أسلم نفسه للجنون، ولأح كأنما الكون قد فقد معناه، وأن الحياة باطلّة، وأن الكون خال من إله. فمسّ الناس طائف من جنون، وأنكروا العقل والقيم الأخلاقية وسمو الإنسان. وهذا كله قد قياً جواً للتردي في مهاوي اليأس والفوضى... والدفاع عن الكذب والتناق، وإنحطاط الأخلاق العميق الذي نشأ عن شيوع السوق السوداء والاتجاهات المضطربة في عصرنا»^(٣).

ومن هنا تفجرت ثورة الشباب سنة (١٩٦٨ م) في أمريكا وأوروبا على الأوضاع، وأهتز لها ضمير العالم كله، وكان مع هذا الانفجار أضرابات عمالية في

(١) أنظر، المذاهب الوجودية تأليف (رجيس جوليفيه) ترجمة فؤاد كامل.

(٢) أنظر، الترجمة العربية للموسوعة الفلسفية الصادرة في موسكو سنة (١٩٦٧ م).

(٣) أنظر، المذاهب الوجودية تأليف (رجيس جوليفيه) ترجمة فؤاد كامل: ٢٤.

أمريكا وإنجلترا وإيطاليا واليابان وغيرها. وأدب اللامعقول وفلسفته نوع من هذا الانفجار والإضراب: «لولا أنه غير معقول». وكثيراً ما يُقال أدب الرّفْض أو فلسفة الرّفْض بدلاً من كلمة اللامعقول، بل تسرب هذا الرّفْض أو اللامعقول إلى الموسيقى، على ما قرأتُ لأنني أفقد حاسة التمييز بين المعقول من الموسيقى وغير المعقول.

الوجودية منهج لأفلسفة:

في القديم كانت الفلسفة مرادفة للعلم بمعناه العام، ثم انفصلت عنها العلوم وأستقلت، فتعددت الفلسفات وتباينت، كما رأيناها في العصر الراهن، وتعدّر تعريفها على وجه شامل وكامل... وقد عرفها كلّ فيلسوف من خلال الفلسفة التي يأخذ بها.

وقال رُسل في جواب من قال له ما هي الفلسفة: «هي ما لا نعرف، لأنّ المسائل تنتقل باستمرار من إختصاص الفلسفة إلى إختصاص العلم كلما تقدّمت المعرفة، أي أنّ الشيء المثبت بالحسّ يخرج من الفلسفة إلى العلم». ولعلّ أقرب تعريف للفلسفة بالمعنى الحديث أن يُقال: أنها تبحث الموضوعات التي لا تبحثها العلوم الطبيعية ولا العلوم الرياضية، كعلم ما وراء الطبيعة وعلم النفس والأخلاق... ومهما يكن فإنّ الوجودية ليست فلسفة، وإنما هي منهج خاصّ ومحدد لنشاط الإنسان الفرد وتصرفاته، ويتضح ذلك فيما يأتي، وكان بعض أقطاب الوجودية يابئ أن يُقال له: فيلسوف.

الوجوديون المؤمنون:

قسّم الباحثون، الوجوديين إلى معترفين بالله وجاحدين به... وبعد أن تتبعتُ

وقرأت أقوال هؤلاء وأولئك أنتهيت إلى أن الجميع بمنزلة سواء من حيث اللامنطق واللامعقول لأنّ الوجوديين الكامل يتخذون من إرادتهم وعاطفتهم مقياساً لكلّ حقّ وحقيقة، ولا يعترفون بحكم العقل ولا بنظام أو شريعة أرضية كانت أم سماوية، وعلى سبيل المثال، ننقل العبارة الآتية (لكير كجورد)، وهو من الوجوديين المؤمنين وزائد من رواد الوجودية المؤسسين، قال ما نصّه بالحرف:

« أن النتائج التي تتوصل إليها العاطفة هي وحدها الجديرة بالثقة، وهي وحدها الكافية في البرهنة »^(١). وقال أيضاً: « لماذا أقامة البرهان؟ فإنّ الذي يصدق الحقيقة، ويقبلها ليس هو العقل الخالص، بل الإنسان الموجود من حيث هو موجود »^(٢). يريد من حيث هو حرّ في فعل ما يشاء بلا رقيب وحسيب.

وقد يصحّ الإيمان عن عاطفة وتقليد إذا كان انعكاساً عن الحقّ والواقع، ولكنه لا يجدي شيئاً إذا اتخذ المقر بالله من عاطفته وإرادته وحرّيته شريعة للحقّ والعدل.

الوجودية المعاصرة:

وتتخلص الوجودية المعاصرة التي يتعلّق الكثير من الشباب بأذيالها - كالآتي:

١ - أن كلّ فرد من أفراد الإنسان هو قلعة في نفسه، وله أن يتصرف وكأنّه هو الموجود الوحيد والشّيء المائل أمامه، بلا أي شيء كان قبله... لا خالق ولا شريعة وقانون، بل لا بشريّة، وتأريخها يتّصل بحيّاة الإنسان الموجود بالفعل من قريب أو بعيد، لأنّ الصدفة وحدها هي التي ألقت

(١) أنظر، كتاب المذاهب الوجودية: ٣٩.

(٢) أنظر، كتاب المذاهب الوجودية: ٤٢.

به في هذا الوجود إلقاء، وتركته وحيداً فريداً لا شيء معه إلا حريته وإرادته، فهي الحد التام لحقيقته، والمعيار الوحيد لقيمته، وليس ثمة أية قوة وسلطة تُحرّم عليه أو تُحلل له تصرفاً أو إعتقاداً واتّجهاً.

٢ - على كل إنسان أن يتحرر ويُعيد النظر في المجتمع الإنساني الذي يعيش فيه، ولا يلتزم بشيء من التقاليد والعقائد والفلسفات، لأنه مُطلق الحرية في اختيار ما يشاء حتى الانتحار، ولا يُؤاخذ بشيء أو يسأل عما يفعل بشرط واحد، وهو أن لا يعتدي على حرية الآخرين حرصاً على حريته هو بالذات.

٣ - أن وجود الإنسان في هذه الحياة يُرادف اليأس والخوف والقلق والقرص والإشمزاز والضيق والعيب والتضخم السرطاني والتزيف وفوق ذلك من الآلام... ولمّاذا كل هذه الويلات والتكبات والآفات؟. أبداً لا شيء إلا لأنّ العالم وجد بلا علم ولا حكمة ولا قانون إلا قانون أنه لا يستطيع إلا أن يوجد وإلا أن يفترس كل من فيه وما فيه^(١).

تساؤلات:

أبداً لا أردّ على الوجوديين بأنّ مذهبهم هذا كفر وإلحاد، وأنّ الإيمان بالله يجعل لحياتنا معنى ومن وجودنا قوة، وأنه تعالى قد جعل الدنيا لما بعدها،

(١) أنظر، رواية الغثيان لسارتر: ١٤٥ وما بعدها، والمذاهب الوجودية: ١٣١، ومقال بعنوان أمراض الفكر في القرن العشرين في مجلة عالم الفكر الكويتية العدد الأول من المجلد الأول.

وأبتلى فيها أهلها ليرى أيّهم أحسن عملاً؟. ولأن أقول للوجوديين: كيف وجد هذا الكون؟. ومن نظّم وأحكم؟. بل أريد أن أتجاوز ذلك إلى التساؤلات الآتية: إذا كان الكون والإنسان والحياة عبثاً في لغو وهباء وخواء، فما هي إذن حقيقة الوجوديّة؟. وهل للفرع مصدر إلا أصله؟. وهل الوجوديّة دعوة إصلاحية أو نظرة إنسانيّة إلى البائسين والمُعذّبين أو نظريّة علمية يَنفَع بها النَّاس جيلًا بعد جيل أو مسرحية للتّرفيه والتّسلية أو مُجرد فلتة من اللّامفهوم واللامعقول؟. ثم إذا حرّرتنا الإنسان من سلطان العقل وكلّ القيم، وعزلناه عن تاريخ البشريّة وتراثها وخلالها، فهل يبقى له من كيان ووجود؟. وأخيراً أنّ الحرّيّة لا بُدّ منها ولا غنى عنها، ما في ذلك ريب، ولكن لا بُدّ للحرّيّة أيضاً من ذات تتّصف بها، والفرض أنّه لا شيء إلاّ العبث والضياع، وعليه فالحرّيّة مُجرد ضياع وخذاع!. وهكذا أنكر الوجوديين كلّ قيمة حرصاً على الحرّيّة، فدمروها وقضوا عليها من حيث يُريدون أو لا يُريدون، رأوا الأوضاع الفاسدة والسياسة الجائرة والدعايات المضلّلة والمجازر التي أفنت الملايين، فخرجوا على كلّ قيمة بأنّها خرافة، وعلى كلّ دعاية أنّها مصيدة، وقالوا: ما دام الأمر كذلك، ولا طبيب وشفاء فليكن كلّ فرد أمة برأسه وعالمًا بنفسه، يتولى أمره كيف يشاء، ويختار مصيره كما يُريد غير مُكثر بشيء على الإطلاق... فهدموا وما بنوا، وفرّقوا وما جمّعوا، بل زادوا الخرق اتّساعاً والنار تأججاً.

المادية الجدلية

ماركس والفلسفة :

قال قائل : أن ماركس ليس فيلسوفاً، بل عالماً اجتماعياً. والصحيح أنه فيلسوف حاول أن يكشف عن حقيقة العالم وطبيعة الإنسان وأن يحلّ المشكلات الاجتماعية، ولكن فلسفته تنطلق من المادة وأنها هي الموجود الوحيد والواقع الأزلي الأبدي، وأن ما عداها من عقل وعاطفة وإحساس، هو من آثارها وأنعكاس عنها.

وأيضاً كل ما في الطبيعة من حركة ونظام وتدبير هو من صنع المادة وأعماقها، ولا يمكن أن يكون من خارجها بحال من الأحوال، وعليه فيجب أن يُفسّر الكون بجمع ما فيه ومن فيه تفسيراً مادياً لا عقلياً ولا دينياً، ومعنى هذا أن المادة تعي وتفسّر نفسها بنفسها، وأنها هي المدرك والمدرك.

هذا ما قاله ماركس والماركسيون. ولأأدري من أين جاء هم هذا العلم؟ هل هو من وحي عقولهم؟. والفرض - على منطقتهم - أن عقولهم صورة عن المادة الصماء العمياء، فكيف وعت ورات وأحست ونطقت صورة الشيء الأعمى والأبكم والأصم من دونه؟. علماً بأن صورة العاقل الناطق والمبصر لا تعقل ولا تبصر ولا تنطق، فكيف انعكس الأمر في المادة؟.

لقد أثبت العلم الحديث أن هذه المادة التي تظهر للعيان جسماً صلباً كالحديد وغيره، هي في واقعها عبارة عن ذرات تتحرك وتسير في الثانية بسرعة (٢٩٠) ألف كيلومتر بالنسبة إلى عالمها، وأن فيها جذباً ودفعاً وحرارة وكهرباء... هذا كل ما يعرفه علماء الطبيعة عن المادة، أما حقيقتها فهي من الألغاز التي أعترف العلماء بالعجز عن حلها.

وسبقت الإشارة إلى الرد على المذهب المادي في فصل «المادية والواقعية والمثالية» وغيره، ولا موجب إلى الإعادة والتكرار إلا من باب الكلام يجر الكلام.

الجدل الهيجلي :

يرى هيجل أن الروح أو الفكر المطلق هو الأصل السابق على وجود المادة، وهي متأخرة عنه وأنعكاس له، على العكس من قول ماركس بأن المادة هي الأصل والكل في الكل، ويكشف هذا الفكر عن نفسه في ثلاث مراحل من التغيير والتطور:

الأولى: تكشف عن بعض صفاته، وقد عبّر عنها بعض الفلاسفة بالوضع، وآخر بعنصر التفكير، والمهم أن نعلم أن الفكر الأصل والأول كان ينطوي على نقيضه، وأنه ليس واحداً في الظاهر والباطن ومن كل وجه.

المرحلة الثانية: ظهور هذا الفكر المطلق الذي لا يقع تحت الحس، في صورة الطبيعة الملموسة، أي أن الفكر قد تمص في ضده المباين له، وبهذا يجتمع النقيضان في كائن واحد: الفكر المطلق والطبيعة.

المرحلة الثالثة: هي مرحلة الدمج والتصالح بين الضدين حيث يصبح كل منهما وجهاً لشيء ثالث نتيجة التضاد والصراع.

وعلى سبيل التقريب إلى الفهم نضرب مثلاً بالبيضة، فهي بوضعها الفعلي

ليست دجاجة بل ضدّها، وكذلك الدجاجة تكمن في أعماق البيضة وإلّا يستحيل أن تخرج من البيضة إذا لم تكن هذه منطوية على تلك، أمّا عملية الصراع فتمثّل في أنّ الدجاجة الكامنة في قلب البيضة تُحاول بطبعها الخروج منها في نفس اللحظة التي تُحاول البيضة بطبعها أيضاً أن تحتفظ بكيانها وأستمرار بقائها كما هي، ويمتد هذا الصراع إلى أن تتحول البيضة إلى دجاجة تكمن فيها البيضة، وعندئذ تتم المصالحة، ويجتمع الشمل.

وبتعبير أجمع وأبلغ «أنّ الديالكتيك الهيجلي يقوم على ثلاثية الموضوع، ونقيض الموضوع، ومركب الموضوع ونقيضه».

وأشتهر عن هيجل أنّه قال: «ما هو واقعي هو عقلي، وما هو عقلي هو واقعي». يُريد أن كلّ واقعة ملموسة هي داخلة في صميم الفكر والعقل، وإنّ بدت بعيدة عنه، وأنّ كلّ حقيقة عقلية هي واقعية ولها معنى معقول ومقبول، وإنّ لم يكن محسوساً وملموساً، ولا شيء على الإطلاق من أحكام العقل وحقائقه كلام فارغ من المعنى.

ونحن مع هيجل في فلسفته التطوريّة، وضده في أنّ العلم المطلق أو المبدأ الأوّل يكمن في الطّبيعة ويستقر فيها بصورة من الصور، لأنّ الأوّل الذي لا أوّل له فوق الطّبيعة ومباين لها، ولا صلة بينهما إلاّ علاقة المُسبب بالسبب والأثر بالمؤثر، وللحديث عن هذا الموضوع مكان آخر.

الجدل الماركسي:

وأستغل ماركس فلسفة هيجل التطوريّة بعد أن جعل عاليها سافلها حيث أنتقل هيجل من الفكر إلى المادّة، أمّا ماركس فقد أنتقل من مادّة إلى مادّة، وأشتهر عنه أنّه قال ما لفظه أو معناه: «أوقف هيجل الجدل على رأسه، وأنا

أوقفته على رجليه» يُريد بالرأس هنا المادّة لأنّها الأصل، وبالقدّمين الفكر لأنّه الفرع عن المادّة في منطق ماركس.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الديالكتيك مُرادف للجدل الذي لا يُراد به هنا فنّ المناقشة ولا الحركة بانتقال الشّيء من مكان إلى مكان، بل المُراد بالجدل هنا الحركة بالتغيّر وانتقال الشّيء من حالة إلى ضدّها كإنتقال النّوارة إلى الشّجرة والبيضة إلى الدّجاجة، وهذه الحركة أو هذا الإنتقال يعم ويشمل كلّ شيء «من حبة الرّمْل إلى الشّمس ومن دودة الأرض إلى الإنسان» على حدّ تعبير جارودي الماركسي في كتابه النّظرية الماديّة في المعرفة.

وخلّاصة الماديّة الجدليّة عند ماركس أنّ المادّة هي الموجود الوحيد، ولا شيء قبلها ولا بعدها، وكلّ ما يُسمى عقلاً، وروحاً، وعاطفة، وحيّة، وغريزة فهو من ثمار المادّة وآثارها كما سبقت الإشارة، أمّا ما في الطّبيعة والمادّة من تطوّر، وتغيّر، ونظام، وقوانين، وأحكام، وتدبير، أمّا كلّ ذلك وغير ذلك فهو من صنع المادّة وباطنها، وليس من خارجها على أيّ فرض من الفروض!

نحنُ والماديّة الجدليّة :

ونحنُ نتفق مع منطق الجدّل الذي يدعو إلى تجنّب الأوهام، والخرافات، وأيضاً نحنُ معه في نظرية الإنتقال والتّحول، ولكن نقول: أنّ الشّيء ينطوي على ضدّه بالقوّة لا بالفعل بنصّ القرآن الكريم في الآية: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ﴾^(١). وفي الآية: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾^(٢). إلى العديد من الآيات، والزّوايات الإسلاميّة في

(١) يس: ٨٠.

(٢) الرّوم: ١٩.

هذا الباب .

وفي المجلد الأوّل من أسفار الملا صدرا فصل مُستقل أثبت فيه أن كلّ أشياء الطبيعة تتجدد وتتحرك، وأنّ الحركة « عبارة عن خروج الشيء من القوّة إلى الفعل تدرجياً »^(١). كخروج الدّجاجة من البيضة . وأيضاً قال: « الإنسان يترقى دائماً وهو لا يشعر بذلك، وتقل في هذا الفصل عن ابن العربي أنّ الموجودات بكاملها تتحرك دُنياً وآخرة »^(٢).

ونحنُ وهذه المادّيّة الجدليّة على طرفي نقيض، لأنّها تتخذ من المادّة إليها واحداً، وبها وحدها يُفسّر الكون بجميع محتوياته من عقل، وقصد، وحرية، وإرادة، وقوى، وإكمال، ونواميس، ونظام، وحكمة، وتدبير! . ونحنُ لأنملك آية أداة ووسيلة للإدراك والمعرفة في هذا الموضوع الإبدئية العقل، وهي تأبى وترفض تفسير الكون بنفس الكون لمجرد أن المُفسّر لا يعرف شيئاً عن علته .

وبعد، فقد كررنا فيما سبق ونعيد الآن كلمة فولتير: « أن فكرة وجود الله فرض ضروري، لأنّ الفكرة المضادة حماقات »^(٣). وهي سبحانه وراء الكون يُديره ويُدبره بما أودع فيه من قوانين كونية، يسير في حدودها كلّ ما فيه ومن فيه إلى

(١) أنظر، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، لصدر الدين مُحمّد الشيرازي: ٢٨٤/٢ من السفر الثالث، و: ٣/هامش ٨٠ من السفر الأوّل.

(٢) أنظر، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، لصدر الدين مُحمّد الشيرازي: ٢٨٦/٢ من السفر الثالث، و: ٣/هامش ٨٦ من السفر الأوّل.

(٣) أنظر، تراجم علماء طرابلس: ١٣٢، مجلّة المُجمع العلمي: ٤١٤/٩ و: ٤٩٢/١٠، مُستدركات أعيان الشيعة للسّيّد حسن الأمين: ٣١/٢. تجد ترجمة « فولتير ».

P. DydDrink Water, Theotline of Liter Ture 290

، وأنظر،

Story of Philosphy, Will Durant. p.220

أنظر، الرّوض الأزهر في تاريخ بطرس الأكبر لفولتير.

الهدف المطلوب منه من الذرة الصغيرة إلى المجرات الكبيرة.

المادية التاريخية :

ولأفرق عند الماركسيين بين المادية الجدلية والتاريخية من حيث أن كلاً منهما مادية مقابلة للمثالية، وإنما الفرق بينهما أن المادية الجدلية تعم وتشمل كل الظواهر بشرتي أنواعها كما سبقت الإشارة، أما المادية التاريخية فإنها تختص بالظواهر الاجتماعية، ويردّها ماركس بالكامل إلى دوافع وأسباب اقتصادية خاصة، قال في مقدمة كتابه نقد الاقتصاد السياسي: «أن كل حركة من الحركات الاجتماعية، والسياسية، والروحية، تتبع نمط الإنتاج الاقتصادي»^(١).

ونسأل ماركس وأشياعه: ما رأيهم بشهداء العقيدة والحرية؟

هل أستشهدوا في سبيل المعده أو من أجل الإيمان والكرامة؟

وبأي شيء يفسرون أريحة الجود والكرم وعاطفة الآباء والأمهات والصوفية

والتصوف؟

وفي سنة (١٩٣٦ م) تنازل (أدوار) الثامن عن عرش الإمبراطورية البريطانية من

أجل امرأة أسمها (اليس).

وفي كتاب فلاسفة الحكم: «الذين يقولون: أن الإنسان يعمل لطلب المنفعة

يجهلون أنه يقدم على الخسائر وهو عالم بها، ويهون عليه الموت، ولا يهون

عليه فوات أمل من الآمال، والذين يقولون أن الإنسان يعمل ليعيش ينسون أن

يسألوا أنفسهم: ترى لماذا يحرص على أن يعيش؟. فما صلحت الحياة قط على

علته واحدة ولا الدنيا قط على فكرة واحدة»^(٢).

(١) أنظر، المعجم الفلسفي للدكتور صليبا م. د. ي.

(٢) أنظر، كتاب فلاسفة الحكم للعقاد: ١٤٨.

الطبقة العاملة والرأسمالية :

قال ماركس: أن الصراع بين الطبقة العاملة والرأسمالية حتم لا مفر منه، وأن الظفر بالعقبى السالمة الدائمة هي للعمال حيث سيكونون هم أنفسهم أصحاب الأموال لا محالة... ويلاحظ :

١ - لا عين ولا أثر لهذا الصراع في العديد من البلاد الرأسمالية، لأن أرباب العمل استجابوا لمطالب العمال، وتم بينهما التعايش السلمي، وعاش العامل في مستوى يغبطه عليه عمال البلاد الاشتراكية.

٢ - أن الحق أو العدل أو القانون لا يملك بذاته أية قوة تمكنه من التحقيق والتنفيذ، وإنما الانتصار والغلبة لمن يملك القوة والقدرة على البقاء محققاً كان أم مُبطلاً. وعليه فنبوءة ماركس بأن الطبقة لا بُدَّ أن تنتصر، وأن النظام الرأسمالي لا بُدَّ أن يندثر - مجرد أمان وخيال.

٣ - أن الجدل والديالكتيك لا يتقدم دائماً بالمجتمعات إلى الأمام والحياة الأفضل فقد ترجع القهقري بالانقلابات الرجعية، ومنها اختلاف الدول الاشتراكية الذي بلغ اليوم أشده بين روسيا والصين، ومن قبل بين تيتو وستالين، أما الغد فهو طي الكتمان.

المال شيء وليس كل شيء

هذا الفصل :

تحدثنا في الفصل السابق مباشرة حول المادية التاريخية، ونقلنا عن كتاب نقد الإقتصاد السياسي لماركس أنه يرد النشاط البشري وجميع الأعمال الإنسانية إلى دوافع وأسباب إقتصادية خاصة، ونحاول في هذا الفصل أن نثبت أن الإقتصاد والمال وحده لا يحل كل مشكلة تواجه الإنسان، ولا يحقق كل ما يبتغيه من حياته، فهناك التمتع بالصحة والأمان، والتربية السليمة ونمو الشخصية وتطورها، وتكافؤ الفرص بين الناس والقانون العادل الذي يخضع له الحاكم والمحكوم، ويضمن الحرية لكل الأفراد والمشاركة في توجيه وطنهم إلى خير الجميع.

لأبد مع الخبز من أدام :

ومن يشك في أن الإقتصاد من أهم عناصر الحياة ومقوماتها؟ كيف؟ وهل للحياة غنى عن الخبز؟ ولكن الخبز شيء وليس كل شيء... وما من عاقل يجرو على القول بأن المال والإنتاج يحل جميع العضلات بشتى أجناسها وأنواعها، بل إذا تضخم وتراكم خلق لأهله عقبات وصعوبات. فقد تقدم العلم ووسائل الإنتاج في العصر الزاهن، وتضاعفت المواد الإستهلاكية كما وكيفا،

فماذا كانت النتيجة؟

تحوّل الإنسان إلى آلة تستهلك، وأصبح عبداً لها بعد أن كانت وصيفة له، وضاعت جميع القيم النبيلة للإنسان... كل شيء متوافر وميسور في الولايات المتحدة... وأيضاً كل أنواع الرذيلة والجريمة والفسوق والفساد متوافرة ومُتكاثرة، وكلما زاد الإنتاج والثراء في هذه الولايات زادت الجرائم والمآثم. وأيضاً زاد الإنتاج والاقتصاد في البلاد الاشتراكية، ولكن أهلها يشترون الخبز بالحرية، ودولها تتعايش بسلام مع حُماة الشركات الاحتكارية العالمية، وتتسلل من خلف هذا التعايش إلى زيادة السلب والاستغلال، وإثارة الفتن والمعارك الأهلية وغير الأهلية هنا وهناك ليصفو لها الجوّ وتتصرف كما تشاء بلا حسيب ورقيب.

وفي المقابل لهذا التعايش والتقارب بين النظام الاشتراكي والرأسمالي، نرى التباعد والعداء اللأهب بين أكبر وأعظم دولتين اشتراكيتين: روسيا والصين! فأين المباديء والمقاييس؟ وكيف صار العدو المشترك صديقاً، والصديق عدواً؟. الصين تلتصق بالولايات المتحدة قائدة الاستعمار الحديث، وتلتقي معها على صعيد واحد، وتبتعد عن الروس... وهؤلاء يتعايشون مع الأمريكيين من دون الصين!

وفي تصوري أنّ هذه الجريمة الاشتراكية الروسية الصينية تُعادل كل الجرائم مُجتمعاً، وتتضاءل أمامها جرائم البلاد الرأسمالية بالكامل... وإذا لم تكن هذه الرذائل والويلات في بلاد النظامين من نتاج المال ونمو الاقتصاد شيئاً - فإنّ هذا النمو لم يُغن عن الموبقات والمشكلات التي يُعانيها الفريقان -.

مقياس الحضارة:

نشرت جريدة الأهرام المصرية مقالاً بهذا العنوان. ولا يُريد الكاتب بكلمة

الحضارة هنا مجرد التقدم في التصنيع وأختراع الآلات وتشبيد القصور والحدائق وشق الطرق، بل والثقافة والوعي ومكارم الأخلاق والحياة الوادعة الهادئة، كما أشرنا في الفقرة الأولى، وكل محتويات المقال تدخل في صلب الموضوع الذي نحن بصدده.

منها أن جماعة من ذوي الكفاءة والإختصاص اجتمعوا سنة (١٩٧٤ م) وبحثوا عن معيار يقيسون به الأمم تقدماً وتخلفاً، وأنتهوا إلى أن المجتمع الإنساني لا يحيا حياة العزّة والكرامة بالإقتصاد والدخل وحده، بل لا بد من ذلك من التعاضد والتعاون بين جميع أفرادهم وفئاته على ما فيه خير وصلاح لكل المواطنين من غير فرق بين إنسان وإنسان.

وكان من جملة ما قاله أولئك العلماء الباحثون: أن دخل أفراد المجتمع قد يتغير من حين إلى حين، فهل يدل هذا التغير على تغير حياة المجتمع في تقاليده وعاداته؟. وأيضاً قد يختلف دخل الفرد ويتفاوت بين بلد وبلد، فهل يكون التفاوت بينهما في الحياة الكريمة بمقدار التفاوت في الدخل والإقتصاد^(١)؟.

لقد جرت مقارنة إحصائية سنة (١٩٧٣ م) بين عدد من البلدان، فكان دخل السويد أعلى مستوى من الولايات المتحدة، وبعدهما جاءت كندا، فسويسرا، وفرنسا، والدنمارك، فألمانيا الغربية. ثم هبط الدخل في بعض هذه البلاد، وأرتفع في بعضها الآخر، ولكن الدين والأخلاق والآداب بقيت على ما كانت دون تقليص أو تطعيم، ومعنى هذا أن الصلة والعلاقة بين الحياة المادية والحياة المعنوية، ليست كعلاقة المعلول بعلة التامة، والمقدمات الكافية الوافية بنتيجتها الحتمية كما يدعي ماركس والماركسيون.

(١) أنظر، جريدة الأهرام المصرية في عددها الصادر بتاريخ (١٢/٤/١٩٧٤ م).

الإسلام بين اليمين واليسار:

يَدْعِي اليمينيون أَنَّهُمْ أَنْصَارُ الحُرِّيَّةِ، وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ أَخْتَارُوا النِّظَامَ الرِّئَاسِيَّ، وَيَدْعِي اليساريون أَنَّهُمْ أَنْصَارُ العَدْلِ، وَمَنْ أَجْلِهِ حَبَدُوا النِّظَامَ الإِشْتِرَاقِيَّ، وَالإِسْلَامُ يَجْمَعُ بَيْنَ الحُرِّيَّةِ وَالعَدَالَةِ، وَمَنْ هُنَا أَقْرَبَ العَدَالَةَ الإِجْتِمَاعِيَّةَ، وَإِلَيْهَا أَشَارَ الرَّسُولُ الأعْظَمُ ﷺ بِقَوْلِهِ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنِ رَعِيَّتِهِ، فَالرَّجُلُ فِي أَهْلِهِ رَاعٍ، وَالْمَرْأَةُ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا رَاعِيَةٌ... إلخ»^(١).

وَقَالَ ﷺ: «المؤمن (أخو المؤمن) كالجسد الواحد، إذا سقط منه شيء تداعى سائر الجسد»^(٢).

وعن أبي عبد الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «المؤمنُ أخو المؤمنِ كالجسد الواحد، إذا اشتكى شيئاً منه وجد (ألم) ذلك في سائر جسده، لأنَّ أرواحهم من روح الله تعالى، وإنَّ روح المؤمن لأشدُّ اتصالاً بروح الله من اتصال (شعاع) الشمس بها»^(٣).

وَقَالَ ﷺ: «المؤمنون في تبارهم، وتراحمهم، وتعاطفهم كمثل الجسد إذا

(١) أنظر، صحيح البخاري: ٨٤٨/٢ ح ٢٢٧٨ وص: ٩٠١ ح ٢٤١٦ وص: ٩٠٢ ح ٢٤١٩ و: ١٠١٠/٣ ح ٢٦٠٠ و: ١٩٨٨/٥ ح ٤٨٩٢ وص: ١٩٩٦ ح ٤٩٠٤ و: ٢٦١١/٦ ح ٦٧١٩، صحيح ابن جبان: ١٠/٣٤٢ ح ٤٤٨٩، سنن الترمذي: ٤/٢٠٨ ح ١٧٠٥، مجمع الزوائد: ٥/٢٠٧، تفسير القرطبي: ٥/٢٥٨، صحيح مسلم: ٣/١٤٥٩ ح ١٨٢٩، عوالي اللئالي: ١/١٢٩ ح ٣، مسند أحمد: ٢/١٢١ ح ٦٠٢٦، السنن الكبرى: ٦/٢٨٧، عمدة القاري: ١٢/٢٤٨ ح ٩٠٤٢ و: ١٣/١١٥ ح ٨٥٥٢، مسند أبي يعلى: ٤/٣٨٤ ح ٧٠٣٩، سنن البيهقي الكبرى: ٦/٢٨٧ ح ١٢٤٦٦.

(٢) أنظر، بحار الأنوار: ٧٤/٢٧٣ ح ١٥.

(٣) أنظر، الكافي: ٢/١٦٦ ح ٤، الإختصاص للشيخ المفيد: ٣٢، بحار الأنوار: ٥٨/١٤٨ ح ٢٥، مصادقة الإخوان: ٤٨ ح ٢.

أَشْتَكِي تَدَاعَى لَهُ سَائِرُهُ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَى»^(١).

وبما أن التقسيم إلى اليسار واليمين يقوم على أساس حرية التصرف في كسب المال وأملاكه وأدخاره أو عدم هذه الحرية - نُشير إلى أن الإسلام يحترم الملكية تماماً كما يحترم الدماء، قال الرسول الأعظم ﷺ: «إنما دماؤكم وأموالكم عليكم حرام»^(٢). ولكن الإسلام ينظر إلى المال على أنه وسيلة لسدّ الحاجات الضرورية والكمالية، وما زاد فهو إسراف وتبذير محرّم لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا لِّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيْطَانِ﴾^(٣).

وأيضاً حرّم الإسلام الاستغلال والاحتكار وقال: «من احتكر طعاماً يُريد به الغلاء فقد برىء من الله، وبريء الله منه»^(٤). وأحلّ الإسلام الإمتلاك وأدخار

(١) أنظر، بحار الأنوار: ٢٧٤/٧٤ ح ١٩، المُستدرک: ١٢/٤٢٤ ح ١٠، ذکر أخبار إصهان لأبي نعيم: ٧٣/٢، طبعة بريل ليدن باختلاف يسير في المتن والسند. وأنظر، صحيح البخاري: ٥/٢٢٣٨ ح ٥٦٦٥، مُسند أحمد: ٤/٢٧٠، حديث خثيمة: ١/٧٤، مُسند الشاميين: ١/٢٩٤ ح ٥١٢، مُسند الشهاب: ٢/٢٨٣ ح ١٣٦٦ و١٣٦٨، كتاب الأزهري للبيهقي: ١٥٠، كتاب أمثال الحديث: ١/٨٢ ح ٤١، كنز المُتال: ١/١٥٣ ح ٧٥٨، تاريخ دمشق: ٢٢/١٦٨، النهاية في غريب الحديث: ٢/١٢١، أحكام القرآن للجصاص: ٣/٣٩٨، تفسير ابن كثير: ٢/٣٨٣ و: ٤/٢١٨، طبقات المُحدثين بإصهان: ٤/٢٢٨ ح ٢٩، صحيح مُسلم: ٤/١٩٩٩ ح ٢٥٨٦، سنن البيهقي الكُبرى: ٣/٣٥٣ ح ٦٢٢٣، المُعجم الصغیر: ١/٢٣٥ ح ٣٨٢، الإيمان لابن مُنذ: ١/٤٥٥ ح ٣١٩، شُعب الإيمان: ٦/٤٨١ ح ٨٩٨٥، الإحكام لابن خزم: ٥/٣٤.

(٢) أنظر، نيل الأوطار للشوكاني: ٤/١٨٢، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيتمي الشافعي: ٣/٢٧٠، شرح معاني الآثار لأحمد بن محمد بن سلمة: ٤/١٥٩، معرفة السنن والآثار للبيهقي: ٧/٥٤، أحكام القرآن للجصاص: ٢/٩٢، تفسير القرطبي: ١٦/٣٣٧، الإحكام لابن خزم: ٢/١٥٣.

(٣) الإسراء: ٢٦-٢٧.

(٤) أنظر، فتح العزيز شرح الوجيز لتبديل الكريم الرفاعي: ٨/٢١٦، المجموع لمُحبي الدين النووي:

الفائض من المال لتأمين الحياة في المستقبل البعيد، قال الإمام علي عليه السلام: «أعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً - أي مع الأجيال إلى يوم يُبعثون - وأعمل لآخرتك كأنك تموت غداً» أي اتق الله في عمالك لدنياك^(١).

والشرط الأساس في الملكية أن تكون من حل لا من غصب أو غش أو ربا، لأنه امتلاك بلا مقابل، أما شرط الإِدخار فهو أداء الواجب المالي كالخمس والزكاة. والنتيجة الحتمية لهذه التعاليم الإسلامية وغيرها، أن الإسلام يرفض النظام الرأسمالي الذي يستغل ويحتكر، وأيضاً يرفض النظام الاشتراكي، لأنه يُلغي حرية الفرد، ويُجرده من إنسانيته، وهذا عين الجور والعدوان.

ويقف الإسلام موقفاً وسطاً: لا اشتراكية تسحق الفرد، ولا رأسمالية تستغل وتقسّم الناس إلى طبقات على أساس المال والعيش، بل تكافل وتضامن بين الفرد والجماعة، هي مسؤولة عنه، وهو مسؤول عنها، وبهذا يتم الجمع بين العدل والحرية، ويمكن التعبير عن ذلك بالعدالة الاجتماعية^(٢).

وبهذه المناسبة نُشير إلى ما قاله الفيلسوف الإنجليزي الشهير (رُسل):
«أعترف بأنّي أفضل أن أرى العالم كله مسيحياً على أن أراه ماركسياً، فأنّا

﴿ ٤٥/١٣، حاشية رد المحتار، لابن عابدين: ٧١٨/٦، المحلى لابن حزم: ٦٤/٩، تلخيص الحبير لابن حجر: ٢١٦/٨ ح ٢١ و٢١، مُسند أحمد: ٣٣/٢، مُستدرک الحاکم الحسکاني: ١٢/٢، مُسند أبي يعلى: ١١٧/١٠، الذرّيّة في تخريج أحاديث الهداية: ٢٣٤/٢. »

(١) أنظر، تحرير الأحكام للعلامة العلي: ٢٤٩/٢، تفسير القرطبي: ٣٥/٤، من لا يحضره الفقيه: ٩٤/٣ ح ٣٥٦، معاني الأختار للنجاشي: ٣٠٥/٦، وسائل الشيعة: ٧٦/١٧ ح ٢، قبض القدير شرح الجامع الصغير: ١٦/٢، كنز العمال: ٥٨١/٥، تنبيه الخواطر: ٢٣٤/٢.

(٢) قرأت في صحف (١٩٧٧/٩/٢٥م) أن نقص الغذاء يُهدد فقراء العالم، والولايات المتحدة ترفض زراعة (٦٠) مليون فدان، وتدفع تعويضات للمزارعين لتُحافظ على ارتفاع الأسعار، ولو أخذت بنظام العدالة الاجتماعية حقاً وواقعاً لشجعت الزراعة.

أعرف الإيمان الماركسي أكثر من أي إيمان آخر... ولكن لستُ مُستعداً بأي حال من الأحوال أن أقبل بوجهة نظر من يرى التماسك الاجتماعي مُستحيلاً»^(١).

ومعنى كلام (رُسل) هذا أنه يُفضل أن يسود التماسك الاجتماعي بين الناس على أن تسود المسيحية، لأنّ المسيحيين مُتعصبون، بدليل قوله: «في المعارك الأولى بين المسيحية والإسلام كان المسيحيون هم المُتعصبين، والمسلمون هم المُنتصرين، وقد اخترعت الدعاية المسيحية قصصاً عن التعصب الإسلامي، ولكنها جميعاً كاذبة... فقد تعلم كلُّ مسيحي قصة الخليفة الذي دمر مكتبة الإسكندريّة، وفي الواقع لقد دُمرت هذه المكتبة مراراً، وكان أول من دمرها هو (يوليوس قيصر)... وقد تسامح المسلمون على نقيض المسيحيين مع أهل الكتاب... وهذا ما سهّل عليهم فتوحات كثيرة»^(٢).

يُريد بقصة الخليفة أن المُبشرين ضدّ الإسلام من المسيحيين قد نسبوا زوراً وبُهتاناً إلى عمر بن الخطّاب حرق مكتبة الإسكندريّة مع العلم بأنّ أول من أحرّقها (قيصر المسيحي). وفي كتاب الإسلام والتصريّة للشّيخ مُحَمَّد عبده أنّ أول من أحرّقها قيصر، ومن بعده بطريك الإسكندريّة بقصد إثارة الفتنه والثورة، ومن بعده (تيوفيل المسيحي)، ثم أتى على البقية (سيريل)!. وهكذا يرتكبون أكبر الجرائم ضدّ العلم والإنسانيّة، وينسبونها إلى المسلمين حقداً وتعبساً.

(١) أنظر، الفيلسوف الإنجليزي الشهير (رُسل) في كتاب المُجتمع البشري ترجمة عبدالكريم أحمد: ١٩٢.

(٢) أنظر، الفيلسوف الإنجليزي الشهير (رُسل) في كتاب المُجتمع البشري ترجمة عبدالكريم أحمد: ١٩٣.

المنهج المتبع في الرياضيات والطبيعات والفلسفة

المنهج:

والمُرَاد بالمنهج هُنَا الطَّرِيقَةُ الْمُتَّبَعَةُ فِي دِرَاسَةِ الْمَوْضُوعِ ، وَهُوَ يَتَعَدَّدُ وَيَتَنَوَّعُ تَبَعًا لَتَعَدُّدِ الْعِلْمِ وَتَنَوُّعِهِ ، وَبِكَلِمَةٍ مَنَهِجٌ كُلُّ عِلْمٍ أَوْ مَوْضُوعٍ بِحَسَبِهِ . وَقِيلَ : يَنْبَغِي أَنْ تَبْحَثَ كُلَّ الْعُلُومِ بِأَسْلُوبٍ وَاحِدٍ وَهُوَ الْحَسُّ وَالتَّجْرِبَةُ تَمَامًا كَالْعُلُومِ الطَّبِيعِيَّةِ ! . وَهَذَا الْقَوْلُ يَحْجُرُ عَلَى الْعَقْلِ أَنْ يُتْرَجَمَ عَنْ نَفْسِهِ ، وَيَسُدُّ بَابَ الْعِلْمِ إِلَّا الْمَادِّيَ الْإِلْحَادِيَّ .

منهج العلوم الرياضية:

لَيْسَتْ الرِّيَاضِيَّاتُ عِلْمًا تَجْرِبِيًّا يَفْتَقِرُ إِلَى مُخْتَبِرَاتٍ وَأَلَاتٍ ، وَإِنَّمَا هِيَ عِلْمٌ عَقْلِيٌّ مِثْلُ « $2 = 1 + 1$ » وَالرِّيَاضِيَّاتُ تَعْمُ وَتَشْمَلُ الْحِسَابَ وَالْجَبْرَ وَالْهَنْدَسَةَ وَالْفَلْكَ وَالْمِيكَانِيكَ وَهُوَ عِلْمٌ يَدْرُسُ الزَّمْنَ وَالْحَرَكَةَ وَالْقُوَّةَ .

وَقَالَ أَصْحَابُ الْمَذْهَبِ الْعَقْلِيِّ : أَنَّ الْحَقَائِقَ الرِّيَاضِيَّةَ هِيَ مِنْ إِبْدَاعِ الْعَقْلِ وَحْدَهُ ، وَلَا تَسْتَنْدُ إِلَى أُذُنٍ أَوْ عَيْنٍ أَوْ آيَةٍ قُوَّةٍ خَارِجَةٍ عَنِ الذَّاتِ .

وَقَالَ أَصْحَابُ الْمَذْهَبِ الْحَسِّيِّ التَّجْرِبِيِّ : أَنَّ الْمَعَانِي الرِّيَاضِيَّةَ مُنْتَزَعَةٌ مِنْ صُورَةِ الْأَشْيَاءِ الْمَادِّيَّةِ الْمَحْسُوسَةِ ، تَرَى الْعَيْنُ هَذَا وَذَلِكَ مِثْلَيْنِ أَمَامَهَا ، فَيَنْتَزِعُ

العقل الإثنيية منهما مجتمعين مع أن هذه الإثنيية غير موجودة في الخارج وجوداً مستقلاً.

وسبقت الإشارة أن للعقل أحكاماً فطرية مستقلة، وأحكاماً أخرى هي نتيجة التفاعل بينه وبين ما تراه العين من أشياء الطبيعة. وعلى أية حال فإن المنهج الرياضي هو إستنباط عقلي لحقيقة من حقيقة سابقة عليها كالمثال السابق والآتي في الفقرة التالية.

الإستدلال الرياضي والقياسي المنطقي :

الإستدلال الرياضي صادق أبداً ودائماً حتماً وبالضرورة، ويتسحيل الكذب في حقه، لأن النتيجة تتبع وتتبع مقدمة واحدة تنطوي على نفس النتيجة مثل

المُتساويات لثالث مُتساويان

فالمُقدمة : المُتساويان لثالث

والنتيجة : مُتساويان

أما نتيجة القياس المنطقي : فإنها تصدر من مُقدمتين أو أكثر، ولا تصدق على كل حال، بل تدور مدار مُقدّماتها صدقاً أو كذباً، ومثال الصادقة :

سُقراط إنسان

وكُل إنسان فأن

فسُقراط فأن

ومثال الكاذبة :

سقراط فيلسوف
وكل فيلسوف يعيش مئة سنة

فسقراط عاش مئة سنة

منهج الطبيعات :

تخضع الطبيعات بشئى أنواعها للملاحظة والتجربة، وهذا هو السبب الأساس لحاجتها إلى المختبرات والآلات على عكس الرياضيات، وقسموا العلوم الطبيعية إلى قسمين أساسيين :

١ - العلوم الفيزيائية والكيميائية، وتبحث في ظواهر المادة الجامدة فقط .

٢ - العلوم الحيوية، وتبحث في الكائنات الحية وتطورها .

ويدخل في كل من هذين القسمين علوم فرعية ومختلفة، تُدرّس في الجامعات، وقد يُنسخ بعضها ويُصبح في خبر كان حيث تُغني عنه علوم جديدة لم تكن في الحُساب، فقد أثبت العلم الحديث أن الكون آخذ في التوسع بسرعة فائقة، ونصّ القرآن الكريم على ذلك بصراحة ووضوح في الآية: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾^(١) .

وأخيراً فإنّ منهج الطبيعات هو الحسّ والتجربة والفرس عندما يكون السبب غير واضح^(٢) . وزيادة في التوضيح نُجمل فيما يلي وجه الفرق بين المنهج الرياضي والطبيعي .

(١) الذاريات: ٤٧ .

(٢) أنظر، فصل المنهج العلمي في الإسلام من هذا الكتاب، فقرة ضرورة الفرض .

بين المنهج الرياضي والطبيعي :

مما تقدم يتبين معنا أن المنهج الرياضي لا يشترط فيه شيء سوى اتساق الفكر مع نفسه بغض النظر عن الواقع، وإنه لا داعي إلى الاستقراء وتكرار الأمثلة للاختبار والتثبت، لأن القضايا الرياضية قطعية وتحليلية، تحمل صدقها في صلب تكوينها، ولا تقبل شكاً ولا نقداً بأية حال، وأي عاقل يشك أن المثلث له ثلاثة أضلاع، وأن الواحد نصف الاثنين؟.

أما القضايا الطبيعية فصدقها مرهون بموافقتها للواقع المستقل عنها والخارج عن حدودها مثل هذه التثبت فيها مادة ساممة حيث لا شيء يدل على الصدق أو الكذب إلا التجربة والاختبار، ومن هنا اتفق العلماء على أن الحقيقة الطبيعية لا تثبت إلا إذا توافرت فيها الشروط التالية :

- ١ - الملاحظة والتجربة.
- ٢ - تكرار التجربة على عدد غير قليل من الأفراد.
- ٣ - أن تكون نتيجة التجربة واحدة.
- ٤ - استنتاج الحقيقة الطبيعية بشرط أن يكون عمومها وشمولها لكل فرد على سبيل الرجحان لا على سبيل الجزم والقطع إذ من الجائز أن لا يكون جميع الأفراد على نسق واحد.

الفلسفة منهج المناهج :

لا أحد يشك في أن العلوم الرياضية والطبيعية هي الأساس والمقياس لنمو الحياة وتطورها نحو الرقي والرخاء، فقد كان للعلم وما زال تأثيره العميق في حياة الإنسان المادية والاجتماعية والثقافية، بل يستحيل العيش في عصرنا الزاهن بدون العلم.

أما الفلسفة فقد حامت الشكوك حولها حتى قيل: هي من لغو الحديث، وقال آخر: أنها تُعقد الواضحات، وتعجز عن حلّ المشكلات. وتقدم مثل هذا القول مع نقده وردّه في فصل الوضعية المنطقية فقرة فلسفة التحليل. وقال (رُسل) في كتاب الفلسفة بنظرة علمية (الفصل الأول) ما نصّه بالحرف:

«هناك طائفة من المشكلات يجد الناس في بحثها لذة، ومع ذلك هي ليست مما تبحثه العلوم في يومنا الحاضر، وهي مشكلات تتميز كلها بأنها تُشير الشك فيما يقع عند عامة الناس موقع التسليم، فإذا أردت إزالة هذه الشكوك، لم يكن لك بُدّ من دراسة خاصة هي التي نطلق عليها أسم الفلسفة.»

ومعنى هذا الكلام أن أي شيء لا يمت بصلته إلى العلوم الطبيعية والرياضية لا ينبغي الخوض فيه بحال، ولكن الناس يجدون مُتعة في الحديث عما وراء الطبيعة ومصير الإنسان بعد الموت والتوفيق بين العقل والوحي، وما إلى ذلك مما تبحثه الفلسفة، فأوجدها للكلام عن هذه الأمور والأفهي كلام فارغ عند رُسل، لأنه من أنصار الوضعية المنطقية التي لا تؤمن بوجود شيء إطلاقاً إلا إذا لمستته اليد أو رآته العين^(١).

وقرأت للفلسفة العديد من التعريفات، وخلاصة كل ما قيل أو يُمكن أن يقال في تعريفها أن الفلسفة هي العلم العقلي المنظم الذي يبحث عن الدعائم الأولى للمعرفة أيّاً كان نوعها، وعلى ذلك تكون الفلسفة هي المنهج والتخطيط العقلي لكل تفكير قويم علماً كان أو منهجاً أو أي شيء لا غنى له عن التعقل والتكامل، وعلى ذلك فلا منهج للفلسفة لأنها هي المبدأ الأول لكل منهج، وما عداها من المناهج مجرد فروع عنها، ولو كان لها منهج لكان هو الأسبق في التفكير

(١) أنظر، فصل الوضعية المنطقية من هذا الكتاب.

والتعقل، وذلك خلاف الفرض.

ويدعم هذا ويؤكده قول الفيلسوف الإنجليزي (سينسر): أن حظيرة الفلسفة تجم وتشم الآلة والطبيعة والإنسان... فهي تجمع هذه الحقائق وتكملها... وقد شبه بعضهم العلم بنهر يجري في أرض مستوية واضحة، ولكنه مجهول المنبع والمصب، والفلسفة هي التي تكشف عن منابع العلم وتجلو لنا الغامض من نتائجه». **يبن المعرفة الفلسفية والعلمية:**

وذكر أحد الفلاسفة ثلاثة وجوه للفرق بين المعرفة الفلسفية والعلمية، نختم بها هذا الفصل.

- ١ - أن المعرفة الفلسفية لا تقتصر على دراسة الظواهر، بل تغوص على الحقائق العميقة، فتبحث في الوجود والجوهر، وتبني الوصول إلى الحقائق المطلقة.
- ٢ - المعرفة العلمية تكفي بدراسة الأسباب المباشرة، أما المعرفة الفلسفية فتبحث عن الأسباب القصوى والمبديء الأولى.
- ٣ - المعرفة الفلسفية أكثر تعميماً من المعرفة العلمية، ولكنها تتفق بكاملها على أن أهم مميزات الفلسفة وخصائصها عن الحقيقة على قدر الطاقة العاقلة من الإنسان، وهذه الطاقة والقدرة هي المصدر والأساس لكل ما يقتنع به الفيلسوف من حقائق. وعليه يسوغ لك أن تسمي هذه القدرة العقلية منهنجا عاماً تندرج تحته كل المناهج أيضاً كان نوعها.

السَّببُ وَالْمُسَبَّبُ

مَعْنَى السَّبَبِيَّةِ وَأَقْسَامُهَا :

توجّه السَّبَبِيَّةُ وتتحقق بين شيئين إذا كان بينهما علاقة ضرورية تستدعي وجود أحدهما عند وجود الآخر ، وتنقسم السَّبَبِيَّةُ إلى أقسام تبعاً لنوع الموضوع وطبيعته ، وإليك البيان :

١ - السَّبَبِيَّةُ العَقْلِيَّةُ ، وهي التي يُدركها العقل تلقائياً وبلا معونة الحسّ والتجربة كالتلازم والتلاحم بين وجود البناء ووجود الباني ، والجنائية والجاني^(١) .

٢ - السَّبَبِيَّةُ الإنسانيَّةُ أو الإرادية ، قُلْ مَا شِئْتُ ، وهي العلاقة بين السَّببِ والمسبب إختيارية كالتلازم بين أفعال

(١) في نهج البلاغة: « فبالإيمان يُستدلُّ على الصّالحات ، وبالصّالحات يُستدلُّ على الإيمان ، وبالإيمان يُعمَّرُ العلم ، وبالعلم يُرهَبُ الموتُ ، وبالموت تُختمُ الدُّنيا ، وبالذُّنيا تُحرَّزُ الآخرة ، وبالقيامة تُزلَفُ الجنَّةُ ، وتُبرِّزُ الجحيمُ للغاوين ، وإنَّ الخلقَ لا مقصر لهم عن القيامة مُرقلين في مضارها إلى الغاية القصوى » . أنظر ، نهج البلاغة : من كلامٍ له ﷺ لأهل البصرة رقم (١٥٦) .

والإيمان هنا سبب ، والصّالحات مُسبب ، والقدامى يُسمون الإستدلال بالسبب على المسبب البرهان اللّمي من (لم) والإستدلال بالمسبب على المسبب البرهان الآتي من (أن) المُشدِّدة والمراد بها الثبوت والوجود .

الإنسان والرغبة فيها والدافع إليها.

٣ - السببية الطبيعية البديهية التي لا تفتقر معرفتها إلى الحس والتجربة كالثمرة على الشجرة والجريان في الماء، فكلنا يعلم بالبديهية أن الماء يجري بطبعه، وأن الشجرة الحية النامية تورق وتزهو وتثمر آلياً وطبيعياً.

وهذه الأقسام الثلاثة ليست محلاً للشك حتى تُثير التساؤل والجدل.

٤ - السببية الطبيعية النظرية التي تحتاج إلى الإمتحان والخبرة الحسية... وأنكر هذه السببية العديد من فلاسفة العصر الزاهن تبعاً للفيلسوف المثالي الإنجليزي الذي قال: «لا يمكن أن نستخلص وجود علاقة بين العلة والمعلول بالحدس أو بالتحليل أو بالبرهان، فإذا سبقت ظاهرة ظاهرة أخرى فلا يمكن أن نستخلص أن الأولى علته والثانية معلول، وحتى أشد الأحداث تكراراً لا تُعطينا معرفة بقوة خفية - يُريد العلاقة العلية - بها يسبق الشيء الشيء الآخر».

ومثل أنصار (هيوم) للتتابع والتفان بين ظاهرتين، بهبوب الريح يتبعه اضطراب أمواج البحر وأقتلاع الشجر، إن تك الريح عاصفة، وأيضاً مثلوا بتمدد المعدن بالحرارة، وما إلى ذلك من الأحداث المتلاصقة المتجاورة في أطراد مستمر... وقالوا: لا داعي لإفتراس العلاقة السببية في شيء من ذلك، وإنما نشأت فكرة السببية من العادة ورؤية الإقتران المطرد لأم نفس الواقع ولأم من الفطرة وبديهة العقل تماماً كما نشأت فكرة دوران الشمس حول الأرض من

مُجرد الرّؤية علماً بأنّ الأرض هي التي تدور حول الشمس .

الدليل الغليل والإجابة عنه :

وأستدلوا على ذلك بأنهم يُشاهدون شيئاً يُسمّى قوّة أو علاقة بين الظاهرتين ، وكلّ الذي رآوا ولاحظوا هو أقتزانهما في الوجود ، وأقتران الأشياء المحسوسة شيء ، والقوّة والعلاقة التي لا تمتد إليها الخبرة الحسيّة شيء آخر ، أجل لأبأس بالقول : أنّ في أعماق الطبيعة قوانين تربط وتلصق حادثة بأخرى في عالم الخارج المحسوس لا في عالم العقل والإدراك بحيث يكون هناك قاعدة كليّة وقبلية تقول : لكلّ حادثة سبب . أبداً لأ شيء فطري غريزي من هذا النّظير ، لأنّ العقل يُمكنه أن يتصور وجود الشيء بلا سبب موجب ! .

الجواب :

١ - أنّ الوجود لا يَنحصر بما يقع تحت الحواس . فكّم في أنفسنا وفي الآفاق أشياء وقوى هي فوق الحسّ ، نُؤمن بوجودها عن طريق العلم بآثارها وثمارها المحسوسة الملموسة ، وسبق القول في ذلك مُفصلاً .

٢ - أنّ العقل يُدرك بصورة فطرية وقبلية مُستقلة عن الحسّ والتّجربة - أنّ لكلّ حادثة سبباً ، وأنّ المُمكن ما لم يجب ما لم يوجد ، يُدرك العقل ذلك كمبدأ عامّ ونظري مُجرد ، ثمّ يأتي دور التطبيق بعد الملاحظة والتّجربة التي تكشف بواسطتها وجود العلاقة السببيّة بين الحادّتين المُتشابكتين ، وأنهما من أفراد ذلك المبدأ العامّ .

ومن يرفض هذا المبدأ فإنّه يقع لا محالة في مشكلة

الصدفة المُستحيلة حيث لا فرض ثالث هناك .

الهندي والأرض :

في كتاب الفلسفة بنظرة علمية (لرسل) ما نصّه بالحرف : «إِنَّا لَا نُلَاحِظُ إِلَّا الْأَحْدَاثَ فِي تَتَابُعِهَا الْمُطْرَدِ، وَمِنْ أَطْرَادِ التَّتَابُعِ تَتَأَلَّفُ الْقَوَانِينُ الطَّبِيعِيَّةُ، أَمَا لِمَاذَا كَانَتْ هَذِهِ الْقَوَانِينُ فَشِيءَ لَا يَأْتِي عَنْ طَرِيقِ الْخِبْرَةِ الْحَسِيَّةِ، وَلَوْ حَاوَلْنَا تَعْلِيلَ الْقَوَانِينِ لِاحْتِاجِ التَّعْلِيلِ إِلَى تَعْلِيلٍ، وَهَكَذَا إِلَى ثَالِثٍ وَهَلُمَّ جَرًّا، وَعِنْدُنَا نَكُونُ كَالْهِنْدِيِّ الَّذِي سَأَلَ: لِمَاذَا لَا تَسْقُطُ الْأَرْضُ؟ .

وَأَجَابَ نَفْسَهُ بِقَوْلِهِ: لِأَنَّهَا تَسْتَدُّ إِلَى فِيلٍ .

ثُمَّ سَأَلَ مَرَّةً أُخْرَى: وَلِمَاذَا لَا يَسْقُطُ الْفِيلُ؟ .

وَأَجَابَ نَفْسَهُ: لِأَنَّهُ يَسْتَدُّ إِلَى سُلْحَفَاءَ؛ وَلَكِنَّهُ سَأَلَ لِمَاذَا لَا تَسْقُطُ السُّلْحَفَاءُ؟

فَأَخَذَتْهُ الرَّبْكَةُ وَقَالَ: أَنَّهُ قَدْ مَلَّ الْبَحْثَ وَلَا يُرِيدُ الْمُضِيَّ فِيهِ»^(١) .

أَجَلٌ لَقَدْ عَجَزَ هَذَا الْهِنْدِيُّ عَنِ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِدْرَاكِ بِأَنَّ الْأَرْضَ تَدُورُ فِي فَلَكِهَا بِفِعْلِ الْجَازِيَّةِ، وَلَكِنْ هَلْ يَسُوعُ لِعَاقِلٍ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ عَجْزِ الْهِنْدِيِّ دَلِيلًا عَلَى نَفْيِ الْجَازِيَّةِ؟ أَلَا الْعَالِمُ بِحَقِّ إِذَا بَحِثَ عَنْ شَيْءٍ وَلَمْ يَحِطْ بِهِ عِلْمًا يَسْأَلُ مَنْ هُوَ أَدْرَى وَأَعْلَمُ، وَلَا يَتَّخِذُ مِنْ جَهْلِهِ دَلِيلًا عَلَى النَّفْيِ، وَيَقُولُ الْعِلْمُ وَالْمُحَقِّقُونَ مِنَ الْعُلَمَاءِ: أَنَّ الْإِسْتِقْرَاءَ شَاهِدٌ عَادِلٌ وَقَاحِصٌ، وَأَنَّهُ أَصْلٌ أَصِيلٌ لِكُلِّ قَانُونٍ مِنَ الْقَوَانِينِ الطَّبِيعِيَّةِ، وَكَلَّمَا يَعْلَمُ أَنَّ أَهْمَ مَا يَمْتَازُ بِهِ الْقَانُونُ الطَّبِيعِيُّ أَمْرَانِ:

الْأَوَّلُ: أَنَّ يَسْقُطُ مَا هُوَ خَاصٌّ مِنْ جَوَانِبِ الْمَوْضُوعِ، وَيَسْتَبْقَى مَا هُوَ عَامٌّ

مِنْهُ. الْأَمْرُ الثَّانِي: أَنَّ يَكُونُ عَلَى سَبِيلِ الْحَتْمِ وَالْجَزْمِ، وَلَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ إِلَّا عَلَى

(١) أنظر، كتاب الفلسفة بنظرة علمية (لرسل) ترجمة زكي نجيب محمود: ١٠٢ .

أساس وجود العلاقة السببية ومبدأ العلية حيث لا شيء سواه إلا الصدفة وهي
مُستحيَلة كما أشرنا.

وتسأل: وأية جدوى من هذا الكلام والخلاف ما دام الاتفاق قائماً بين الجميع
على تلازم الظاهرتين أبداً ودائماً؟ وهل من ضرورة إلى التعليل والتحليل؟.

الجواب:

أن ثمره الخلاف هنا مهمة وخطيرة جداً، لأنه لو لمبدأ العلية والعلاقة السببية
لأنسد العلم بالقوانين والقواعد الكلية، وتعدر التنبؤ بأي شيء، ومعنى هذا
إنسداد باب العلوم من الأساس حيث لا علم بلا قوانين ومبادئ عامة، وفوق
ذلك تتعدر إقامة الدليل على وجود الخالق، لأنه، وهذي هي الحال، لأنستطيع
أن نثبت وجود قوة وراء الطبيعة تكون علّة لوجودها وتدبيرها: «يُرِيدُونَ أَنْ
يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»^(١).

Vertical line of noise or artifacts on the left edge of the page.

Small black dot or speck near the top center of the page.

Small black dot or speck on the right side of the page.

الفلسفة القرآنية

دعوة القرآن:

القرآن كتاب الله إلى عباده، يدعوهم فيه أن يستقيموا على صراط الحق والعدل فيما يقولون ويتصرفون، ويُبشرون من أطاع بالخير والثواب، ويُنذرون العاصي بالشرِّ والعقاب... فإن تجاوز القرآن ذلك فإلى ما فيه مثل وعبرة لمن يتذكر أو يخشى، وإلى هذا أشار سبحانه بقوله: «تَوَاتَىٰ أَكْثَرُ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ»^(١).

وأشار سبحانه وتعالى بقوله: «وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ»^(٢).

ومن هذه الأمثال ما يصلح مادة لعلم التاريخ وآثار الأمم الماضية، أو للجغرافيا والفلك، أو لعلم الطبيعة والأخلاق، أو التشريع وما أشبهه، ومنها ما يصلح مادة للفلسفة كالبحث عما وراء الطبيعة، وسبب الخلق، وصفات الخالق، ومصادر المعرفة ومكانة العلم والعقل، وحرية الإنسان وعلاقته بخالقه ومصيره بعد موته... إلى غير ذلك.

(١) إبراهيم: ٢٥.

(٢) النكبات: ٤٢.

وفيما يلي نعرض طرفاً من هذه المواضيع التي تبحث في كتب الفلسفة، ونفسرها تفسيراً يستقيم مع ظاهر القرآن ومبادئه.

علم الكلام لا يكفي:

في سنة (١٩٧٦ م) درست في دار التبليغ بقمّ فلسفة الأخلاق في الإسلام والفقهاء على المذاهب الخمسة، وفي ذات ليلة دعاني أحد التجار بطهران إلى العشاء، فأجبت على غير علم مني بأسباب الدعوة، ولدي وصولي إلى بيته رأيت ثلثة من حملة الشهادات العالية، وما أستقر بي الجلوس حتى وجهوا إلي أنواعاً من الأسئلة، وأستمر السؤال والجواب من الساعة السابعة مساءً إلى الواحدة والنصف.

وكان من بينها هذا السؤال: ما رأيك في الكتب التي تتحدث عن الفلسفة الإسلامية؟ هل تمثل هذه الفلسفة حقاً وصدقاً؟

قلت: لا بد أولاً من تحديد معنى الفلسفة الإسلامية: هل المراد بها مجرد الدعم والتبرير للديانة الإسلامية والدفاع عنها بمنطق العقل، أو أن المراد الهدف العام الذي تقاس به جميع قيم الإسلام وتعاليمه دون استثناء؟

فإن أريد المعنى الأول فعلم الكلام الإسلامي يؤدي هذا الغرض، ما في ذلك ريب، وإن أريد المعنى الثاني فعلم الكلام لا يفي بذلك، لأنه يحامي عن العقيدة وكفى، ومن هنا سمي بعلم التوحيد أيضاً.

الفلسفة القرآنية:

أن القرآن بعقيدته وشريعته وجميع مبادئه وتعاليمه، يدفع بالحياة البشرية إلى الأمام، ويوجه الإنسان إلى العمل من أجل حياة طيبة دائمة حتى كأنه يعيش

أبداً، قال سبحانه: «يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِي وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ»^(١). وأستناداً إلى هذه الآية يسوغ لنا أن نحدد الإسلام بأنه دين الحياة، ولا نزيد، وأيضاً قال سبحانه: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَيِّنُ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا»^(٢). أي لحياة أفضل - وأيضاً قال سبحانه: «فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَدِيمُ وَلَكِن كَثُرَ النَّاسُ لَا يَعْلَمُونَ»^(٣).

وكل إنسان مطبوع ومفطور على حب الحياة الأفضل والأكمل، وقد زوده سبحانه بكل المواهب والطاقات والأدوات التي تُعينه على تحقيق آماله وغاياته القصوى حتى ولو شاء الصعود إلى القمر والمريخ، وقرأت من جملة ما قرأت: «لَوْ تَعَلَّقَتْ هَمَّةُ بَنِي آدَمَ بِمَا وَرَاءَ الْعَرْشِ لَنَالَتْهُ». فإذا أهمل وتكاسل فلا يلومن إلا نفسه: «وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ»^(٤).

وخلاصة ما نستفيدة من هذه الآيات ونظائرها أن الفلسفة أو التربية القرآنية تهتم بحياة الإنسان حاضرة، ومستقبله اهتماماً يكفل له سد حاجاته المادية والروحية بحيث لو طبّق الإسلام كما أراد الله ورَسُولُهُ لَكَانَتِ النَّتِيجَةُ لِمَصْلَحَةِ الْعَالَمِ كُلِّهِ دَعَةً وَأَمْنًا... أبداً حياة بلا مشكلات وويلات. وعن درس وعلم قال الشاعر الفيلسوف الألماني (غوته) الذي أثرت آراؤه تأثيراً بالغاً في تطور الفكر

(١) الأنفال: ٢٤.

(٢) الإسراء: ٩.

(٣) الروم: ٣٠.

(٤) البقرة: ٥٧.

الأوروبي: «إذا كان هذا هو الإسلام،: أفلاً نكون كلنا مسلمين»^(١)؟
 وغريبة الغرائب أن يقول هذا مسيحي ألماني، ويقول مُعمم أعجم: الإسلام
 غيب في غيب! لقد سبق الإسلام دعوات كثيرة في تاريخ الأديان، ولكنها
 جاءت وانتهت دون أن تغرس في الأذهان فكرة إنسانية عامة حتى جاءت
 رسالة مُحَمَّد ﷺ فقامت بهذه المهمة على الوجه الأكمل، ومن هنا ختمت النبوة
 بسيد الأنبياء.

الفلسفة القرآنية واقعية لامثالية:

قال أنصار المثالية: أن الفكرة تسبق الواقع، وأن العالم ليس إلا امتداد لما
 يدور في أدمغتنا، وقال الواقعيون: العكس هو الصحيح أي أن الواقع يسبق
 الفكرة، وأن أدمغتنا ليست سوى امتداد للعالم الخارجي المستقل بذاته، وهذا
 عين ما نطق به القرآن: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾^(٢).
 وقال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الظَّنُّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾^(٣). أي أن الحق
 والواقع مستقل عن الفكرة، وهي انعكاس عنه، فإن كانت مطابقة له فهي صادقة
 وإلا فهي تخمين وتضليل.

وليس معنى هذا أن العقل يعجز عن أستجلاء الحق والواقع، كيف؟ وقد حث
 القرآن على الأخذ به، وشبهه المقلدين بالأنعام حيث قال: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ
 هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾^(٤). بل المراد أن الموجودات الخارجية مستقلة في وجودها عن

(١) أنظر، أعيان الشيعة السيد محسن الأمين: ٩٥/١٠.

(٢) الأنعام: ١١٦.

(٣) يونس: ٣٦.

(٤) الفرقان: ٤٤.

العقل والإدراك، وأنّ العقل طريق من طرق العلم بالواقع، ومن أوضح البديهيات أنّ الواقع شيء، وطريق العلم به شيء آخر.

القرآن ومصادر المعرفة:

المعرفة انعكاس الواقع في الفكر الإنساني - كما قيل - وكثير من الفلاسفة يعتبرون العمل والممارسة جزءاً لا يتجزأ من العلم والمعرفة، وكلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يوحى بذلك حيث يقول: «العلم مقرونٌ بالعمل: فمن علم عمل؛ والعلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل عنه»^(١). ومصدر المعرفة: الطريق المؤدي إليها.

ويعتقد الماديون أنّه لا طريق إلى الصدق والمعرفة إلاّ الحسّ والتّجربة، وإنّه لا يمكن الوصول إلى الواقع بالإستدلال العقلي السابق على التّجربة بأيّة حال حيث لا أثر ولا عين إلاّ لما يقع تحت الحواس. وقال المثاليون: لا طريق إلى المعرفة إلاّ العقل وحده حيث لا وجود لأيّ كائن إلاّ في رؤوسنا ما دُمنا لا نستطيع العلم بشيء إلاّ إذا تحول إلى صورة في العقل. وسبق الكلام عن ذلك في فصل الماديّة والواقعيّة والمثالية.

أما القرآن الكريم فيقسّم مصادر المعرفة إلى ثلاثة أقسام: (العقل، والتّجربة والوحي)، لأنّ للإنسان عيناً ترى، وعقلاً يدرك، وفوق كلّ شيء عليم بكلّ شيء، وقد جمع الأقسام الثلاثة في آية واحدة: «ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير»^(٢). فالعلم إشارة إلى الملاحظة والتّجربة، والهدى إلى العقل، والمراد بالكتاب المنير الوحي، والعقل يُصحح أخطاء

(١) أنظر، نهج البلاغة: الحكمة (٣٦٥).

(٢) الحج: ٨.

الحس، والوحي يُرشد العقل إلى ما غاب عنه، لأنَّ عقول الناس متفاوتة، وحُكم الوحي هو العدل والفصل.

مصادر العقيدة الإسلامية :

أصول العقيدة الإسلامية ثلاثة: (الإيمان بالله ورُسُوله مُحَمَّدٌ واليوم الآخر)، والإيمان مأخوذ من الأمانة، ومن ذلك قولهم: الإيمان أمانة، ولا دين لمن لا أمانة له. وجاء في الموسوعة الفلسفية السوفياتية ما نصّه بالحرف الواحد: «الإيمان إدراك شيء ما على أنه صادق دون بُرهان، والإعتقاد الأعمى جزء جوهري من أي دين، وبهذا المعنى لا يوجد اختلاف بين الإيمان والخرافة، ويقف الإيمان الديني على طرفي نقيض مع المعرفة»!

بل هذا التعميم لكلّ دين وإيمان لا يستند إلى بُرهان، بل ويقف مع الواقع على طرفي نقيض^(١) فمن استقرأ القرآن يجد العديد من آياته تُندد بالجهل والتقليد والتعصب، وتحث على أتباع العقل وطلب العلم، وتعدّه فريضة، وترفع العلماء درجات. وأي عاقل يتصور أن يرفع العدو من شأن عدوّه؟

وأيضاً تحدّى القرآن خصومه بقوله: ﴿هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢) وكرّر هذا التحدي في العديد من السور والآيات، وذمّ القائلين بغير علم، وقال لهم من جملة ما قال: ﴿فَلِمَ تَحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾^(٣). وسبق الكلام حول الآية: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾^(٤). حيث ربطت الخشية منه

(١) أنظر، فصل فلسفة الأديان السماوية من هذا الكتاب.

(٢) البقرة: ١١١.

(٣) آل عمران: ٦٦.

(٤) فاطر: ٢٨.

تعالى بمعرفته، وقال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به، وكمال التصديق به توحيدُهُ، وكمال توحيدِهِ الإخلاصُ له، وكمال الإخلاص له نفي الصفات أول الدين عنه، لشهادة كل صفة أنها غير الموصوف، وشهادة كل موصوف أنه غير الصفة: فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه، ومن قرنه فقد ثناه، ومن ثناه فقد جزأه، ومن جزأه فقد جهله، ومن جهله فقد أشار إليه، ومن أشار إليه فقد حدّه، ومن حدّه فقد عدّه، ومن قال «فيم» فقد ضمنه، ومن قال «علام؟» فقد أخلى منه»^(١). عز وجل، وذهب أكثر علمائنا إلى أن التقليد في أصول الدين غير مقبول وإن طابق الواقع مع القدرة على التعلم، ونحن على خلاف هذا الرأي. وأخيراً، فهل دين الإسلام بلا برهان، أو قول الموسوعة السوفياتية زور وبهتان؟.

ونعود إلى عقيدة الإسلام ومصادرها وهي (العقل، والحس، والوحي) كما أشرنا في فقرة القرآن ومصادر المعرفة، ولكن على التفصيل الآتي:

١ - ذكر سبحانه في كتابه أن الطريق إلى وجوب الإيمان به هو النظر إلى الكون في جملته حيث يرى العاقل فيه وفي موجوداته أثر الصنعة والترتيب المقصود تماماً كما قال، عز من قائل: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾^(٢). والصنعة تدل على وجود الصانع بحكم العقل وبديته، ويتألف هذا الدليل من الاستقراء الحسي والاستنباط العقلي معاً، وعليه يكون الإيمان بالله نتيجة يقينية بل وضرورية تماماً كالنتيجة

(١) أنظر، نهج البلاغة: الخطبة (١).

(٢) الفرقان: ٢.

الرّياضيّة مع فارق واحد هو أنّ النّتيجة الرّياضيّة تعتمد على العقل وحده، ولا تستعين بالحسّ، أمّا الإيمان بالله فإنّه يستند إلى العقل والحسّ معاً. ومعنى هذا أنّ دليل الإيمان بالله حجة قائمة ولازمة على منطق المثاليين لمكان العقل وعلى منطق الماديّين لمكان الحسّ والملاحظة.

٢ - وذكر سبحانه في كتابه أنّ الدليل على الإيمان بالتّوحيد ونفي الشّرك هو بديهية العقل وحكمه آلياً بأنّ فساد اللّازم يدل على فساد الملزوم، وأشار سبحانه إلى ذلك في الآية: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾^(١).

وقلنا في تفسيرها: أي لو كان في السّماء والأرض آلهة سوي الله لما استقامتا إطلاقاً وفسد من فيهما وما فيهما، وذلك أنّه لو وجد إلهان لكان كلّ منهما قادراً بحكم كونه إلهاً، ومن شأن القادر أن يكون مُريداً ضدّ ما يُريده الآخر، وعليه فإذا أراد أحدهما خلق شيء، وأزاد الآخر خلافه، فأمّا أن يوجد مرادهما معاً، فيلزم أن يكون الشيء الواحد موجوداً في الخارج وغير موجود في آن واحد، وهو مُحال، وأمّا أن يوجد مُراد أحدهما دون الآخر، وعليه يكون هذا الآخر عاجزاً ومغلوباً على أمره! والعاجز لا يكون إلهاً.

وبكلام آخر: لو وجد إلهان فأمّا أن يكون أحدهما قادراً على تدبير العالم، وأمّا أن لا يكون كذلك، فإن كان قادراً كان

وجود الثاني عبثاً ولزوم ما لا يلزم، وإن لم يكن قادراً فلا يصلح للألوهية لعجزه من جهة، وعدم الفائدة من وجوده من جهة ثانية.

٣ - وذكر سبحانه في كتابه أن الطريق إلى الإيمان بنبوّة مُحَمَّدٍ ﷺ هو العقل بواسطة المعجزة الإلهية، وهي أنه سبحانه تحدى المعاندين وقال لهم بلسان نبيه: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عِبْدِنَا فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ، وَأَنْعُوا شَهَادَاتِكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(١).

فتهاوى المعاندين حين سمعوا كلاماً « قَالَ: وَاللَّهِ، إِنْ لَهُ لِحَلَاوَةٌ، وَإِنْ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةٌ، وَإِنْ أَسْفَلُهُ لَمُعْذِقٌ، وَإِنْ أَعْلَاهُ لَمُثْمَرٌ مَا يَقُولُ هَذَا بَشَرٌ^(٢). هَذَا كُلُّهُ مَعَ غَرَابَةِ الْأَسْلُوبِ، وَأَعْجُوبَةِ النَّظْمِ، حَتَّى قَالَ الْكُفَّارُ: إِنَّهُ سَحَرٌ يُؤَثِّرُ^(٣). كَمَا قَالَ

(١) البقرة: ٢٣.

(٢) أورد البيهقي في دلائل النبوة: ١/ ٤٤٦ عن عكرمة قال: جاء الوليد بن المغيرة إلى رسول الله ﷺ فقال له: اقرأ عليّ. فقرأ عليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالنَّبْغِيِّ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. قال: أعد. فأعاد النبي ﷺ. فقال: والله، إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإن أعلاه لمثمر، وإن أسفله لمعذق، وما يقول هذا البشر. وذكر هذه القصة جملة من أهل العلم منهم: الطباطبائي في الميزان: ١٢/ ٣٥٠، الخويزي في تفسير نور الثقلين: ٣/ ٧٨ ح ١٩٦، المشهدي في كنز الدقائق: ٥/ ٣٨٧، ابن كثير في البداية والنهاية: ٢/ ٤١٠، حقّ البيتين للسيد عبد الله شبر: ١١٣.

(٣) من الآية الكريمة: ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤَثِّرُ﴾، المدثر: ٢٤. والقائل هو الوليد بن المغيرة المخزومي. أنظر، التفاسير في مورد الآية الشريفة.

سيدهم الوليد بن المغيرة^(١) وسيّد الفصاحة والبلاغة في العرب، ويُسمّى هذا التسق من الاستدلال بالاستدلال المباشر، لأنّ النتيجة تستخرج من مقدّمة واحدة مباشرة وبلا واسطة، فإذا استخرجت من مقدّمتين أو أكثر سُميت بالاستدلال المتشابه.

٤ - أما الإيمان بالبعث فدليله أنّه ممكن عقلاً وثابت الوقوع نقلاً فيجب التصديق به، ومن آيات الإمكان قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾^(٢). ومن آيات الوقوع: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾^{(٣)(٤)}.

نظريّة النبوة:

تقدّم أنّ أصول الإسلام ثلاثة: (التوحيد، والنبوة، والبعث)، وإذا كانت النبوة أصلاً لعقيدة الإسلام فإنّها فرع عن الإيمان بالله، ومن الناس من يؤمن به تعالى، وينكر النبوة من الأساس، ومنهم من يؤمن به وبها، ويجحد بنبوّة محمد ﷺ.

(١) الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمرو بن مخزوم. أبو عبد شمس. وهو والد خالد بن الوليد وهو من المستهزئين برسول الله ﷺ. وُلِدَ سَنَةَ ٩٥ ق.هـ. وَهَلَكَ سَنَةَ ١ هـ.

أنظر، ترجمته: الإعلام للزركلي: ١٢٢/٨، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٤٨/٢، السحير: ١٦٦ و ١٧٤ و ٢٣٧ قَالَ: مِنْ زَنَادِقَةِ قُرَيْشٍ، تَعَلَّمَ الزُّنْدَقَةَ مِنْ نَصَارَى الْجِسْرِ. تأريخ اليعقوبي: ٢٤/٢، البداية والنهاية: ٤١٠/٢.

(٢) الرُّوم: ٢٧.

(٣) الحج: ٧.

(٤) أنظر، فصل فلسفة الآخرة وجمال الدين الأفغاني، من هذا الكتاب، وكتابتنا الآخرة والعقل.

وعلى آية حال فإن النبوة سفارة بين الخالق والخلق لهدايتهم إلى الحق، ومعنى هذا أن النبي لسان الله وبيانه، ويومئ إلى ذلك قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾^(١). ولا ينال الإنسان هذا المنصب الأعلى إلا أن يكون على خلق عظيم كمحمد ﷺ: ﴿اللَّهُ أَغْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾^(٢). وأظهر صفات النبي وأهمتها على الإطلاق قوة الإرادة والبعد عن الميول الشخصية والتفاني في إحقاق الحق حتى ولو عارضه الوجود كله بمن فيه وما فيه تماماً كما قال الإمام زين العابدين عليه السلام في وصف جده سيد الكونين ﷺ:

«اللَّهُمَّ فَصَلْ عَلَيَّ مُحَمَّدَ أَمِينِكَ عَلَيَّ وَحَيْكَ، وَنَجِييَكَ مِنْ خَلْقِكَ، وَصَفِيكَ مِنْ عِبَادِكَ، إِمَامَ الرَّحْمَةِ، وَقَائِدَ الْخَيْرِ، وَمِفْتَاحَ الْبَرَكَةِ، كَمَا نَصَبَ لِأَمْرِكَ نَفْسَهُ، وَعَرَّضَ فِيكَ لِلْمَكْرُوهِ بَدَنَهُ، وَكَاشَفَ فِي الدُّعَاءِ إِلَيْكَ حَامَتَهُ، وَحَارَبَ فِي رِضَاكَ أَسْرَتَهُ، -الخطاب مع الله سبحانه وقطع في إحياء دينك رحمة، وأقصى الأذنين على جحودهم، وقرب الأقصين على استجابتهم لك، ووالى فيك الأبعدين، وعادى فيك الأقربين»^(٣). وقال الإمام علي عليه السلام: «إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَإِنْ بَعَدَتْ لِحْمَتُهُ - أي نسبه - وَإِنْ عَدُوٌّ مُحَمَّدٍ مَنْ عَصَى اللَّهَ وَإِنْ قَرِبَتْ قَرَابَتُهُ»^(٤).

وقول لولده الإمام الباقر عليه السلام: «وَاللَّهُ مَا شِيعْتَنَا إِلَّا مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ»^(٥). والكل

(١) النساء: ٨٠.

(٢) الأنعام: ١٢٤.

(٣) أنظر، الصحيفة السجادية: الدعاء الثاني الصلاة على محمد وآله.

(٤) أنظر، نهج البلاغة: ٢٢/٤، الحكمة (٩٦)، شرح نهج البلاغة: ٢٥٢/١٨.

(٥) أنظر، الكافي: ٧٣/٢، شرح الأخبار: ٥٠١/٣، بحار الأنوار: ٩٥/٦٧، وسائل الشريعة:

وحي من وحي الله الذي قال: «الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ»^(١). وقال تعالى: «إِنْ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ اتَّقَيْتُمْ»^(٢).

أبداً لا صديق وحبیب ولا ولي وقريب عند من آمن بالله حقاً وصدقاً إلا من قربته طاعة الله، ولا بعيد إلا من أبعدته معصية الله. فهل يتعظ ويعتبر من ينتسب إلى دين الله، ويتحدث بأسمه، ويتسم بسمته؟

النبوة ضرورة إنسانية:

هل تدعو الضرورة الحياتية والإنسانية إلى وجوب النبوة؟

الجواب: أجل، ولولاها لا يكون لله على الناس الحجة، لأنه تعالى يحتاج عليهم بما آتاهم، وبهذا نطق القرآن الكريم بقوله تعالى: «وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ»^(٣). وقال سبحانه وتعالى: «رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ»^(٤). وقال سبحانه وتعالى: «قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْنُشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا»^(٥).

وتكلم الأوائل والأواخر من الفلاسفة وعلماء التوحيد حول البعثة وقالوا وأطالوا: تجب لإشتمالها على الرفق واللطف. وأقديت بهم فيما كتبت من قبل ونشرت، ثم أنتبهت وتحررت من ربة التقليد، وتساءلت: لماذا البحث عن دليل على وجوب البعثة، وهي بنفسها تحمل هذا الدليل تماماً كالحق والعدل؟. أليس

(١) الزخرف: ٦٧.

(٢) الحجرات: ١٣.

(٣) فاطر: ٢٤.

(٤) النساء: ١٦٥.

(٥) الإسراء: ٩٥.

القصد من البعثة التعليم والإرشاد إلى النهج القويم؟. وأي عاقل يشك ويتساءل: هل طلب العلم فرض وواجب؟.

ولنفترض - جدلاً - أن كلمة البعثة لا تحمل في مفهومها الدليل الكافي على وجوبها، فإن سيرة الأنبياء دليل قاطع على هذا الوجوب، لقد حرّروا الإنسانية من الجاهلية الجهلاء، وأخرجوها من الظلمات إلى النور، ولولا وجودهم وجهادهم لكان الإنسان والحيوان بمنزلة سواء.

وقد سخر السفهاء من دعوة مُحَمَّد ﷺ وأستهزأوا به وبها، وقالوا: «يَتَأْتِيهَا أَلَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ»^(١). فماذا كانت النتيجة؟.

كانت النتيجة أن يقترن اسم مُحَمَّد بأسم الله، وأن يبقى ببقائه، وأن يمتد سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها، وأن يحطم المسلمون تيجان الأكاسرة والجبابرة، ويغزوا القياصرة في عقر دارهم، ويدخل الملايين في دين الله أفواجاً عن إيمان وإيقان، وأن تنتشر العلوم والفلسفات والفنون بشتى أنواعها حتى أجمع كثير من مفكري الغرب أن حضارة العصر الزاهن هي عصير الحضارة الإسلامية... وصدق الله العلي العظيم: «إِنَّ هُوَ إِلَّا نِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ وَلِتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ»^(٢).

(١) الحجر: ٦.

(٢) سورة ص: ٨٧-٨٨.

قَامُوسٌ لِبَعْضِ الْمُصْطَلِحَاتِ الْفَلْسَفِيَّةِ

مَدِينَةُ الْحَيَاةِ

وَيَعُد:

فهذا هو القسم الثاني من الكتاب، ويحتوي على المصطلحات الفلسفية الأكثر شيوعاً وأستعمالاً، وقد اخترتها وجمعتها من المعجم الفلسفي لجميل صليبا وكتاب آخر بهذا الاسم، أشترك في جمعه ووضع مراد وهبة ويوسف كرم ويوسف شلالة، ومن الموسوعة الفلسفية المختصرة الإنجليزية ترجمة فؤاد كامل وجلال العشري وعبد الرشيد الصادق، ومن بعض كتب الفلسفة القديمة والحديثة.

ورتبّت الكلمات على نسق الحروف الأبجدية في اللغة العربية، وليس لي فيها إلا الإختيار والتوضيح والأمانة في النقل والإخلاص في القصد، فإن وجد القارئ خطأ في الرواية فهو من غفلتي أو من المروي عنه أو من المطبعة، وجلّ من لا يخطيء، ولكن القارئ - في الغالب - لا يغفر للمؤلف، وينسى ما يكابد من صعوبات.

وأخيراً، قد يظن أن النقل والرواية أخف حملاً من الإنشاء والإجتهاد في الرأي. وهذا حق من وجه واحد، ولكن الخطأ والإشتباه في وجهة النظر والدراسة أخف وأهون بكثير من الخطأ في النقل والرواية لأنه لا يخلو من أحد قرّضين: إما التحريف والتزييف، وإما الجهل مع الغرور والتطفل، وكلاهما نقص وضلال كبير وخطير.

ونعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل. وبه نستعين.

(١)

الابستمولوجيا :

هذه الكلمة مُرادفة لنظرية المعرفة في اللغة الإنجليزية، ومعظم الفلاسفة الفرنسيين يُطلقونها على فلسفة العلوم وتاريخها الفلسفي .

الابيقورية :

نسبة إلى الفيلسوف اليوناني أبيقور (٣٤٢ - ٢٧٠ ق م) والابيقورية مذهب هذا الفيلسوف تقوم على طلب المتع العقلية واللذة الروحية حيث لا سبيل للخلاص من الآلام إلا بالسكينة والطمأنينة، ولا طريق إليها إلا بالانصراف إلى التفكير والتأمل من أجل الوصول إلى معرفة الحقيقة، وكثير الكلام حول أبيقور ومذهبه، وقيل: أنه رجل الهوى والشهوات. وكثير من الفلاسفة يُنزهونه عن ذلك، ويُفسرون مذهبهم بما ذكرنا.

الاتنولوجيا :

علم اجتماعي يفسر الظواهر من أحوال الشعوب، ويدرس أنماط حياتها المادية والروحية.

الارستقراطية :

كلمة يونانية وهي ضد الديمقراطية، لأنها حكومة طبقة معينة ومحدودة، تستولي على السلطة عن طريق الوراثة ونحوها.

الاستبطان :

يُطلق على معانٍ دراسة الصفات النفسية بالتجربة والاختبار، ومنها عملية التذكر للماضي القريب والبعيد.

الاستقراء :

وهو في اللغة: تتبع الأمور لمعرفة أحوالها وخواصها، وفي الإصطلاح: الحكم على الكلّي بما تحقق في أفرادهِ وجزئياته، فإن علم التتبع والفحص جميع الأفراد والجزئيات كان الاستقراء تاماً، وإن وقف عند عدد محدود من الأفراد والجزئيات كان الاستقراء ناقصاً.

الاستنباط :

استخراج المعنى من النص أو النتيجة من مقدماتها بعد الفرض أنها صحيحة.

الاسطقس :

لفظ يوناني، يُرادف كلمة العنصر والأصل، وجمعه استطقسات، وهي عند قدماء الفلاسفة العناصر الأربعة: (النار، والماء، والتراب، والهواء).

الاشراق :

هو في إصطلاح الفلاسفة ظهور الأنوار العقلية وفضلانها على النفس الكاملة بعد تحررها من المواد الجسيمة. (أنظر فصل حول فلسفة الإشراق).

الإضافة :

هي المقولة الرابعة من مقولات أرسطو العشر، وعرفوها بنسبة شيء إلى آخر تستدعي نسبة هذا الآخر إلى ذلك الشيء كالأبوة والبنوة، فإن نسبة الإبن إلى

الأب معناها نسبة الأب إلى الابن .

الإقتصاد:

مأخوذ من القصد، ومعنى القصد: الإستقامة على الطريق، وعلم الإقتصاد السياسي يبحث في إنتاج الثروة وتوزيعها وأستهلاكها، وتُطلق الثروة على كل ما له قيمة في التبادل .

الاقنوم:

هو الأصل والشخص والجوهر، وعند قدماء الفلاسفة هو الحقيقة الوجودية، والأقنوم الثلاثة عند المسيحيين: (الأب، والابن، وروح القدس) .

أكاديمية:

هي مدرسة أسسها أفلاطون تطل على بستان أكاديموس، وهو بطل قديم فنُسبت إليه المدرسة .

الامبريالية:

أخذت هذه الكلمة من كلمة أمبراطور، وتُستعمل الآن في أعلى مراحل الإحتكار والإستعمار الجديد الذي يضغط على الشعوب المُستضعفة سياسياً، ويحاصرها إقتصادياً، ويؤلب عليها الأتباع والأذئاب بالإنقلابات الرجعية وإيقاظ الفتن والقلاقل وما إلى ذلك حتى تستسلم بكل ما تملك من أقوات ومقدرات لإرادة المحتكرين والمستغلين .

الانتخاب:

هو عند دروين قانون طبيعي، يعني تنازع البقاء، وبقاء الأقوى .

الانحلال :

تطور مقلوب من الصحيح إلى الفاسد، ومن التمام والكمال إلى النقص والانحلال .

الانطولوجيا :

تعني هذه الكلمة الأمور العامة التي تشمل جميع الموجودات : (الواجب ، والممكن ، والجوهر ، والعرض) . هذا ما جاء في كتاب المعجم الفلسفي لمُراد وهبة وصاحبيه نقلاً من تعريفات الجرجاني .

الاعنية :

إصطلاح فلسفي قديم ، معناه تحقق الوجود العيني .

الأوليات :

هي الأشياء الضرورية اليقينية ، وتُسمى البديهيات والمبادئ الأولية .

الايديولوجية :

جاء في الموسوعة الفلسفية السوفياتية أن هذه الكلمة تعني نسقاً من الأفكار والآراء السياسية ، والقانونية ، والأخلاقية ، والجمالية ، والدينية ، والفلسفية .

ايروس :

هو إله الحب عند اليونانيين ، ثم توسعوا في معناه ، وأطلقوا على كل هوى وأمنية .

ايس :

في القواميس العربية آيس من الشيء بمعنى يئس منه وقنط ، وأستعمل الفلاسفة كلمة آيس في الوجود والموجود ضدّ ليس .

ايساغوجي :

كَلِمَةٌ يُونَانِيَّةٌ ، مَعْنَاهَا الْمَدْخَلُ أَوْ الْمُقَدِّمَةُ ، وَهِيَ أَسْمُ كِتَابٍ ، يَحْتَوِي عَلَى الْكَلِمَاتِ الْخَمْسِ الَّتِي تَبْحَثُ فِي عِلْمِ الْمَنْطِقِ ، وَهِيَ :

(١) الْجِنْسُ وَيَشْمَلُ أَنْوَاعاً مُخْتَلِفَةً كَالْحَيَوَانَ يَعْمُ الْإِنْسَانَ وَالْفَرَسَ .

(٢) النَّوْعُ كَالْإِنْسَانَ يَصْدُقُ عَلَى الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ .

(٣) الْفَصْلُ كَالنَّاطِقِ يُمَيِّزُ الْإِنْسَانَ عَنِ النَّاهِقِ ، وَالصَّاهِلِ .

(٤) الْخَاصَّةُ كَالضَّاحِكِ .

(٥) الْعَرَضُ كَالنَّائِمِ .

ايكولوجيا :

كَلِمَةٌ يُونَانِيَّةٌ الْأَصْلُ ، وَأُطْلِقَتْ عَلَى الْعِلْمِ الْحَيَوَانِيِّ وَالنَّبَاتِيِّ ، وَهُوَ فَرْعٌ مِنْ

عِلْمِ الْحَيَاةِ الَّذِي يَبْحَثُ فِي الْعِلَاقَةِ بَيْنَ الْبَيْئَةِ وَالْكَائِنَاتِ الْحَيَّةِ .

(ب)

بابوفية :

حركة ثورة فرنسية قامت في القرن الثامن عشر، وأتخذت أسمها من زعيمها غراشوش بابوف .

البراغماتية :

أنظر فصل البراغماتية من هذا الكتاب .

البرجوازية :

طبقة متوسطة بين النبلاء وأبناء الشعب العاديين ، ويتميز أفرادها بثقافتهم ودخلهم وممارستهم لأحدى المهن الحرة، أما في اصطلاح الماركسيين فالبرجوازيون هم الذين يمثلون النظام الرأسمالي . (المعجم الفلسفي لجميل صليبا) .

البرهان :

لا يطلق القديماء لفظ برهان إلا على الإستنتاج العقلي الذي تلزم فيه النتيجة عن المبادئ اضطراباً، أما المحدثون فيطلقون هذا اللفظ على الحجّة العقلية والتجريبية معاً . (صليبا) .

البعد :

وجمعه أبعاد، والأبعاد الثلاثة هي : (الطول، والعرض، والعمق) . وأضاف إليها آينشتين بُعداً رابعاً وهو الزمان . (أنظر فصل نافذة على النظرية النسبية) .

البنيّة :

بكسر الباء وسكون النون وفتح الياء، وهي عند الفلاسفة ترتيب الأجزاء المختلفة التي يتألف منها الشيء .

البيرونية :

نسبة إلى الفيلسوف اليوناني (بيرون الأيلي)، ويذهب هذا الفيلسوف إلى أنّ الحقيقة لا يستطيع أحد إدراكها والعلم بها، وعليه فمن الأفضل التوقف عن الحكم على أي شيء من الأشياء .

(ت)

التالي :

للقضية الشرطية جزءان المُقدّم ويقابله التالي ، ومثاله : «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»^(١) . فيعمل المُقدم ، ويَره التالي .

التاليه :

منهُ ديني ، ومنهُ طبيعي ، والأوّل يُؤمن بالله والوحي ، والثاني يُؤمن بالله دون الوحي .

التاوية :

فلسفة أو عقيدة صينية تُعارض التسلط والقهر ، وتدعو أن يعيش الناس على الطبيعة تماماً كما كان الإنسان البدائي .

التجريد :

من أخصّ خصائص التجريد أن يَبْحَث الشيء من حيث هو وبصورة عامّة دون النظر إلى جوانبه وصفاته الخاصّة ، فإذا أستخرجت النتيجة من دليل مُسلم به تكون النتيجة صحيحة ومُسلماً بها أيضاً سواء أمكن تطبيقها أم تُعذر ذلك - مثلاً - إذا بَحَثنا : هل المادّة صُلْبَة وساكنة كما تبدو للعيان أو هي ذرّات مُتحرّكة ؟ جرى البَحْث فيها بغض النظر عن كونها حيّة أو غير حيّة ، وإذا بَحَثنا اللّون وصلته

(١) الزلزلة : ٧-٨ .

بالبصر جرى البحث فيه بصرف النظر عن كونه أبيض أو أسود.
وبكلمة التجريد مُقابل للتشخيص الحسي في الخارج.

التحول:

نظرية علمية تقول: الأشياء في تطور مستمر بخاصة الأنواع الحيّة.

التصوف:

طريقة سلوكية، قوامها التقشف والتخلي عن الرذائل والتحلي بالفضائل.

التضاييف:

أن يتوقف تصور أحد الشئيين على تصور الآخر كالقوقية والتحية والأبوة والبنوة.

التعمية:

مذهب سياسي يعارض نشر المعرفة والثقافة في جميع فئات الشعب لما قد ينشأ عنها من وعي يضر بالسياسة المستقرة، ويقابل التعمية حركة التنوير.

التكنوقراطية:

اتجاه ظهر حديثاً في الولايات المتحدة وبعض البلاد الأوربية ومُؤداه أن
الرأسمالية والإحتكارات الصناعيّة لا عيب فيها، وإنما العيب في إدارة الدولة
ورجالها السياسيّين، تماماً كما نقول نحن: ليس الذنب ذنب الإسلام، وإنما
الذنب ذنب المسلمين.

التكنولوجيا:

هذه الكلمة العلميّة والفلسفيّة الصق الكلمات بالحياة، وأكثرها استعمالاً

بحكم معناها الشامل، وقد راجعت في تفسيرها العديد من المصادر فما وجدت فيها بلغة الكفاف إلا ما جاء في مقال علمي للدكتور فؤاد صروف بعنوان التقدم العلمي الحديث، ويتلخص ما قال:

بأية كلمة نُعبّر عن دراسات الإنماء والتكامل بكل ما تنطوي عليه من البحوث العلمية في الصناعة والزراعة والنقل وغير ذلك مما يدل على مستوى حضاري يفرق بين المتقدم والمتخلف من الشعوب؟. الجواب عن ذلك بكلمة تكنولوجي أو تكنولوجيا.

وأيضاً قال صروف: جاء في مجلة ترقية العلم التي يصدرها المجمع البريطاني لترقية العلوم، مقال مستفيض في التفاعل العمراني، قال كاتبه من جملة ما قال: أن لفظ تكنولوجي يعني علم الصناعة بشئ أنواعها إذا أطلقت، أما إذا أضيفت وقلت: تكنولوجيا الزجاج أو تكنولوجيا النفط أو تكنولوجيا الفضاء أو تكنولوجيا الطاقة، فالأول يعني علوم صناعة الزجاج على اختلافها، والثاني علوم صناعة النفط، والثالث علوم الصناعة الفضائية، والرابع يدخل في نطاقه كل ما يمت إلى توليد الطاقة بسبب. وعلى هذا الغرار سائر العلوم.

التلانيا:

هي ظاهرة نفسية، تقوم على الاتصال بين نفس ونفس على ما بينهما من البعد بحيث يفهم كل منهما مراد الآخر مباشرة وبلا واسطة. وقد أنكر ذلك جميع العلماء.

التيوقراطية:

هذه الكلمة يونانية، وتعني الدولة الدينية.

« نرى اليوم في الولايات المتحدة إجلالاً للمحكمة العليا يضاها ما كانت تنظر به أوروبا للبابوات في القرون الوسطى، وكل من درس الدستور الأمريكي يعرف تماماً أن المحكمة العليا ليست إلا جزءاً من القوى المنشغلة في حماية الفئة الحاكمة»^(١).

ومن المعلوم للقاصي والداني أن الفئة الحاكمة هناك منشغلة في حماية الشركات الاحتكارية، والجدير أن هذه الشركات هي السلطة القضائية والسلطة التنفيذية في الولايات المتحدة!.

(١) أنظر، كتاب السلطان لرسل ترجمة خيرى حماد: ٨٣.

(ث)

الثقافة :

وهي في اللغة : الحذاقة ، وبالمعنى الذي نفهمه الآن أن يتعدى العالم حدود اختصاصه بعلم من العلوم إلى الإطلاع والإلمام بالتراث وما يمكن العلم به من جديد مفيد ، بخاصة الأفكار والتيارات السائدة في عصره على أن ينظر إليها وإلى الحياة والمجتمع نظرة صحيحة تأييداً أو تنفيذاً .
أما العالم الذي يقف عند مهنته ، ويجمد على دروسه فهو تماماً كالأعرج يسير على قدم واحدة .

الثلاثي :

وهو عند (هيجل) التطور على ثلاث مراحل :
القضية ، ونقيض القضية ، والمركب^(١) .

الثنوية :

أو الإثنينية هي فرقة تُدين بالهين : إله الخير وإله الشر ، لأن في العالم خيراً وشرّاً ونوراً وظلمة ، ومن يخلق الخير والنور لا يخلق الشر والظلمة ، وكذلك من يخلق الظلمة والشر لا يخلق النور والخير . وكان المسلمون الأوائل يُشيرون إلى من يرى هذا الرأي بكلمة زنديق .
وأبطلنا هذه الشبهة في كتابنا فلسفة التوحيد والولاية فصل الخير والشر .

(١) أنظر ، فصل المادّية الجدليّة .

(ج)

الجاذبية:

وهي ما في الأجسام من قوّة الجذب كما في المغناطيس ، وقد أكتشفها (نيوتن ١٦٤٣ - ١٧٧٢) وهو عالم طبيعي إنجليزي ، ولاكتشاف هذه النظرية تأثير كبير في عالم الصناعة .

الجبر:

هو علم من العلوم الرياضيّة ، والفرق بينه وبين علم الحساب أن هذا العلم يُعبّر عنه بالأرقام المعلومة ، أما علم الجبر فيُعبّر عنه بالحروف التي لا يعرفها إلا أهل الاختصاص .

الجبرية:

هي المذهب القائل بأن الإنسان مُسيّر لا مُخيّر .

الجدل:

هو في الأصل فن الحوار والمناقشة ، وعند (سقراط) تَفنيد رأي الخصم بإستدراجه بإلقاء الأسئلة عليه إلى أن يُجيب بعبارة تناقض قوله ، فيستسلم مُرغماً .

والجدل عند المنطقيين القدامى قياس مؤلف من مقدمات يلزم من القول بها التصديق بقول آخر .

والتطور الجدلي عند (هيجل) فكري بحث ، وعند (ماركس) مادّي صرف .

الجسطلت :

لفظ ألماني معناه الشكل أو الصورة، ومعنى الصورة هنا الصورة الخارجية من جهة، والبنية الباطنية والتنظيم الداخلي من جهة ثانية (صليبا).

الجوهر :

قال قدماء الفلاسفة: ينقسم الموجود - ما عدًا واجب الوجود - إلى جوهر وهو القائم بذاته، ولا يفتقر وجوده إلى موضوع كالإنسان والحجر، وإلى عرض وهو ما يفتقر وجوده إلى موضوع كالسواد والحركة.

أما فلاسفة العصر الراهن فيُنكرون هذا التقسيم، ويقولون: لا أحد يعرف حقيقة المادة، وغاية ما يمكن العلم بها أنها عبارة عن ذرات تسبح في فلكها بسرعة (٢٩٠) ألف كيلومتر في الثانية، وأنها تتغير وتتحول إلى عكسها، وعليه فلا ندري ماذا تكون عليه المادة في المستقبل بدقة تامة، «فالعالم الطبيعي كما يراه العلم المعاصر ليس مُحدّد المسار على سبيل القطع الذي لا يحيد قيد شعرة عما رُسم له، كما كان يظن من قبل».

(ح)

الحتمية :

هي المبدأ القائل بخضوع الأشياء لمبدأ العلية وللقوانين الضرورية، وبهذه الحتمية يتنبأ الطبيب بما سيحدث من الأمراض عن طريق العلم بأسبابها.. وأيضاً بهذه الحتمية توضع القوانين العلمية القائمة على الإستقراء، ولولاها لإسند باب العلوم.

وفي الموسوعة الفلسفية السوفياتية ما نصّه بالحرف الواحد :

« وقد ظهرت الأفكار الحتمية في الفلسفة القديمة، وكان أكثر الذين سلّموا بها الذريون القدماء. وجرت البرهنة على مفهوم الحتمية على يد العلم الطبيعي والفلسفة المادية عند (بيكون، وغاليلو، وديكارت، ونيوتن، ولومونوسوف، ولابلاس، وسبنوزا) والفلاسفة الماديين الفرنسيين في القرن الثامن عشر... فقد اعتقد هؤلاء المفكرون أن أشكال السببية مطلقة، ووجدوا بين السببية والضرورة، وأنكروا الطبيعة الموضوعية للصدفة».

وما دام الشيوعيون وغيرهم من الماديين، يُنكرون الصدفة ويؤمنون بمبدأ العلية في كل شيء من الذرة الصغيرة إلى المجرات الكبيرة - فلماذا يُنكرون علّة الكون العجيب ويقولون: وجد من باب الصدفة؟. أن الاعتقاد بمبدأ العلية يلزم الجاحد حتماً بإنكار مبدأ العلية وإلّا ناقض نفسه بنفسه، وخالف فطرته وعقله هو بالذات لا عقل سواه من حيث لا يُحسن ويشعر!

ويمكن الجواب عن هذا الإشكال بأن الماديين أترفوا بمبدأ العلية حيث

نظروا إليه من رؤوسهم، وأنكروا علّة الكون حيث فكروا بأقدامهم التي وطّوا بها المادة، وإذا اختلفت الحيثية زال التناقض!

الحس المشترك :

وسمي بالمُشترك حيث يشترك فيه الكبير والصغير والجاهل والعالم، بل الإنسان والحيوان في كثير من المحسوسات، ومنه ما تكون على يقين من وجوده بالحس الظاهر كالطعم واللون والريح، ومنه ما يدرك بالحس الباطن كالجوع والشبع واللذة والألم.

وهذا الحس لا يتوقف وجوده على حس آخر، لأنه الأصل والأساس، وأيضاً لا يتطور بالإستعمال والتكرار، على العكس من العقل الذي ينمو ويتقدم بالدرس والرؤية والممارسة.

حلم اليقظة :

وهو هذيان المخيلة المريضة حيث ينفصل الإنسان عن نفسه وواقعه وعن العالم بكامله، ويرتقي إلى عالم الوهم يبني فيه الدور والقصور، ويستوي على عرش الأمر والنهي وهو في النقيض والحضيض.

وما أكثر هذا النوع في كل زمان ومكان، وأيام دراستي في النجف الأشرف رأيتُ بعض أفراده، فكن المُستشفى هو من العجب والغرور والزلل والثور.

حيوية المادة :

تُشير هذه الكلمة إلى المذهب القائل بأنّ المادة حيّة، وأنها تملك العقل والإحساس، وكان على هذا المذهب الماديون اليونانيون الأوّل وبعض الماديين الفرنسيين (الموسوعة الفلسفية السوفياتية).

(خ)

الخاصة :

وصف خارج عن ماهية الموصوف ، ولكن يختص بها دون غيرها ، ومن هنا سمي بالخاصة ، وأيضاً لا يمكن إستقلاله بنفسه ، ولذا كان عرضاً لا ذاتاً . وقد يكون مُلزاماً لكل أفراد النوع كالضحك وقد يكون مُلزاماً لبعض أفرادهِ دون بعض مثل الكرم والحدة .

الخلأء :

وهو عند الفلاسفة خلو المكان من مادة جسمية تشغله ، وبعضهم قال بجواز هذا الخلاء ، أما المحققون فقالوا بالإمتلاء ، وإستحالة الخلاء .

الخلية :

وهي العنصر الذي تُبنى منه أعضاء وأنسجة الكائنات الحية .

(٥)

الدّور :

وهو تَوَقُّفٌ وَجُودٌ أَحَدُ الشَّيْثِينَ عَلَيَّ وَجُودُ الْآخِرِ ، وَمِثَالُهُ قَوْلُ الشَّاعِرِ (١) :
مَسْأَلَةُ الدَّورِ جَرَّتْ بَيْنِي وَبَيْنَ مَنْ أَحَبُّ
لَوْلَا مَشِيْبِي مَا جَفَا لَوْلَا جَفَاهُ لَمْ أَشِبْ
فَكُلٌّ مِنْ وَجُودِ شَيْبِ الشَّاعِرِ وَجَفَاءِ الْحَبِيبِ مَتَوَقِّفٌ عَلَيَّ وَجُودُ الْآخِرِ ، وَهَذَا
هُوَ الدَّورُ الْمَحَالُ .

الديمقراطية :

كَلِمَةٌ يُونَانِيَّةٌ ، وَمَعْنَاهَا سِيَادَةُ الشَّعْبِ بِإِزَادَةِ الشَّعْبِ لِمَصَالِحِ الشَّعْبِ بِلَا تَمَيُّيزِ
بَيْنِ فَنَاتِهِ وَأَفْرَادِهِ . وَتَقَابُلُهَا الْإِسْتِقْرَاطِيَّةُ .

الديناميكا :

قِسْمٌ مِنْ عِلْمِ الْمِيكَانِيكََا ، يَبْحَثُ فِي الْحَرَكَاتِ الْمَادِيَّةِ مِنْ جِهَةِ عِلَاقَتِهَا
بِالْقُوَى الَّتِي تَحْدِثُهَا (صَلِيْبِيَا) .

(١) أَنْظِرْ ، تَاجُ الْقُرُوسِ لِلزَّيْدِيِّ : ١٣٢/٢ ، الْحِكْمَةُ الْمُتَعَالِيَّةُ فِي الْأَسْفَارِ الْعَقْلِيَّةِ الْأَرْبَعَةِ ، لَصَدْرِ الدِّينِ
مُحَمَّدِ الشَّيرَازِيِّ : هَامِش (٣٩) .

(ذ)

الذرة:

هي أصغر جزيئات العنصر الكيميائي، وهي نسق مُعقد يتألف من نواة مركزيّة ثقليّة ذات موجبة مُحاطة بإطار من جزيئات خفيفة ذات سُحنة سالبة، تتحرك في مدارات حَول النواة، وتُعرف بالإلكترونات والنواة الذرية مُعقدة في بنيتها (الموسوعة الفلسفيّة السوفياتيّة).

الذكاء:

قالوا: الناس تتفاوت في الذكاء كما وكيفاً. ومثال الفهم في الكم أن يستوعب دروسه بإتقان، ويُحسن فن الحوار والنقاش والكتابة والخطابة، ولكنه لا يهتدي إلى العيش سبيلاً. ومثال الفهم في الكيف أن يعنى عن الدرس كجدي الأخفش، أما بسبل العيش فهو الأستاذ الأعلّم والأقدر.

الذوق:

ذكر أصحاب معاجم الفلسفة الذوق، وقال بعضهم: هو قوّة إدراكيّة للطائف الكلام ومحاسنه، وقال آخر: هو المقدرة على فهم الجميل والقيبح، وقال الثالث: أنه القوّة الحاكمة على القيم الجمالية.

وعلى أيّة حال فإنّ الذوق السليم غير العقل والعاطفة، لأنّ العقل يتطلع إلى الحقيقة، ومن جلّها يُحقق ويُحلل ويُنقب، والعاطفة تُؤثر المنفعة الخاصّة، أمّا الذوق السليم فبينه وبين الحسن والجمال رابطة وثيقة وتفاعل وتجادب طبيعي وفطري، لا يحتاج إلى درس وبحث وإمعان وتفكير.

(د)

رأس المال :

هو مال ينتج مالا أرضاً كان أو شجراً متجراً أو بناءً أو مصنعاً أو نقوداً
والرأسمالية تقوم على الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج .

الرواقية :

مدرسة فلسفية تُنسب إلى الفيلسوف اليوناني زينون (حوالي ٤٩٠ - ٤٣٠ ق م)
وكان يُعلم تلاميذه في رواق وهو سقف في مُقدّم البيت .
ومن تعاليم الرواقية أن الحكيم لا يحزن على ما فات ، ولا يفرح بما هو آت ،
وأن السعادة هي الفضلية .

الرومانسية :

أتجاه في الأدب يتميز بالتحدي للمنطق ، وتطعيم الحدس والحريّة والتلقائية ،
ويتعلق بفكرة الحياة والأنهاية .

(صليبيا) .

الرياضيات :

علوم موضوعها الحساب والجبر والهندسة ونحوها .

(ز)

الزرادشتية :

دين فارسي قديم، يُنسب إلى زرداشت، والشيء الرئيسي فيه عقيدة الصراع بين إله الخير «مازادو» وإله الشر «أهرمان».

الزمان :

أختلف الفلاسفة : هل الزمان والمكان حقيقتان أو أنهما لا يُوجدان إلا في ذهن الإنسان؟ (أنظر فصل نافذة على النظرية النسبية).

الزماني :

هو الموجود في الزمان، وهو مُضاد للأبدي، لأن الزماني يدل على التغيير، والأبدي يدل على الثبات.

(س)

السبب:

ويُطلق عادة على كلِّ ما له تأثير بجهة من الجهات، والسبب التام مُرادف للعلّة التي يلزم من وجودها الوجود ومن عدمها العدم، والسبب الناقص يلزم من عدمه عدم المُسبب، ولا يلزم من وجوده الوجود.

السريالية:

تُستعمل هذه الكلمة في الأدب اللامعقول والأخلاق « ومُعظم أنصار هذا الأدب يمدحون التناقض والجنون، ويعوضون على الأشعور لإستخراج كنوزه، ويتفننون في وصف الرغبات الجامحة والأحلام العجيبة » (صليبا نقلاً عن كتاب أندره بريتون).

السلوكية:

قال الدكتور صليبا في المُعجم الفلسفي: « السلوكية طريقة علمية ومذهب فلسفي معاً، فهي علمية لأنها تطبق المنهج التجريبي، وهي مذهب فلسفي لأنها تُرد العمليات الذهنية إلى أسباب مادية ». وبكلمة أن السلوكية تُبطل كل ما هو داخلي، ولا تأخذ إلا بالمحسوس الملموس.

سيبرنتيكا:

أطلق المتأخرون هذا اللفظ على مجموع النظريات والدراسات المتعلقة بعمليات الإتصال بين أجزاء الكائن الحي أو أجزاء الآلة. وأيضاً أطلقوه على

الأعمال التقنية التي يتم بها إنشاء آلات ذاتية الحركة .

(صليبا).

السيكولوجيا :

هي علم النفس البشرية .

(ش)

الشخصانية :

وتعني الشخصانية أن الفرد هو القيمة المطلقة والأسمى والعنصر الروحي للوجود، وأن مصلحته فوق مصلحة الجماعة علماً بأنها تتألف من الأفراد.

الشك :

وهو على قسمين : الأول الشك المذهبي ، ويُسمى أنصاره الشكاك واللاأدريين ، ويوجبون الإمساك عن كل حكم سلباً وإيجاباً ، لأن كل قضية تقبل التّديل عليها للسلب والإيجاب بقوة متساوية كما يزعمون .

الشك الثاني المنهجي أو العلمي ، وهو أن يتجرد صاحبه من معلوماته برغبته وإرادته ، ويشك فيها حتى كأنه لا يعلم شيئاً ، ويتخذ من شكّه هذا وسيلة إلى البحث والدراسة العلميّة حتى يصل إلى المعرفة الصادقة وعلم اليقين .
وبكلمة أن الشك المذهبي غاية في نفسه ، والشك المنهجي وسيلة إلى العلم .

الشتوية :

وهي ديانة يابانية ، والعنصر الرئيسي فيها عبادة الأرواح المتعددة التي تتجسد في الحيوانات والنباتات وغيرها من ظواهر الطبيعة ، ومن دين الشتوية أن العلاقة بين الآلهة والناس تحدث عن طريق الإمبراطور الذي يُسمونه ميكادو .
(الموسوعة الفلسفية السوفياتية) .

(ص)

الضراع من أجل البقاء :

وهو القانون « الغريب » القائل بتنازع البقاء بين الأحياء وبقاء « الأقدر الأقدر » لا الأفضل الأكمل !.

الصورة :

ولها معان شتى ، وهي عند الفلاسفة جسمية ونوعية والتوعية تمام حقيقة الشيء وماهيته ، ومن أقوالهم : صورة الشيء هي ماهيته التي بها هو ما هو . ولنا أن نعطف عليه : الهولوى هي البدن ، والصورة هي الروح ، وفي ذاكرتي قول فيلسوف قديم : الهولوى لفظ ، والصورة معناه . وقال الملا صدراً في الأسفار : « الصورة ما يكون به الشيء هو بالفعل » .

الضورية :

مذهب فلسفي يرمي إلى إنكار الناحية المادية وتأثيرها في المعرفة ، ولا يعتد إلا بالصور الذهنية .

الضيرورة :

انتقال الشيء من حالة إلى أخرى ، وهو عند (هيجل) من صميم الوجود ، والسبب الأول لتطوره . (أنظر فصل المادية الجدلية) .

(ض)

الضدّ:

الضدّ صفةٌ وجوديّة، يمتنع وجوده مع وجود ضده الممانع له كالنور والظلمة، ولا يمتنع ارتفاعهما معاً إذا كان لهما ثالث كالألوان، فقد يكون الشيء لا أسود ولا أبيض، بل أحمر أو أصفر، وهذا هو الفرق بين الضدين والتقيضين، لأنّ التقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان إطلاقاً كالوجود والعدم.

الضرورة:

وهي مقابلة للجواز، ومرادفة للحتمية. وسبقت الإشارة إليها.

الضمير:

تكلّموا كثيراً عن الضمير، وبعضهم عبّر عنه بالذات العليا، وآخر بالقوة الحاكمة، وثالث بالملكة التي تُحدد موقف الإنسان من سلوكه!. وكلّ ذلك تفسير للظلمة بالبهمة.

والذي نراه أنّ الضمير هو نفس الشعور بالوخز والتأنيب إذا فعلت ما تندم على فعله، ونفس الإحساس بالطمأنينة والغبطة إذا فعلت ما تراه رباحاً ونجاحاً. نقول هذا ونحن على علم بأنّه يختلف تبعاً للأشخاص ووجهات النظر، ولكن لا نركن إلى سواه.

(ط)

الطَّفَرَة :

أَنْ يَتَغَيَّرَ الشَّيْءُ ، وَيَنْتَقِلَ مِنْ صِفَتِهِ إِلَى صِفَةٍ أَعْلَى بِلَا مَرَاهِلٍ تَدْرِيجِيَّةٍ ، وَكَانَ يَظُنُّ مِنْ قَبْلِ أَنْ الطَّفَرَةُ بِهَذَا الْمَعْنَى مُحَالٌ ، وَمَعَ الْأَيَّامِ تَبَيَّنَ أَنَّهَا قَدْ حَدَثَتْ بِالْفِعْلِ ، قَالَ (رُسل فِي كِتَابِهِ الْفَلَسَفَةَ بِنَظَرَةٍ عِلْمِيَّةٍ : «أَنَّ فِي الطَّبِيعَةِ تَغْيِيرَاتٍ مُفَاجِئَةً تَحْدُثُ قَفْزَةً مِنْ حَالَةٍ إِلَى حَالَةٍ أُخْرَى بِغَيْرِ إِجْتِيَازِ الْحَالَاتِ الْمُتَوَسِّطَةِ بَيْنَ الطَّرْفَيْنِ»^(١) .

الطُّوبَاوِيَّة :

نَقِيضُ الْوَاقِعِيَّةِ حَيْثُ تَخْلُقُ بِالْخِيَالِ إِلَى الْأَوْهَامِ وَالْمَثَلِ الْعُلْيَا كَتَحْقِيقِ السَّلَامِ الْعَامِّ وَالتَّقَدُّمِ الْمُسْتَمِرِّ وَالْمُسَاوَاةِ الطَّبِيعِيَّةِ ... إِلَى مَا تَشْتَهِي الْأَنْفُسُ ، وَتَلْدُ الْأَعْيُنُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

الطُّوْطُمِيَّة :

مِنْ أَقْدَمِ أَشْكَالِ الدِّيَانَاتِ فِي الْمَجْتَمَعِ الْبَدَائِيِّ ، وَتَقُومُ عَلَى عِبَادَةِ نَوْعٍ مِنَ الْحَيَوَانَاتِ أَوْ الْأَشْيَاءِ أَوْ الظُّوَاهِرِ عَلَى أَسَاسِ أَنَّهَا تَمُدُّ الْخَلْقَ بِالطَّعَامِ ، وَلَا تَزَالُ الطُّوْطُمِيَّةُ مُنْتَشِرَةً بَيْنَ الْقَبَائِلِ الْأَصْلِيَّةِ فِي (أَسْتْرَالِيَا ، وَأَمْرِيكَا الشَّمَالِيَّةِ ، وَالْجَنْوُبِيَّةِ ، وَمِيلِيْزِيَا ، وَبُولُونِيَا ، وَأَفْرِيْقِيَا) . (الْمَوْسُوعَةُ الْفَلَسَفِيَّةُ السُّوْفِيَاتِيَّةُ) .

(١) أَنْظِرْ ، رُسل فِي كِتَابِهِ الْفَلَسَفَةَ بِنَظَرَةٍ عِلْمِيَّةٍ تَرْجُمَةُ الدُّكْتُورِ رُزْكَي نَجِيبٍ : ٢٥٩ .

(ظ)

الظاهرة:

تُطلق على كلِّ ما يُبحث فيه العلم من الحقائق التجريبية .

الظاهريّة:

طائفة من الفقهاء يأخذون بظواهر النّص حتّى ولو خالف بديهة العقل .
والظاهريّة من الفلاسفة يُنكرون معنى الجواهر ، ويقولون : أنّ الوجود الحقيقي
مؤلف من الظواهر فقط . (صليبا) .

(٤)

العالم:

العالم كلّ المخلوقات ، وعالم الطبيعة الأشياء الماديّة ، والعالم الأكبر : السموات والأرض وما بينهما (أي الكون كلّه) والعالم الأصغر : الأرض بكلّ من وما فيها وعليها .

العبريّة:

وأحسن ما قرأتُ في تعريف العبري أنه هو الذي يعكس المطالب الاجتماعيّة ذات الأهميّة الحيويّة .

العقل:

نسب إلى أفلاطون وأرسطو الفرق بين العقل والفكر في أنّ الأوّل يستدل ويستنتج ، والثاني يكشف عن أسباب الظواهر . ونحن لأنجد أي فرق بينهما ، على أنه لا ثمره علميّة لهذا الفرق .

والعقلي نسبة إلى العقل ، والعقلاني نسبة إلى من يؤمن بحكم العقل ، ويستدل به على صحة العقائد .

العلم:

كلّ من العلم والجهل لا يحتاج إلى حدّ ، لأنّه يُعرف بمجرد التّصور ، ولو احتاج العلم إلى تعريف لوجب التعريف بالعلم ، وإذن يحتاج هذا الثاني إلى علم ، وهكذا إلى ما لا نهاية .

والعلوم التطبيقية تُطلق على الصناعة والطب والزراعة، وكل علم له أثر ملموس، أما العلوم المعيارية فهي المؤلفة من أحكام إنشائية كعلم المنطق والأخلاق والجمال.

(غ)

الغائبة :

ومبدأ الغائبة هو القول بأن كل موجود يسير إلى غاية معينة وليس الإنسان وحده كذلك ، وهذا المبدأ أحد الأدلة على وجود الخالق ، ويسمى الدليل الغائي .

الغنوصية :

كلمة يونانية ، تُطلق على نزعة صوفية تهدف إلى إدراك الأسرار الإلهية مباشرة وبلا واسطة . وفي الموسوعة السوفياتية أن الغنوصية تمزج المسيحية بالديانات الشرقية القديمة والإفلاطونية الحديثة والفيثاغورية .

(ف)

الفأشيتية :

دكتاتورية إرهابية تأسست كنظام في إيطاليا سنة (١٩٢٢ م) ثم في ألمانيا سنة (١٩٣٣ م).

فسيولوجيا :

علم وظائف الأعضاء الحيّة .

فنتاسيا :

يُطلق هذا اللفظ على كلّ تخيل وهمي مُتحرر من قيود العقل ، أو على كلّ رغبة لا تستند إلى سبب معقول . (صليبا) .

الفوضوية :

ظهر المذهب الفوضوي في القرن السابع عشر الميلادي بزعمارة مُفكر إنجليزي ، اسمه « ونستانلي » ويرمي هذا المذهب إلى إلغاء الدولة بشتى أنواعها ومظاهرها ، وإيجاد مُجتمع خال من القهر والإرغام ، أمّا المصالح العامّة فيتولاها جماعة من أهل الأمانة والثقة على غرار مجالس الحسبة والبلدية .

الفيزياء :

وعلم الفيزياء موضوعة المادة الجامدة ، ومن بحوثه الحركة والثقل والضغط والحرارة والضوء والصوت والكهرباء .

الفيض :

الفيض حق لا ريب فيه، ومعناه في غاية الوضوح والبساطة، وهو أن الله سبحانه وتعالى يفيض عنه كل الوجود بإرادته فيضاً مَبِيناً لذاته القدسية، وبهذا أنطقت الآية: ﴿ قُلِ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهْنُزُ ﴾^(١).

وأبى بعض الفلاسفة إلا إثارة الشبهات مثل أن الله واحد، والواحد لا يصدر عنه إلا واحد بطريق مباشر، علماً بأن الصادرات التي نراها فضلاً عما غاب عنا - لا يبلغها الإحصاء.

ولكي يجدوا حلاً لهذه المشكلة الشائكة أبدعوا فكرة العقول العشر، وسموها بنظرية الفيض، وخلصتها بأن الله قد فاض عنه عقل واحد فقط، فوجد ثنائية الإمكان بالذات والوجود بالغير، وعن هذا العقل فاض عقل ثان، وعنه فاض ثالث... وهكذا تتابع فيضان العقول حتى تألفت هيئة من عشرة ورزعت فيما بينها صناعة الكون وخلقه!

ولأدري بأي عقل نفسر هذه العقول؟

ثانياً: يقول القرآن الكريم: ﴿ اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهْنُزُ ﴾^(٢). ويقول أصحاب هذه النظرية: كلاً، الله خلق العقل الأول فقط، وما عداه من صنع العقول العشر! فتعالى الله عما يشكرون. ومن هنا رَفَضَ علماء الإسلام هذا النوع من الفيض، وعملوا بالحديث الشريف: « تكلموا في خلق الله، ولا تكلموا في الله، فإن الكلام في الله لا يزداد صاحبه إلا تحيراً »^(٣).

(١) الرعد: ١٦.

(٢) الرعد: ١٦.

(٣) أنظر، الكافي: ١/٩٢ ح ١، شرح أصول الكافي: ٣/١٤٧، روضة الواعظين: ٣٧، التوحيد للشيخ

الصدوق: ٤٥٤ ح ١، الهداية للشيخ الصدوق: ١٤.

وَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: «فَكَّرُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ، وَلَا تُفَكِّرُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ» (١).
 وَقَالَ: «التَّوْحِيدُ الْأَتْتَوَهَّمُ» (٢). أَي لَا تَتَصَوَّرُهُ بِوَهْمِكَ؛ لِأَنَّ كُلَّ مَوْهُومٍ
 مَحْدُودٌ. وَاللَّهُ لَا يَحْدُهُ شَيْءٌ.

(١) قَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى فِي كِتَابِ الْهَدَايَةِ لِلشَّيْخِ الصَّدُوقِ: ٦، الْجَامِعُ الصَّغِيرُ: ١/٥١٤ ح ٣٣٤٦، كَنْزُ الْعُمَالِ: ٣/١٠٦ ح ٥٧٠٦، تَفْسِيرُ النَّعَالِيِّ: ٢/١٤٩، تَفْسِيرُ الدَّرِّ الْمَسْنُورِ: ٢/١١٠ و ٦/١٣٠، كَشَفُ الْخَفَاءِ لِلْمَجْلُونِيِّ: ١/٣٧١ ح ١٠٠٥، تَفْسِيرُ أَبِي حَاتِمِ الرَّازِيِّ: ٣/٨٤٢ ح ٤٦٥٩، تَفْسِيرُ رُوحِ الْمَعَانِي لِلأَلُوسِيِّ: ٤/١٥٩.
 (٢) أَنْظِرْ، نَهْجُ الْبَلَاغَةِ: الْحِكْمَةُ (٤٦٢).

(ق)

القيمة الفاضلة :

هي أصل العقيدة الماركسيّة، وخلاصتها أنّ السلعة من حيث هي لا قيمة لها على الإطلاق ذهباً كانت أو خشباً، وإنما تُقاس القيمة بعمل الإنسان - مثلاً - قلادة الذهب لا تُقدر بالسعر المعروف للذهب، بل بما يبذله الصانع من جهد في صياغتها، ولكن العامل لا يأخذ قيمة عمله بالكامل، بل يأخذ بعضها، وما زاد فهو لربّ العمل بلامقابل، وهو سلب ونهب !.

والملاحظ أنّ هذه النظرية على عكس ما يراه العقل، وجرت عليه سيرة العقلاء قديماً وحديثاً حيث يقدرّون السلعة بما لها من نفع وفائدة في مفهومهم. ولو صحّت هذه النظرة الماركسيّة لكانت الأرض المخصّبة التي تُعطي الكثير بالعمل اليسير أقلّ ثمناً وقيمة من الأرض المجدبة التي تُعطي اليسير بالعمل الكثير. وهكذا سائر السلع ووسائل الإنتاج.

القيوم :

هو القائم في ذاته الغني في وجوده وجميع صفاته عن كل شيء، وليس ذلك إلاّ الله وحده جلّ وعزّ.

(ك)

وهي محل خلاف من جهات :

١ - هل الموجود واحد، وما الكثرة البادية للعيان إلاّ أحوال وأعراض لجوهر واحد يعم ويشمل العالم كله ولا شيء قبله ولا بعده كما يقول المؤمنون بوحدة الوجود، أو هناك قوة وراء العالم تباينه في جميع صفاته كما يقول المؤمنون بالله ؟ .

٢ - هل الموجود الوحيد هو المادة كما يقول المادّيون، أو هو الرّوح كما يقول المثاليون، أو هما معاً كما يقول الرّبانيون ؟ .

٣ - هل أصل الأشياء واحد وهو الهواء كما يزعم إنكسمانيس، أو النار كما يدّعي هرقليط، أو التراب والماء والنار والهواء كما قال العديد من قدماء الفلاسفة ؟ .

الكليّة :

في القرن الرابع قبل الميلاد كان في اليونان فيلسوف يدّعي (انتستائس)، وكان يدرس تلامذة في مكان اسمه الكلب السريع، فأطلق عليهم اسم (الكلبيّين)، وقيل: أطلق عليهم هذا الاسم، لأنهم كانوا ينبحون على فاعل الرذيلة كما ينبح الكلب الحارس .

ومن مذهبهم إحتقار التقاليد والعقائد السائدة والرأي العام، وإنه لا خير ولا

سعادة إلا في الفضيلة .

وعلى هذا المذهب (ديجون) صاحب القانوس .

الكُمون :

ومبدأ الكُمون هو الذي يقول : كل شيء فيه كل شيء . ويرجع هذا إلى وحدة

الوجود .

الكوجيتو :

إشارة إلى قول (ديكارت) : أنا أفكر ، إذن أنا موجود . وهو استدلال على

وجود النفس بفعل من أفعالها .

الكيمياء :

يبحث علم الكيمياء عن خواص المادة وتغيراتها وتأثير العوامل الطبيعية بها .

(ج)

اللاأدريون :

هُم الَّذِينَ يَقُولُونَ بِالتَّوَقُّفِ فِي الْحُكْمِ عَلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ ، لِأَنَّهُمْ يَشْكُونَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَفِي أَنَّهُمْ يَشْكُونَ . أَنْظِرْ « الشُّكَّ » .

اللاشعور :

السُّلُوكُ الشَّعُورِي أَنْ تَفْعَلَ عَنْ وَعْيٍ وَقَصْدٍ ، مِثْلُ أَنْ تَنْتَقِدَ أَنْ تُقَارَنَ أَوْ تَسْتَقْرِئَ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .

أَمَّا السُّلُوكُ اللَّاشَّعُورِي فَهُوَ أَنْ تَفْعَلَ مِنْ غَيْرِ وَعْيٍ وَقَصْدٍ ، مِثْلُ أَنْ تُدْخِنَ بِحُكْمِ الْعَادَةِ أَوْ تَنْظُرَ إِلَى الْخَلْفِ بِتَأْثِيرِ الْعَدْوَى أَوْ تَذُمَّ عَدُوًّا حِينَ يُذْكَرُ أَوْ تَطْفِئَ عَلَى وَعْيِكَ وَمَشَاعِرِكَ حِمَاسَةَ الْجُمُوعِ ، وَقَالَتِ الْآيَةُ : « قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ » الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعَجَلَ سَيِّئًا لَهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِهَا وَعَمَّنُوا بِإِنْ رَبِّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَنَغْفُورٌ رَّحِيمٌ وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ^(١) . أَنْ مُوسَى ﷺ أَلْقَى الْأَلْوَابَ (أَي التَّوَارَةَ) وَفِيهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ فِي سُورَةٍ مِّن سُورَاتِ الْغَضَبِ الْمُقَدَّسِ ... إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَفْعَلُهُ وَأَنْتَ لَا تَوَدُّ أَنْ تَفْعَلَهُ .

اللاهوت :

هو الخالق ، والتاسوت هو المخلوق ، وعلم اللاهوت مُرادف لعلم الكلام والرّبويّة .

اللوعس :

باليونانية يعنى العقل الكلّي .

(م)

مَا بَعْدَ الطَّبِيعَةِ :

يُطْلَقُ عَلَيْهِ الْآنَ كَلِمَةُ الْمِينَا فِيزِيْقَا ، وَعِلْمُ مَا بَعْدَ الطَّبِيعَةِ عِنْدَ ابْنِ سِينَا هُوَ الْعِلْمُ الْإِلَهِي .

الْمَادِيَّة :

مَذْهَبٌ مَنْ يَقُولُ : أَنَّ الْمَادَّةَ هِيَ الْمَوْجُودُ الْوَحِيدُ وَيُفَسَّرُ كُلُّ شَيْءٍ بِالْأَسْبَابِ الْمَادِيَّةِ . وَتُقَابِلُ الْمَادَّةَ الْمَثَالِيَّةَ الَّتِي تُفَسَّرُ كُلُّ شَيْءٍ بِأَسْبَابِ رُوحِيَّةِ .

الْمَا صَدَق :

أَيُّ الَّذِي صَدَقَ أَخْذًا مِنَ الْمَصْدَاقِ ، وَهُوَ الشَّاهِدُ لِلصِّدْقِ ، تَنْقَسِمُ الْفَآظُ الْمَا صَدَقُ إِلَى كَلِّيَّةٍ وَجَمْعِيَّةٍ وَمُفْرَدَةٍ ، وَالْكَلِّيَّةُ تُطْلَقُ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ الْأَفْرَادِ بِلَا حُدِّ مِثْلُ الْإِنْسَانِ ، وَالْجَمْعِيَّةُ تُطْلَقُ عَلَى الْأَفْرَادِ الْمَحْدُودِينَ مِثْلُ أَسَاتِذَةِ الْجَمَاعَةِ اللَّبْنَانِيَّةِ ، وَالْمُفْرَدَةُ مِثْلُ إِبْرَاهِيمَ وَخَلِيلِ .

الْمَانُويَّة :

نِسْبَةٌ إِلَى مَانِي الْفَارَسِ ، عَاشَ فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ الْمِيلَادِي ، وَيُنَسَبُ إِلَيْهِ الْقَوْلُ بِوَجُودِ الْهَيْنِ إِلَهِ التُّورِ وَالْخَيْرِ وَإِلَهِ الظُّلْمَةِ وَالشَّرِّ .

وَفِي مَجَلَّةِ الدَّرَاسَاتِ الْأَدْبِيَّةِ الَّتِي تَصْدُرُ فِي بَيْرُوتِ السَّنَةِ الرَّابِعَةِ بِأَعْدَادِهَا الثَّلَاثَةِ الْمَجْمُوعَةِ فِي مَجَلَّدٍ وَاحِدٍ - مَقَالٌ بِعَنْوَانِ مَانِي وَدِينِهِ ، جَاءَ فِيهِ :

« أَنَّ الدِّينَ الْمَانُوي هُوَ أَحَدُ الْمَوْضُوعَاتِ الْغَامِضَةِ فِي تَارِيخِ الْأَدْيَانِ ، وَأَنَّ

فهَمَهُ لِأَمْرٍ صَعِبٍ لِلْغَايَةِ ... وَالْمَانَوِيَّةِ الْيَوْمِ مِنَ الْأَدْيَانِ الْمَتْرُوكَةِ الْمَنْسِيَةِ ، وَلَا أُتْبَاعُ لَهَا» .

الْمُتَوَاطِيءُ :

هُوَ اللَّفْظُ الدَّالُّ عَلَى الْعَدِيدِ مِنَ الْأَعْيَانِ بِمَنْزِلَةِ سَوَاءِ كِدَالَةِ الْإِنْسَانِ عَلَى أَحْمَدَ وَطَانِيُوسَ ، وَيُقَابِلُهُ الْمُشْكَكُ الَّذِي يَصْدُقُ عَلَى كَثِيرِينَ بِالتَّفَاوُتِ كَصِدْقِ الْوُجُودِ عَلَى وَاجِبِ الْوُجُودِ وَمُمْكِنِ الْوُجُودِ .

الْمَثَالِيَّةُ :

وَلَهَا أَقْسَامٌ ، وَأَهْمُهَا الْمَثَالِيَّةُ الذَّاتِيَّةُ الَّتِي تُنْكَرُ الْأَشْيَاءَ الْمَادِيَّةَ ، وَالْمَثَالِيَّةُ الْمَوْضُوعِيَّةُ الَّتِي تَعْتَرِفُ بِوُجُودِ الْأَشْيَاءِ الْمَادِيَّةِ ، وَلَكِنْ تَنْسُدُهَا وَتَرْجِعُهَا إِلَى مَبْدَأٍ لَأَمَادِيٍّ^(١) .

الْمُحْتَمَلُ الْأَقْرَبُ :

قَدْ يَكُونُ لِلشَّيْءِ الَّذِي تَحْتَمَلُ وَقُوعَهُ دَرَجَاتٌ مُتَفَاوِتَةٌ قُرْباً وَبُعْداً ، فِإِذَا أَضْطَرَّرْتَ إِلَى أَحَدِ الْأَطْرَافِ تَعَيَّنَ عَلَيْكَ أَنْ تَخْتَارَ الْأَقْرَبَ إِلَى قَصْدِكَ وَغَايَتِكَ - مَثَلًا - إِذَا دَعَتَكَ الْحَاجَةُ إِلَى السَّفَرِ وَكَانَ الْجَوُّ غَيْرَ مُلَائِمٍ ، وَتَرَدَّدْتَ : هَلْ تُسَافِرُ بَرًّا أَوْ بَحْرًا أَوْ جَوًّا فَعَلَيْكَ أَنْ تَخْتَارَ الْأَقْرَبَ إِلَى السَّلَامَةِ فِي نَظْرِكَ وَنَظَرِ الْعُقَلَاءِ ، وَلَوْ عَلَى سَبِيلِ الْإِحْتِمَالِ الْأَرْجَحِ وَهَذَا الْإِحْتِمَالُ يَتَعَيَّنُ الْأَخْذَ وَالْعَمَلَ بِهِ تَمَامًا كَالْعِلْمِ .

الْمَشَاوُونَ :

هُمُ أُتْبَاعُ فِلْسَفَةِ أَرِسْطُو ، لِأَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُ تَلَامِيذَهُ مَا شَاءَ .

(١) أنظر ، فصل الماديَّة والواقعيَّة والمثاليَّة .

المُصَادَرَة:

هي الدَّعْوَى من غير دليل أو تتخذ الدليل من عَيْن الدَّعْوَى، كما لو قُلْتَ: هَذَا الكِتَابُ المَعْرُوفُ بِالتَّوَارَةِ بَيْنَ النَّاسِ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لَأَنَّ كِتَابَ التَّوَارَةِ يَنْصُ صِرَاحَةً عَلَيَّ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

المُفَارَقَة:

تُطْلَقُ هَذِهِ الكَلِمَةُ لِلدَّلَالَةِ عَلَى الآرَاءِ المَخَالَفَةِ لِلْمُعْتَقَدَاتِ المَأْلُوفَةِ، وَعَلَى الَّذِي لَا يَعْتَقِدُهُ صَاحِبِهِ، وَلَكِنَّهُ يُدَافِعُ عَنْهُ أَمَامَ النَّاسِ لِيُعْجِبُوا بِهِ (صَلِيْبَا).

المَقُولَات:

قَالَتِ المَوْسُوعَةُ الفَلَسْفِيَّةُ السُّوفِيَّاتِيَّةُ: «قَامَ أَرْسَطُو بِخِدْمَةِ كَبِيرَةٍ عِنْدَمَا طَوَّرَ المَقُولَاتِ الفَلَسْفِيَّةَ، فَقَدَ رَصَدَ عَشْرَ مَقُولَاتٍ، وَأَعْتَبَرَهَا هِيَ الأَحْوَالُ الرَّئِيسِيَّةُ لِلوُجُودِ، وَرَفَعَ لِلغَايَةِ مِنْ شَأْنِ أَهْمِيَّتِهَا العِلْمِيَّةِ... وَهِيَ تُمَكِّنُ الإِنْسَانَ مِنْ إِحْرَازِ مَعْرِفَةٍ عَمِيقَةٍ بِالعَالَمِ المَحِيطِ بِهِ». وَهِيَ:

- (١) الجَوْهَرُ كَالإِنْسَانَ وَالحَجَرِ.
- (٢) الكَمِّ وَمِنْهُ العَدَدُ.
- (٣) الكَيْفُ كَالْحَرَارَةَ وَالبُرُودَةَ.
- (٤) الإِضَافَةُ كِنِسْبَةِ الإِبْنِ لِأَبِيهِ.
- (٥) الوَضْعُ كَالقِيَامِ وَالقُعُودِ.
- (٦) الأَيْنِ وَهُوَ نِسْبَةُ الجِسْمِ إِلَى المَكَانِ.
- (٧) المَتْنِ نِسْبَةُ الشَّيْءِ إِلَى الزَّمَانِ.
- (٨) المِلِكِ مِثْلَ لُقْلَانَ مَالِ.

(٩) الْفِعْلُ مِثْلُ كَسَرَتِ الْقَدْحَ .

(١٠) الْإِنْفِعَالُ فَانْكَسَرَ الْقَدْحُ .

الْمَنْهَجُ :

فَسَّرَتِ الْمَعَاجِمُ الْفَلْسَفِيَّةَ وَغَيْرَهَا كَلِمَةَ الْمَنْهَجِ فِي أَكْثَرِ مِنْ صَفْحَةٍ ، وَالَّذِي نَفَهَمَهُ نَحْنُ أَنَّ الْمَنْهَجَ طَرِيقَةٌ مُحَدَّدَةٌ لِبَحْثِ الْمَوْضُوعِ الْمَقْصُودِ ، وَأَنَّهُ يَرْتَبِطُ أَرْتِبَاطًا لَا يَنْفَصِمُ عَنْ أَتْجَاهِ الْبَاحِثِ وَتَقَافَتِهِ وَفَلْسَفَتِهِ .

المورفولوجيا :

عِلْمٌ يَبْحَثُ فِي صُورِ الْأَشْيَاءِ أَوْ أَشْكَالِهَا ، وَتُطْلَقُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ فِي عِلْمِ الْحَيَاةِ عَلَى دَرَاةِ الْأَنْمَاطِ الْمُمَيَّزَةِ لِلْأَنْوَاعِ الْحَيَوَانِيَّةِ وَالنَّبَاتِيَّةِ .

ميتاسيكولوجيا :

فَرْعٌ مِنْ عِلْمِ النَّفْسِ ، يَبْحَثُ الْخِصَائِصَ اللَّاشْعُورِيَّةَ .

الميتافيزيقا :

مُصْطَلِحٌ يُطْلَقُ عَلَى كُلِّ فِكْرَةٍ أَوْ مَبْدَأٍ أَوْ حُكْمٍ لَا يَعْتمِدُ عَلَى الْحَسِّ وَالتَّجْرِبَةِ (أَنْظِرْ مَا بَعْدَ الطَّبِيعَةِ) .

ميكانيكا :

عِلْمُ قَوَانِينِ الْحَرَكَةِ .

(ن)

النحو المنطقي :

فرع من علم ما بعد المنطق يهتم بدراسة العمليات الحسابية المؤولة والمشكلات التي تنشأ عن فحص العمليات الحسابية . (الموسوعة الفلسفية السوفياتية) .

الترجسية :

نسبة إلى زهرة الترجس ، وفي اليونان أسطورة تقول : أن فتى من الفتيان كان مُعجباً بجماله ، وفي ذات يوم رأى صورته في الماء ، فألقى بنفسه فيه ليعانقها ، ففرق ، ولكن الآلهة أخرجته من الماء ، وحولته إلى زهرة الترجس . فأطلقت الترجسية على كل مغرور ، وأن ماله إلى الغرق والعتور .
وقال صليبا في مُعجمه : « وتطلق الترجسية في أيامنا على الشذوذ الجنسي الذي يجعل المرء غارقاً في عشق ذاته » .

النسبية :

أنظر فصل نافذة على النسبية .

النفعية :

مذهب يقيس بالمنفعة . ونحن على هذا المبدأ بشرط أن لا تكون المنفعة الخاصة على حساب الآخرين ، بل نحن لا نفرق بين المنفعة الخاصة بهذا الشرط وبين المنفعة العامة ، وأي عاقل يشك في أن خير الأقوال والأعمال ما نفع ؟ علماً

بأن الأفضلية للمصلحة العامة عند التزاحم والتصادم، وعلى هذا الأساس وجب الجهاد بالروح والمال في سبيل الدين والوطن.

النقطة:

ولها ثلاثة أقسام:

- ١ - مادية، وهي أصغر شيء يمكن أن يُشار إليه.
- ٢ - لا يمكن الإشارة إليها إطلاقاً، لأنها بلغت الغاية في الصغر، وبعض المعاجم عبر عنها بجوهر الفرد.
- ٣ - النقطة الرياضية، وهي نهاية الخط. ومن دروس المنطق التي حفظتها منذ خمسين سنة أو يزيد: النقطة طرف الخط، والخط طرف السطح، والسطح طرف الجسم، والسطح غير منقسم في العمق، والخط غير منقسم في العرض والعمق، وعليه فالنقطة لا تنقسم طولاً ولا عرضاً ولا عمقاً لا بالفعل ولا بالقوة أصلاً.

النومن:

يطلق على الشيء في ذاته، وهو الحقيقة المطلقة التي تدرك بالحدس العقلي لا بالتجربة.

النيرفانا:

تُطلق هذه الكلمة عند البوذيين على الخير الأعلى الذي يبلغه الإنسان برجوعه إلى المبدأ الأول، وإمحاء ذاته الفردية. وأستعملها (شوبنهاور) في إنكار إرادة الحياة إنكاراً تاماً.

(٥)

الهوهو:

والمُرَاد بهذا هو التَّعْبِيرُ عن أَنَّ الشَّيْءَ هو عَيْنَ ذَاتِهِ، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ لَا يَكُونَ كَذَلِكَ وَإِلَّا لِإِنْسَادِ بَابِ الْعِلْمِ، وَتَعَذُّرِ الْحُكْمِ عَلَى أَيِّ شَيْءٍ .
وَنُقَلُّ عَنْ أَبِي سَيْنَا الْقَوْلَ بِأَنَّ الْهُوهُ تُسْتَعْمَلُ أَيْضًا فِي الْإِتِّحَادِ بَيْنَ اثْنَيْنِ بِطَرِيقٍ أَوْ بآخَرَ .

الهيئة:

عِلْمُ الْهَيْئَةِ قِسْمٌ مِنَ الرِّيَاضَةِ، وَيَبْحَثُ أَحْوَالَ أَجْزَاءِ الْعَالَمِ فِي أَشْكَالِهَا، وَأَوْضَاعِ بَعْضِهَا مَعَ بَعْضٍ وَمَقَادِيرِهَا، وَأَبْعَادَ مَا بَيْنَهَا، وَحَالَ حَرَكَاتِ الْأَفْلَاقِ وَالْكَوَاكِبِ .
(صليبا نقلاً عن رسالة ابن سينا).

الهيولى:

وَهِيَ مُرَادِفَةٌ لِلْمَادَّةِ وَالْجِسْمِ الْقَابِلِ لِلصُّورَةِ الْجِسْمِيَّةِ وَالتَّوَعِيَّةِ (أَي تَمَامِ حَقِيقَةِ الشَّيْءِ وَمَاهِيَّتِهِ) (أَنْظِرِ الصُّورَةَ) .
وَالْعَقْلُ الْهَيْوَلَانِيُّ مُرَادِفٌ لِلْعَقْلِ بِالْقُوَّةِ الَّذِي يَشْبَهُ الصَّفْحَةَ الْبَيْضَاءَ الْخَالِيَةَ مِنَ النَّقْشِ، وَبِتَّعْبِيرٍ آخَرَ هُوَ الْإِسْتِعْدَادُ الْمَحْضُ لِإِدْرَاكِ الْمَعْقُولَاتِ .

(و)

الواحدية :

مذهب فلسفي يقول: أن مبدأ العالم ومصدره واحد، وأختلف القائلون بذلك فيما بينهم، فقال الماديون: هو المادة.

وقال المثاليون: بل هو قوة تدرك وتعلم، ولا تمت إلى المادة بسبب.

وحدة الوجود :

ومعناها أن الله والطبيعة بشتى مظاهرها، شيء واحد ولا اثنيّة، بل كل شيء منها هو الله سبحانه وتعالى عما يصفون، وأوضح ما قرأت في هذا الباب قول طاغور الشهير: «الله حقيقة دائمة الإتحاد بشتى الموجودات، وتتجلى في مختلف محتويات الكون، وتتخذ مظاهر متنوعة تبدو في أشكال الطبيعة المتعددة من إنسان وحيوان ونبات وجماد».

(ي)

اليسار واليمين :

دأب الناس في هذه الأيام أن يطلقوا كلمة يميني على من يُحافظ على الوضع القائم أياً كان لونه ، ويُبقي ما كان على ما كان ، وكلمة يساري على من يقول بوجوب التغيير وتجديد إلى الأفضل والأكمل .

ونقل عن كتاب ألوان لطفه حسين أنه قال : اليميني من يدافع عن الحرية ، واليساري من يدافع عن العدالة الإجتماعية ، ويمكن التوفيق بينهما تماماً كما كالتوفيق بين العدل والحرية ! .

وهذا خلط وأشتباه ، لأن اليسار هو التحرر والحرية ، واليمين جمود وتقليد ، فكيف يمكن الجمع بين الضدين ؟ وهل الصراع الذي قام بين من يصلح ويُفسد وما زال ، وسيبقى إلى آخر يوم - إلا صراع بين التقليد الأعمى وحرية العقل والفكر ؟ .

اليوغا :

فلسفة أو نزعة هندية تقوم على ممارسة ترويض النفس وتحررها من الطاقات والفرائز الحسية والعقلية لكي تصل زويداً زويداً إلى الإتحاد بالروح الكونية .

أَسْمَاءُ بَعْضِ الْفَلَسْفَةِ

أَسْمَاءُ بَعْضِ الْفَلَّاسِفَةِ

أَبْنُ بَاجَةَ :

مَنْ فَلَاسِفَةُ الْأَنْدَلُسِ ، وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدٌ بِنُ يَحْيَى ، وَوُلِدَ فِي أَشْبِيلِيَّةِ عَامِ (١١١٨ م) .

أَبْنُ رُشْدٍ^(١) :

فَيْلَسُوفُ أَنْدَلُسِيٍّ (١١٢٦ - ١١٩٨ م) .

(١) مُحَمَّدُ بِنُ رُشْدٍ (٥٢٠ - ٤٥٠ هـ) (١١٢٦ - ١٠٥٨ م) مُحَمَّدُ بِنُ أَحْمَدَ بِنُ أَحْمَدَ بِنُ رُشْدِ الْقُرْطُبِيِّ ، الْمَالِكِيُّ أَبُو الْوَلِيدِ فَقِيهٌ ، أَصُولِيٌّ . وَوُلِدَ فِي شَوَّالٍ ، وَرَوَى عَنْ أَحْمَدَ بِنِ رِزْقٍ وَمُحَمَّدَ بِنِ خَيْرَةَ وَمُحَمَّدَ بِنِ فَرْجٍ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْقَضَاةِ ، وَتَوَفَّى بِقُرْطُبَةٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ ، وَدُفِنَ بِمَقْبَرَةِ عَبَّاسٍ .
مِنْ تَصَانِيفِهِ : الْمُقَدِّمَاتُ لِأَوَائِلِ كُتُبِ الْمُدُونَةِ ، الْبَيَانُ وَالتَّحْصِيلُ لِمَا فِي الْمُسْتَخْرَجَةِ مِنَ التَّوْجِيهِ وَالتَّلْمِيلِ فِي أَزِيدٍ مِنْ عِشْرِينَ مَجْلَدًا ، مُخْتَصَرُ الْمَبْسُوطَةِ ، وَمُخْتَصَرُ مَشْكَلِ الْآثَارِ لِلطَّحَاوِيِّ .
أَنْظَرَ ، الذَّهَبِيُّ : سَبِيحُ النَّبَلَاءِ : ١١٥ : ١٢ ، ١١٦ ، فَهْرَسُ الْمُؤَلِّفِينَ بِالظَّاهِرِيَّةِ .
(الصَّبِيُّ : بُغْيَةُ الْمُلْتَمَسِ ٤٠ ، آيْنُ بِشْكَوَالٍ : الصَّلَّةُ ٥١٨ ، ٥١٩ ، الذَّهَبِيُّ : تَذَكُّرَةُ الْحِفَاطِ ٤ / ٦٥ ، الْيَافَعِيُّ : مِرْآةُ الْجَنَانِ ٣ / ٢٢٥ ، الْمَغْرَبُ فِي حَلِيِّ الْمَغْرَبِ ١٦٢ ، آيْنُ الْعِمَادِ : شَدْرَاتُ الذَّهَبِ ٤ / ٦٢ ، آيْنُ فَرْحُونَ : الدِّيْبَايَجِ ٢٧٨ ، ٢٧٩ ، حَاجِي خَلِيفَةَ : كَشْفُ الطَّنُونِ ٣٦١ ، ١٤١٢ ، الصَّعِيدِيُّ : الْمَجْدُ دُونَ فِي الْإِسْلَامِ ٢٢٣ - ٢٢٠ ، الْبَحْدَادِيُّ : هَدِيَّةُ الْعَارِفِينَ ٢ / ٨٥ ٣٨٤ .

أبن سينا^(١):

فيلسوف فارسي (٩٨٠ - ١٠٣٧ م).

أبن طفيل:

من فلاسفة الأندلس، وُلد في قادس، ومات في مراکش عام ١١٨٥ م.

أبيقور:

فيلسوف يوناني (٣٤٢ - ٢٧٠ م. ق. م).

أرسطو:

أشهر فلاسفة اليونان (٣٨٤ - ٣٢٢ م).

أفلاطون:

فيلسوف يوناني كبير وشهير (٤٢٧ - ٣٤٧ م).

(١) الحسين بن سينا (٤٢٨ - ٣٧٠ هـ) (١٠٣٧ - ٩٨٠ م) الحسين بن عبد الله ابن الحسن بن علي بن سينا البلخي، ثم البخاري، ويُلقب بالشيخ الرئيس أبو علي فيلسوف، طبيب، شاعر، مُشارك في أنواع من العلوم. وُلد بخرميشن من قرى بخارا في صفر، وتوفي بهمدان في رمضان (وفي الكامل لابن الأثير: مات بأصبهان في شعبان).

من تصانيفه الكثيرة: القانون في الطب، تقاسيم الحكمة، لسان القرب في اللغة، الموجز الكبير في المنطق، وديوان شعر.

أنظر، الذهبي: سير النبلاء ١١٨: ١١، ١١٩، تذكرة طاهر الجزائري: ٢/ ٢٦ رقم ٤٨، طاهر الجزائري: دفتر خزائن الكتب ٢٩/ ١، ٣٠ رقم ٤٧، ابن شاکر الكُتبي: عيون التواريخ ١٦٦/ ٢ - ١٥٩/ ١، ١٣، تراجم الأعاجم ١٥٠/ ٢، ١٥١/ ١، ٥٢٨٥، عام، ظاهريّة، طبقات الحنفية ٢٠/ ٢، عام ٧١٤٩ ظاهريّة، كتاب في التراجم ٨٣/ ١ - ٨١/ ١، عام ٧٠٤٣، ظاهريّة، كتاب في التراجم ٢/ ١٤، عام ٤٦١٦، ظاهريّة، فهرس المؤلفين بالظاهريّة تأريخ ابن أبي عدسة ٢٧٢: ٣، الصفدي: الوافي ٧٩ - ٨٧: ١١.

أفلوطين :

فيلسوف مثالي، وُلد في مصر عام ٢٠٥ بعد الميلاد، وعاش في روما، ومات عام ٢٧٠.

أوغسطين :

فيلسوف مسيحي لاهوتي مُتصوف، وُلد في طاجسطا بالجزائر عام ٣٥٤ ومات ٤٤٠.

بركلي جورج :

فيلسوف إنجليزي مثالي ذاتي (١٦٨٥ - ١٧٥٣ م).

برادلي... هربرت :

فيلسوف إنجليزي (١٨٤٦ - ١٩٢٤ م).

برجسون . لوي :

فيلسوف فرنسي (٨٥٩ - ١٩٤١ م).

بسكال بليز :

فرنسي (١٦٢٣ - ١٦٦٢ م).

بيكون فرانسيس :

فيلسوف إنجليزي (١٥٦١ - ١٦٢٦ م).

البيروني^(١):

مُحمَّد أبو الرِّيحان، وُلد عام ٩٧٣ م ومات بخوارزم بغرزة في أفغانستان عام

١٠٤٨.

توما الاكوييني:

إيطالي لاهوتي (١٢٢٥ - ١٢٧٤ م).

جرين توماس:

إنجليزي (١٨٣٦ - ١٨٨٢ م).

جميس وليم:

عالم نفسي أمريكي (١٨٤٢ - ١٩١٠ م).

(١) مُحمَّد بن أحمد البيروني (نسبة إلى بيرون بالسند)، الخوارزمي أبو الرِّيحان حكيم، رياضي، فلكي، طبيب، أديب، لغوي، مؤرخ. وُلد بضواحي خوارزم في ذي الحجة وسافر إلى بلاد الهند ومكث فيها عدة سنين، وتبحر في الحكمة اليونانية والهندية وتخصص بأنواع الرياضيات، وتوفّي في رجب. من تصانيفه الكثيرة: (قال ياقوت في مُعجم الأدياء: وأما سائر كتبه في علوم النجوم والهيئة والمنطق والحكمة فإنها تفوق الحصر، ثم قال: رأيت فهرستها في وقف الجامع بمرو في نحو الستين ورقة بخط مكتز.

وقال البيهقي: زادت تصانيفه على حمل بعير) الآثار الباقية عن القرون الخالية، مختار الأشعار والآثار، مقاليد علم الهيئة وما يحدث في بسيط الكرة، الصيدلة في الطب، والجماهر في معرفة الجواهر. أنظر: خ (فهرس المؤلفين بالظاهرة) ط (أبن أبي أصيبعة: عيون الأنباء ٢٠: ٢، ٢١، ياقوت: مُعجم الأدياء ١٩٠ - ١٨٠: ١٧، أبن الأثير: اللباب ١٦٠، ١٦١، أبن العبري: تاريخ مُختصر الدُول ٣٢٤، ٣٢٥، التبهقي: تاريخ حكماء الإسلام ٧٤ - ٧٢، السيوطي: بُغية الوعاة ٢٠، ٢١، حاجي خليفة: كشف الظنون ٩، ٧٠، ٧٩، ٨١، ٣٤٥.

ديكارت:

فيلسوف فرنسي (١٥٩٦ - ١٦٥٠ م).

ديموقريطس:

فيلسوف مادّي يوناني (حوالي ٤٦٠ - ٣٧٠ ق.م).

ديوجين الكلبي:

فيلسوف شهير، عاش في أثينا (٤٠٤ - ٣٢٣ ق.م).

ديوي جون:

فيلسوف أمريكي (١٨٥٩ - ١٩٥٢ م).

رأسل برتراند:

فيلسوف إنجليزي (١٨٧٢ - ١٩٧٠ م).

روسوجان جاك:

فرنسي (١٧١٢ - ١٧٧٨ م). أشهر كفيلسوف وعالم إجتماع.

زينون الأيتومي:

مؤسس المدرسة الزواقية، وُلد في أكتيوم بقبرص (حوالي ٣٣٦ - ٢٦٤ ق.م).

سارتر جان بول:

فرنسي وُلد سنة ١٩٠٥ كاتب وفيلسوف وجُودي.

سبنسر هربرت:

فيلسوف إنجليزي شهير (١٨٢٠ - ١٩٠٣ م).

الرازبي^(١):

أبو بكر مُحَمَّد بن زكريا الرّازبي، وُلد في الرّي، وتوفي عام ٩٢٣ أو ٩٣٢ م. طبيب وفيلسوف وعالم رياضي.

(١) مُحَمَّد بن زكريا الرّازبي، (٣١٣-٢٥١هـ) (٩٢٥-٨٦٥م) أبو بكر: فيلسوف، من الأئمة في صناعة الطب. من أهل الرّي. وُلد وتعلّم بها. وسافر إلى بغداد بعد سن الثلاثين. يُسمّيه كتاب اللاتينية (رازيس Rhazes) أُولع بالموسيقى والغناء ونظم الشعر، في صغره. وأشتغل بالسيميا والكيمياء، ثم عكف على الطب والفلسفة في كبره، فنبغ وأشتهر. وتولى تدبير مارستان الرّي، ثم رئاسة أطباء البيمارستان المقتدري في بغداد. قال أحد معاصريه: كان شيخاً كبير الرأس، مُسقطه. وكان يجلس في مجلسه ودونه تلاميذه، ودونهم تلاميذهم، ودونهم تلاميذ آخر، فيجئ المريض فيذكر مرضه لأول من يلقاه، فإن كان عندهم علم وإلا تعدهم إلى غيرهم، فإن أصابوا وإلا تكلم الرّازبي في ذلك. وعمي في آخر عمره. ومات ببغداد. وفي سنة وفاته خلاف، بين تيف و ٢٩٠ و ٣٢٠هـ. له تصانيف، سمى ابن أبي أصيبعة منها ٢٣٢ كتاباً ورسالة.

الحاوي - خ (في صناعة الطب، وهو أجل كتبه، ترجم إلى اللاتينية وطبع فيها، و) الطب المنصوري - خ (طبع باللاتينية، و) الفصول في الطب (ويسمى المرشد - ط (نشر في مجلة معهد المخطوطات. و) الجُدري والحصبة - ط (و) بَرء الساعة - ط (رسالة، و) الكافي - خ (و) الطب الملوكي - خ (و) مقالة في الحصن والكلن والمثانة - ط (و) الأقرباذين - خ (و) تقسيم اللؤلؤ - خ (و) المدخل إلى الطب - خ (و) خواص الأشياء - خ (و) الفَاخر في علم الطب - خ (و) البياه ومَنافعه ومضاره ومداواته - خ (و) سر الصناعة - خ (طُبعت ترجمته اللاتينية باسم) الأسرار (و) أسئلة من الطب - خ (و) تلخيص كتاب جالينوس في حيلة البرء - خ (و) منافع الأغذية ودفع مضارها - ط (و) كتاب الفقراء والمساكين - خ (و) جزاب المُجربات وخرزاة الأطباء - خ (و) الخواص - خ (رسالة، و) مقالة في القُورس - خ (و) القُولنج - خ (و) مجموع رسائل - ط (نشرته الجامعة المصرية، يشتمل على ١١ رسالة، وكتاب) من لا يحضره الطبيب - خ (بالمدينة. وفي مكتبة Marciana بالبندقية، مجموعة من) رسائله (في الطب) رقم ٤١ = ١٠٧ = ١٥٧) لم يتسع وقتي لفحصها. وللدكتور داود الجبلي الموصلي كتاب) مُحَمَّد بن زكريا الرّازبي.

أنظر، رُوح المقاومة المغربية، رسالة طبعت في ١٨ يونيو ١٩٥٩ وأحمد زياد، في العلم ١٤ مُحرم ١٣٨٣ والعلم ٢٠ أغسطس ١٩٥٨ وأنظر هامش علاء بن عبد الله.

سبينوزا:

فيلسوف هولندي يهودي (١٦٣٢-١٦٧٧).

ستيفنسون تشارلس:

فيلسوف أمريكي وُلد سنة ١٩٠٨.

سقراط:

فيلسوف يوناني كبير وشهير (٤٦٩-٣٩٩ ق.م).

شوبنهاور:

فيلسوف معروف ألماني (١٧٨٨-١٨٦٠ ق.م).

شيللر:

شاعر وفيلسوف ألماني (١٧٥٩-١٨٠٥ م).

شيشرون:

فقيه وسياسي وفيلسوف روماني (١٠٦-٤٣ ق.م).

صدر الدين الشيرازي:

ويُعرف بالملاصدرا، إيراني توفي ١٠٥٠ هـ.

طاليس الملطي:

أول فيلسوف أفريقي قديم من الناحية التاريخية (حوالي ٦٢٤-٥٤٧ ق.م).

الطوسي:

نصير الدين مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الحسين، كبير وشهير بالفلسفة والفلك

والرياضيات (١٢٠١ - ١٢٧٤ م).

الفارابي:

أبو نصر مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن طَرْخان من عُظماء الفلاسفة، تُركي (حوالي عام ٢٥٩ - ٣٣٩ هـ).

فشته:

فيلسوف ألماني (١٧٦٢ - ١٨١٤ م).

فيثاغورس:

فيلسوف يوناني أزدهر حوالي عام ٥٣٠ قبل الميلاد.

كانت:

فيلسوف وعالم ألماني (١٧٢٤ - ١٨٠٤ م).

كونت:

فيلسوف فرنسي (١٧٩٨ - ١٨٥٧ م).

كيركجارد:

دنماركي (١٨١٣ - ١٨٥٥ م).

لوك هون:

فيلسوف مادّي إنجليزي (١٧٣٢ - ١٨٠٤ م).

ليبنتز:

ألماني (١٦٤٦ - ١٧١٦ م).

مَآخ:

نَمَسَاوِي (١٨٣٨ - ١٩١٦ م).

مَارِكْس:

وُلِدَ فِي مَدِينَةِ تَرِيرِ بِأَلْمَانِيَا سَنَةَ ١٨١٨ م وَتُوفِيَ بِلَنْدُنَ ١٨٨٣.

مِلْ سَتِيورات:

إِنْجِلِيزِي (١٨٠٦ - ١٨٧٣ م).

مَا جِيمْس:

أَسْكُتْلَنْدِي (١٧٧٣ - ١٨٣٦ م).

مَا كِيَا فِيلِي:

مُفَكِّرٌ إِيْطَالِي (١٤٦٩ - ١٥٢٧ م).

نِيْتَشِه:

أَلْمَانِي (١٨٤٤ - ١٩٠٠ م).

نِيوتن أسحق:

عَالِمٌ طَبِيعَةِ إِنْجِلِيزِي (١٦٤٣ - ١٧٢٧ م).

هَامِيلْتون:

فَيْلسُوفٌ أَشْكَنْدَرِي (١٧٨٨ - ١٨٥٦ م).

قِرْقَلِيْطُس:

يُونَانِيٌّ أَزْدَهْرٌ حَوَالِي ٥٠٠ ق.م.

هكسلي :

إنجليزي (١٨٢٥ - ١٨٩٥ م).

الغزالي^(١) :

أبو حامد مُحَمَّد، فقيه وفيلسوف مُتصوف (١٠٥٩ - ١١١١ م).

هوبز توماس :

إنجليزي (١٥٨٨ - ١٦٧٩ م).

- (١) مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أحمد الطوسي الشافعي، المعروف بالغزالي (زين الدين، حجة الإسلام، أبو حامد) حكيم، مُتكلم فقيه، أصولي، صوفي، مُشارك في أنواع من العلوم. وُلد بالطابران إحدى قصبتي طوس بخراسان، وطلب الفقه لتحصيل القوت، ثم أرتحل إلى أبي نصر الإسماعيلي بجرجان، ثم إلى إمام الحرمين أبي المعالي الجويني بنيسابور، فاشتغل عليه ولأزمه ثم جلس للإقراء، وحضر مجلس نظام الملك، فأقبل عليه نظام الملك، فعظمت منزلة الغزالي، وندب للتدريس بنظامية بغداد، ثم أقبل على العبادة والسياحة، فخرج إلى الحجاز فحج، ورجع إلى دمشق فاستوطنها عشر سنين، ثم سار إلى القدس والإسكندرية، ثم عاد إلى وطنه بطوس، ثم إن الوزير فخر الدين أبين نظام الملك طلبه إلى نظامية نيسابور فأجاب إلى ذلك، ثم عاد إلى وطنه، وأبتنى إلى جواره خاتمه للصوفية ومدرسة للمُشتغلين ولزم الإقطاع، وتوفي بالطابران.
- من تصانيفه الكثيرة: إحياء علوم الدين، الحصن الحصين في التجريد والتوحيد، تهافت الفلاسفة، الوجيز في فروع الفقه الشافعي، والمُستصفى في أصول الفقه.
- (الذهبي: سير النبلاء ٨١-٧٥: ١٢، أبين الصلاح: الطبقات ٢٣/٢-٢١/٢، مناقب الشافعي وطبقات أصحابه من تأريخ الذهبي ١٨٧/١-١٨١/٢، أبين عبد الهادي: كتاب في تراجم الرجال ٥٦/٢، أبين هداية: أسماء الرجال الناقلين عن الشافعي أو المنسويين إليه ٦٤، فهرس المؤلفين بالظاهرة) ط (أبن خلکان: وفيات الأعيان ٥٨٨-٥٨٦، ١: السبكي: طبقات الشافعية ١٨٢-١٠١: ٤، أبين الجوزي: المنتظم ١٦٩: ٩، ١٧٠، أبين الأثير: اللباب ١٧٠: ٢، أبين المعاد شذرات الذهب: ١٣).

هوسول ادموند:

ألماني (١٨٥٩ - ١٩٣٨ م).

هيجل:

فيلسوف ألماني شهير (١٧٧٠ - ١٨٣١ م).

هيوم ديفيد:

أشكندري (١٧١١ - ١٧٧٦ م).

ياسبرز كارل:

ألماني وُلد سنة ١٨٨٣.

الفهارس الفنيّة العامّة

١ - فَهْرَسُ الآيَاتِ

٢ - فَهْرَسُ الْأَحَادِيثِ

٣ - فَهْرَسُ الْمَصَادِرِ

فهرس الآيات

الصفحة	رقمها	الآية
		النبقرة
٢١٥	٢٣	﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾
٢١٢	١١١	﴿ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾
٢٠٩	٥٧	﴿ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴾
١٥٥	٢١٢	﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ ﴾
١٣٤	٣٣	﴿ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
١٣٤	٣	﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ ﴾
١٣٢	٢٦٠	﴿ قَالَ أَوْلَمْ تُؤْمِنُوا قَال بلىٰ وَلَكِنْ لَيَطَلَّئِن قَلْبِي ﴾
١٣٢	٢٦٠	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ ﴾
١٥٧ و ١٠٣	٤٤	﴿ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾
١١٨	٢٣٧	﴿ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾
١٠٨	٢٩	﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ﴾
٥٣	٢٨٦	﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَانُوا وَالنَّاصِرَىٰ ﴾
١٩	٢٨٦	﴿ لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
		العمل
٢١٢	٦٦	﴿ فَلِمَ تَحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ﴾
١٣٤	٤٤	﴿ ذَلِكَ مِنْ أَمْ نَبَأِ الْغَيْبِ نُوْحِيهِ إِلَيْكَ ﴾
١٢٨	١٩١	﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا ﴾
١٢٦	١٨١	﴿ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾
٥٩	٣٠	﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا ﴾
		النساء
٢١٨	١٦٥	﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ ﴾
٢١٧	٨٠	﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾
		للحائدة
١٢٦	٦٤	﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا ﴾
٩٦	٣٢	﴿ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ ﴾
		الأنعام
٢١٧	١٢٤	﴿ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾
٢١٠	١١٦	﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾
١٥٧ و ١٣٠	٥٠	﴿ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴾
٥٩	١٦٠	﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
٢٨	٢٨	﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا مَطِيرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ ﴾

الأعراف

٢٦٢	١٥٤ - ١٥٠	﴿ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ ﴾
١٠٧	١٥٧	﴿ وَيُحِلُّ لَهُمُ الْمَطَيَّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثِ ﴾
٧٠	١٨٥	﴿ أُولَئِكَ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

الأَنْفَالِ

٢٠٩	٢٤	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا ﴾
١٣٢	٢٢	﴿ إِذْ سَأَرَ الدَّوَابَّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾

التوبة

٢٠٥	٣٢	﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ﴾
-----	----	--

يُونُسَ

٢١٠	٣٦	﴿ إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ﴾
١٥٥	١٩	﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ﴾
٧٢	١٦	﴿ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُو عَلَيْكُمْ وَلَا أُنزِلْتُكُمْ بِهِ ﴾
٥٥	٦٤	﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ ﴾

الآية	رقمها	الصفحة
الرعد		
﴿ قُلِ اللَّهُ خَلِيقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾	١٦	٢٥٧
﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ ﴾	٥٥٢٩	
يبراهيم		
﴿ تَوَاتَىٰ أَكْثَرَهَا كُلِّ حِينٍ مِّمَّ يَأِذِنُ رَبِّيهَا ﴾	٢٥	٢٠٧
الحجر		
﴿ يَتَأْتِيهَا الذِّي نَزَّلَ عَلَيْهَا الْإِنكُرَ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴾	٦	٣٦٩
الإسراء		
﴿ قُلِ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مُلْكَةٌ يَفْعَسُونَ مُطْمَلِّئِينَ ﴾	٩٥	٢١٨
﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ﴾	٩	٢٠٩
﴿ وَلَا تَبْذُرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَنَ ﴾	٢٦-٢٧	١٩١
﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي ءَادَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ ﴾	٧٠	١٠٨ و ١٦٦
الأهبا		
﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾	٢٢	٢١٤
﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ وَنَحْنُ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾	٩٠	١٦٧
﴿ وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجَبَالَ يُسَبِّحُونَ وَالطَّيْرَ ﴾	٧٩	٥١

الصفحة	رقمها	الآية
		للحج
٢١٦	٧	﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ﴾
٢١١	٨	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾
١٦٨	١١	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ﴾
		الفرقان
٢١٣	٢	﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ وَهُوَ تَقْدِيرًا﴾
٢١٠	٤٤	﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾
		الشعراء
٥٩	٨٩	﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ﴾
		النمل
٨٥ و ٦٥	٨٨	﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرًّا﴾
٢٨	٢٢	﴿فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِى وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ﴾
٢٨	١٨	﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسْكِنِكُمْ﴾
٢٨	١٦	﴿عَلِمْنَا مِنْطِقَ الطَّيْرِ﴾
		العنكبوت
٢٠٧	٤٢	﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَلُ نَضِرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا﴾

الصفحة	رقمها	الآية
للزوم		
٢١٦	٢٧	﴿ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾
٢٠٩	٣٠	﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ ﴾
١٨٢	١٩	﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾
لقمان		
٨٦	٣٤	﴿ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُو عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ ﴾
٧١	١١	﴿ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ نُورِي ﴾
فاطر		
٢١٨	٢٤	﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾
٢١٢ و ٨١	٢٩	﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾
٧٨	٢٨	﴿ وَمِنَ النَّاسِ وَالْذَوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ ﴾
يس		
١٨٢	٨٠	﴿ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا ﴾
٧٣	٧٨ - ٧٧	﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ وَقَالَ مَنْ يُحْيِي ﴾
٧٣	٨١	﴿ أَوْلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾
ص		
٢١٩	٨٨ - ٨٧	﴿ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية
١٣٨	٥ - ٤	﴿ هَذَا سَجْرٌ كَذَابٌ أَجْعَلُ الْآيَةَ إِلَيْهَا وَجِدًا ﴾

الزخرف

٢١٨	٦٧	﴿ الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾
-----	----	--

الجانة

١٦٨	٢٣	﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ ﴾
-----	----	---

الحجر

٢١٨ و ٩٥	١٣	﴿ إِنْ أَنْزَلْنَاهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ أَنْزَلْنَاهُ ﴾
٩٥	١٣	﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ ﴾

ق

٣٠	١٦	﴿ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴾
٧١	٣٧	﴿ إِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٌ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ ﴾

الذريات

١٩٧	٤٧	﴿ وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴾
-----	----	--

التجم

١٠٧	٣٩	﴿ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾
-----	----	--

الآية	رقمها	الصفحة
للرحمن		
﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾	٦٠	١٥٤
للملك		
﴿ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴾	١١	٦١
هود		
﴿ يَتْلَمَّ مَا يُمْسِرُونَ وَمَا يَغْلِبُونَ إِنَّهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ﴾	٥	٣٠
للحاق		
﴿ فَلَا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴾	٤٠	٨٦
للقيامة		
﴿ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بِصِيرَةٌ ﴾	١٤	١٠٨
للعلق		
﴿ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾	٤ - ٥	١٠٨
﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾	١	٧٩ و ١٤٨
﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظِرٌ ﴾	٦	٨٣ و ١٠٦
﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴾	٣ - ٥	١٤٨

الصفحة	رقمها	الآية
		للزكوة
٢٣٢	٨-٧	﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ ﴾
		المذخر
٢١٥	٢٤	﴿ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْتَى ﴾
٦٣	٥٥	﴿ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكُّرٌ فَمَنْ شَاءَ نَكَرْهُ ﴾

فَهْرَسُ الْأَحَادِيثِ

الصفحة	طَرْفَةُ الْحَدِيثِ
٢٠ و ٧٥ و ٨١	أصل ديني العقل
٢٣	كان في طعامه لا يرد موجوداً، ولا يتكلف مفقوداً
٢٣	ألا وإن إمامكم قد أكتفى من دنياه بطمريه
٢٩ و ٢٥٧	تكلّموا في خلق الله، ولا تكلّموا في الله
٣٠	الظاهر بعجائب تدبيره للنّاظرين، والباطن بجلال عزّته
٣٩ و ١٣١	ما خلقت خلقاً أحب إليّ منك
٤٧	صيف لنا العاقل؟ هو الذي يضع الشيء مواضعه
٥٥	الإيمان عمل كلّ
٥٥	الإيمان عمل كلّ، والقول بعض ذلك العمل
٥٥	الإيمان عمل كلّ، ولا إيمان بلا عمل
٦١	رُفِعَ عَنْ أُمَّتِي تِسْعَةٌ: الْخَطَأُ، وَالنَّسْيَانُ
٦١	إن الله أحتج على الناس بما آتاهم وعرفهم
٦٢	الضرورات تبيح المحظورات
٦٢	العقود تتبع القسود
٦٢	لا يحل مال امرئ إلا عن طيب نفسه

الصفحة	طَرْفَ العَدِيدِ
٦٢	لَا يُنْسَبُ لِسَاكِتِ قَوْلِ
٦٢	النَّاسِ مُسَلِّطُونَ عَلَى أَمْوَالِهِمْ
٦٢	المُعَامَلَاتِ طَلَّقَ - الْأَصْلُ الإِبَاحَةُ - حَتَّى يَرِدَ النَّهْيُ
٧٥	كُلَّ مَا حَكَمَ بِهِ الْعَقْلُ يَحْكُمُ بِهِ الشَّرْعُ
٨٦	يَا أَحْنَفُ، كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ
٩٥	النَّاسُ كُلُّهُمْ أَحْزَارٌ، كُلُّهُمْ سِوَاءٌ تَمَامًا كَأَسْنَانِ الْمُشِطِّ
٩٧	كَأَدِ الْفَقْرِ أَنْ يَكُونَ كُفْرًا
٩٧	الْفَقْرُ الْعَوْتُ الْأَكْبَرُ
١٠٤	السَّاكِتُ عَنِ الْحَقِّ شَيْطَانٌ أَخْرَسَ؟
١٠٤	أَفْضَلَ الْجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلِ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ
١٠٤	مَنْ رَأَى سُلْطَانًا جَائِرًا، مُسْتَحْلًا لِحَرَامِ اللَّهِ
١١٢	أَعْلَمَ النَّاسُ مَنْ جَمَعَ عِلْمَ النَّاسِ إِلَى عِلْمِهِ
١١٢	إِذَا وَقَعَ الذَّبَابُ فِي إِيَّائِهِ أَحَدُكُمْ فَلْيَنفِمْسَهُ
١١٦	إِنَّمَا أَهَلَكَ النَّاسُ الْعَجَلَةَ، وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ تَثَبَّتُوا لَمْ يَهْلِكْ أَحَدٌ
١١٧	أَيُّ شَيْءٍ يَدْخُلُنِي الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ لَهُ: لَا تَغْضَبُ
١١٧	تَجْرِعُ الْغَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرْ جُرْعَةً أَحَلَّتْ مِنْهَا عَاقِبَةً
١١٨	إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا فَتَحَلَّمْ؛ فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ
١١٩	ذَاوَيْتِ الْمَرْضَى فَشَفَيْتِهِمْ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَأَبْرَأْتُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ
١٢٤	حَدَّثَ الْمَرْءُ بِمَا لَا يَلِيْقُ، فَإِنْ لَاقَ لَهُ فَلَا عَقْلَ لَهُ
١٢٩	إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَمَعَ اللَّهُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ

الصفحة	طَرَفُ الْحَدِيثِ
١٣٠	إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فِاجْتِهَادِهِ ثُمَّ أَصَابَ فَلَهُ أَجْرَانِ
١٣١	مَا خَلَقْتُ خَلْقًا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْكَ، بِكَ أَثِيبُ، وَبِكَ أُعَاقِبُ
١٣١	لِكُلِّ شَيْءٍ دَعَاةٌ، وَدَعَاةُ الْمُؤْمِنِ عَقْلُهُ
١٤٢	وَفِيكَ أَنْطَوَى الْعَالَمُ الْأَكْبَرُ
١٤٤	أَعْرِفْ نَفْسَكَ
١٩٠	كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ
١٩٠	الْمُؤْمِنُ (أَخُو الْمُؤْمِنِ) كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ
١٩٠	إِذَا سَقَطَ مِنْهُ شَيْءٌ تَدَاعَى سَائِرُ الْجَسَدِ
١٩٠	الْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ كَالْجَسَدِ الْوَاحِدِ، إِذَا أَشْتَكَى شَيْئًا مِنْهُ
١٩٠	الْمُؤْمِنُونَ فِي تَبَارُهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ
١٩١	إِنَّمَا دِمَاؤُكُمْ وَأَمْوَالُكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ
١٩١	مَنْ أَحْتَكِرَ طَعَامًا يُرِيدُ بِهِ الْغَلَاءَ فَقَدْ بَرِيءَ مِنَ اللَّهِ، وَبَرِيءَ اللَّهُ مِنْهُ
١٩٢	أَعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا
٢١١	الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ: فَمَنْ عَمِلَ عَمَلًا
٢١٣	أَوَّلَ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ، وَكِمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصَدِيقُ بِهِ
٢١٧	اللَّهُمَّ فَصَلْ عَلَيَّ مُحَمَّدَ أَمِينِكَ عَلَيَّ وَحَيْكَ
٢١٧	إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَإِنْ بَعَدَتْ لِحْمَتُهُ
٢١٧	وَاللَّهُ مَا شِيعَتُنَا إِلَّا مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ
٢٥٨	فَكُذِّبُوا فِي خَلْقِ اللَّهِ، وَلَا تُفَكِّرُوا فِي ذَاتِ اللَّهِ
٢٥٨	التَّوْحِيدُ إِلَّا تَتَّوَعَّمُهُ

فهرس المصادر

١ . القرآن الكريم ، كتاب الله تبارك وتعالى الحمى القيوم .

حرف الألف

٢ . أضواء البيان فى تفسير القرآن لمحمد بن الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر الشنقيطى .

٣ . أضواء على المسيحية لمتولى يوسف شلى .

٤ . الإقناع فى حل أفاظ أبى شجاع للشربىنى الخطيب القاهرى الشافعى .

حرف الباء

٥ . بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، للعلامة محمد باقر بن محمد تقى

المجلسى (ت ١١١٠ هـ ق) ، تحقيق ونشر : دار إحياء التراث ، الطبعة الأولى - بيروت ١٤١٢ هـ .

٦ . البداية والنهاية ، لأبى الفداء إسماعيل بن كثر الدمشقى ، تحقيق : على شبرى ، دار

الكتب العلمىة ، الطبعة الخامسة ، (١٤٠٩) هـ ، مطبعة السعادة مصر عام ١٣٥١ هـ .

٧ . البداية والنهاية ، محمد بن عبدالحرز الكنانى (ت ١٣١٢ هـ) . طبعة القاهرة (١٣٥١ -

١٣٥٨ هـ) .

٨ . البيان ، محمد بن جمال الدين مكى العاملى المعروف بالشهيد الأول ، طبع مجمع

الدخائر الإسلامىة .

حرف التاء

- ٩ . تاريخ بغداد ، لأحمد بن علي الخطيب البغدادي ، طبعة دار السعادة مضر .
- ١٠ . تاريخ ابن خلدون ، المسمى التّاريخ أو العبر وديوان المبتدأ أو الخبر . عبد الرحمن بن محمّد المشهور بأبن خلدون (ت ٨٠٨هـ) ، طبعة دار الكتاب العربيّ بيروت ١٩٧١هـ .
- ١١ . تاريخ دمشق ، حمزة بن أسد القلانسي (ت ٥٥٥هـ) . طبعة بيروت عام (١٩٠٨ م) .
- ١٢ . تاريخ دمشق ، عليّ بن الحرّ بن عساكر (ت : ٥٧١هـ) . طبعة دمشق ١٩٥١ - ١٩٥٤ م .
طبعة (١٩٨٢ م) .
- ١٣ . تاريخ الطّبريّ تاريخ الرّسل والامم والملوك ، لأبي جعفر محمّد بن جرير الطّبريّ (... - ٣١٠هـ) ، تحقّق محمّد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف القاهرة (١٩٦٠ م) طبعة اوربا ، طبعة الإستقامة مصر .
- ١٤ . تاريخ ابن عساكر (تاريخ دمشق) ، الأجزاء التي حقّقها المحمودي ، ترجمة الإمام عليّ والإمام الحسن والإمام الحسين .
- ١٥ . تاريخ اليعقوبيّ ، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العبّاسي المعروف باليعقوبيّ ، طبعة النّجف الأشرف ١٣٥٤هـ .
- ١٦ . تاريخ اليعقوبيّ ، لابن واضح . طبعة دار صادر بيروت . وأيضاً النّجف .
- ١٧ . تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي ، لعبد الرحمن بن عبد الرّحيم المباركفوري ، طبع سنة (١٢٨٢هـ) ، دار الكتب العلمية .
- ١٨ . تحف العقول ، لأبي محمّد الحسن بن عليّ الحرّاني المعروف بأبن شعبة . مؤسسة النّشر الإسلاميّ - قم ، الطّبعة الثّانية ١٤٠٤هـ ، وإنتشارات جامعة مدرسين ، وطبعة دار إحياء الثّرات العربيّ ١٤٠٦هـ .
- ١٩ . تفسير روح المعاني ، لأبي الفضل شهاب الدّين السيّد محمّد الآلوسي ، طبعة مكتبة المثنى بغداد ١٣٩٦هـ .
- ٢٠ . تفسير القرآن العظيم ، (تفسير ابن كثير) ، لإسماعيل بن عمر بن كثير البصريّ

الدمشقي، (ت ٥٧٧٤هـ). طبعة بيروت دار المعرفة ١٤٠٧هـ، طبعة دار إحياء التراث العربي، طبعة دار صادر.

- ٢١ . تفسير البحر المحيط، لمحمد بن يوسف الشهرير بأبي حيان الأندلسي (ت ٥٧٤٥ق):
٦ / ٤٢٤، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، طبعة - بيروت (١٤١٣هـ)، طبعة السعادة بمصر.
- ٢٢ . التوحيد والتثليث للشيخ محمد جواد البلاغي.

حرف الجيم

- ٢٣ . جامع الأصول في أحاديث الرسول، لأبي السعادات مجد الدين المبارك بن محمد ابن محمد المعروف بأبن الأثير الشيباني الشافعي، (ت ٦٠٦هـ) طبعة الفجالة مصر ١٤٠٦هـ.
- ٢٤ . الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٩٧هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار إحياء التراث، بيروت.
- ٢٥ . الجامع الصحيح (صحيح مسلم) بشرح النووي، لمسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيشابوري (ت ٢٦١هـق)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.
- ٢٦ . الجامع الصغير، في أحاديث البشير النذير جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـق)، الطبعة الأولى - القاهرة ١٣٦٥هـ.
- ٢٧ . جريدة الأهرام المصرية في عددها الصادر بتاريخ (١٢ / ٤ / ١٩٧٤م).

حرف الحاء

- ٢٨ . الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة للحكيم صدر الدين محمد الشيرازي، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- ٢٩ . الإحكام لابن حزم، لعلي بن أحمد بن حزم الأندلسي، أبو محمد، دار الحديث، القاهرة، طبعة ١٤٠٤هـ، ١.

- ٣٠ . الإحكام للآمدي ، لعليّ بن محمّد الآمدي ، أبو الحسن ، دار الكتاب العربي ، بيروت ١٤٠٤ هـ ، تحقيق : الدكتور سيّد الجميلي .
- ٣١ . حاشية ردّ المختار على الدرّ المختار لابن عابدين ، المطبع المصطفائي ، لكهنو .
- ٣٢ . حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، أحمد بن عبدالله . أبو نعيم الإصبهاني (المتوفى ٤٣٠ هـ) .

حرف الدّال

- ٣٣ . الدرّ المنثور في طبقات ربّات الخدور ، العاملي - زينب (ت ١٣٣٢ هـ) . طبعة القاهرة (١٣١٢ هـ) .
- ٣٤ . الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور ، جلال الدّين السيوطي (ت ٩١١ هـ) . دار الفكر بيروت : لبنان .
- ٣٥ . دلائل الثبوت ، أبو نعيم أحمد بن عبدالله الإصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) . نشر دار الوعي - حلب (١٣٩٧ هـ) .
- ٣٦ . دلائل الثبوت ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨ هـ) نشر دار الوعي حلب ١٣٩٧ هـ .
- ٣٧ . درء تعارض العقل والنقل لتقي الدّين أحمد بن عبدالسلام بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية ، دار النشر الكتبية العلمية بيروت ١٤١٧ هـ ، تحقيق : عبد اللطيف عبدالرحمن

حرف الدّال

- ٣٨ . ذكر أخبار إصبهان ، لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الإصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) تحقيق سيّد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

حرف الرّاء

- ٣٩ . روضة الواعظين ، لمحمّد بن فتال التيسابوري ، طبعة بيروت ١٤٠٢ هـ .
- ٤٠ . روح المعاني في تفسير القرآن ، لأبي الفضل شهاب الدّين السيّد محمود الألوسي ، دار

إحياء التراث - بيروت .

- ٤١ . رُوحُ المُقاومةِ المُغربيةِ ، رسالةٌ طُبعت في ١٨ يونيو (١٩٥٩) وأحمدُ زياد ، في العلم ١٤ مُحرم ١٣٨٣ والعلوم ٢٠ أغسطس ١٩٥٨ .
- ٤٢ . الزّوضُ الأزهر في تاريخِ بطرس الأكبر لفولتير .
- ٤٣ . الرّحلةُ المدرسيةُ للشيخِ جوادِ البلاغي .

حرف السّين

- ٤٤ . سبيلُ السّلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام ، لمحمّد بن إسماعيل الكحلاني ثمّ الصّنعاني اليمني ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، الطّبعة الرابعة ١٣٧٩ هـ .
- ٤٥ . سُبُلُ الهدى والرّشاد في سيرة خير العباد لمحمّد بن يوسف الصّالحي الشّامي المتوفّي سنّة (٩٤٢هـ) دراسةٌ وتَحقيقٌ وتعليقُ الشّيخ عادل أحمد عبدالموجود والشّيخ عليّ محمّد معوض ، دار الكُتب العلميّة لبنان طبع سنّة (١٤١٤هـ) .
- ٤٦ . سفينة البحار ، المسمّى سفينة بحار الأنوار ومدينة الحكم والآثار . عبّاس ابن محمّد رضا القمي . طبعة النّجف سنة ١٣٥٥ هـ .
- ٤٧ . السّنن الكبرى ، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن عليّ البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) ، تحقّيق : محمّد محيي الدّين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤٠٥ هـ . وتحقّيق : محمّد عبد القادر عطا ، طبعة دار الكُتب العلميّة ، الطّبعة الأولى - بيروت ١٤١٤ هـ مصوّرة من دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد الدّكن ١٣٥٣ هـ .
- ٤٨ . سنن أبن ماجه ، لأبي عبد الله محمّد بن يزيد بن ماجه القزويني (ت ٢٧٥ هـ) ، تحقّيق : فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث ، بيروت ، الطّبعة الأولى ١٣٩٥ هـ . ونشر دار الفكر ، طبعة - بيروت ١٣٧١ هـ .
- ٤٩ . سنن الترمذي ، لأبي عيسى محمّد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت ٢٩٧ هـ) تحقّيق : أحمد محمّد شاكر ، دار إحياء التراث ، بيروت .

- ٥٠ . سنن الدار قطني ، لأبي الحسن علي بن عمر البغدادي المعروف بالدار قطني ، (ت ٢٨٥هـ)
تحقيق : أبو الطيب محمد آبادي ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤٠٦هـ ، طبعة بولاق بالقاهرة .
- ٥١ . سنن النسائي ، الحافظ المتوفى سنة (٣٠٣هـ) . طبعة دار الكتب العلمية . بيروت - لبنان .
- ٥٢ . سنن أبي داود ، لأشعث السجستاني الأزدي (ت ٢٧٥هـ ق) ، إعداد وتعليق : عزت عبد
الدعاس ، طبعة دار الحديث الطبعة الأولى - حمص ١٣٨٨هـ وطبعة مصطفى البابي - مصر ١٣٩١هـ .
- ٥٣ . سير أعلام النبلاء ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ١٣٧٤م) . تحقيق : مجموعة
من الباحثين تحت إشراف : شعيب الأرنؤاط . مؤسسة الرسالة بيروت - لبنان .
- ٥٤ . السيرة النبوية بهامش السيرة الحلبية ، لأحمد بن زيني بن أحمد دحلان (ت ١٣٠٤هـ)
طبعة دار الكتاب العربي بيروت ١٤٠٨هـ .
- ٥٥ . سفر التثنية الإصحاح (١٤) .

حرف الشين

- ٥٦ . شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لأبي الفلاح عبد الحي المعروف بأبن العماد
(ت ١٠٨٩هـ ق) ، تحقيق : الأرنؤاط ، طبعة - بيروت ، ودمشق ١٤٠٩هـ ، ونشر مكتبة القدسي ،
القاهرة ١٣٥٠هـ .
- ٥٧ . شرح نهج البلاغة ، للشَّيخ محمد عبده ، طبعة دار الكتاب العربي ١٤٠٦هـ ، طبعة الفجالة
الجديدة - مصر ١٤٠٣هـ .
- ٥٨ . شرح نهج البلاغة ؛ للخنوي ، طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٦هـ .
- ٥٩ . شرح نهج البلاغة ، لابن أبي الحديد المعتزلي (ت ٦٥٦هـ ق) ، تحقيق : محمد أبو
الفضل ، طبعة - بيروت ١٤٠٩هـ .
- ٦٠ . شرح نهج البلاغة ، ابن أبي الحديد ، عبد الحميد بن هبة الله (ت ٦٥٥هـ) . طبعة بيروت
(١٣٧٤هـ) . وتحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم . طبعة دار إحياء الكتب العربية - مصر .
- ٦١ . شرح القصيدة الزائفة تنمة التثنية للدكتور جعفر جواد الخليلي .

حرف الصاد

- ٦٢ . صحيح البخاري ، لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري ، (ت ٢٥٦ هـ) ، تحقيق : مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت ، الطبعة الرابعة ١٤١٠ هـ ، ومطبعة المصطفائي ١٣٠٧ هـ .
- ٦٣ . شرح صحيح البخاري . عبدالله محمد بن إسماعيل ، لمحمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥ هـ ق) ، مطبعة الفجالة الجديدة - مصر ١٣٧٦ هـ .
- ٦٤ . صحيح الترمذي ، لعيسى بن سورة الترمذي ، (ت ٢٩٧ هـ ق) ، طبعة بيروت ١٤٠٥ هـ . مطبعة المكتبة السلفية بالمدينة المنورة .
- ٦٥ . صحيح مسلم ، لأبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، (ت ٢٦١ هـ ق) ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة - بيروت ١٣٧٤ هـ . دار الحديث - القاهرة ، الطبعة الاولى ١٤١٢ هـ ، ودار إحياء التراث العربي ، بيروت .
- ٦٦ . صفوة الصفوة ، لأبي الفرج عبدالرحمن بن علي الجوزي (٥٩٧ هـ) . مؤسسة الكتب الثقافية . بيروت : لبنان . وبتحقيق : ماخوري قلعجي .

حرف الطاء

- ٦٧ . طبقات الشافعية ، لعبد الوهاب بن علي تاج الدين السبكي (٧٧١ هـ) ، تحقيق : الحلو ، والطناحي ، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٣٩٦ هـ .
- ٦٨ . طبقات الشافعية الكبرى ، لتقي الدين أبي الحسن علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٧١ هـ ق) ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو ، ومحمود محمد الطناحي ، دار إحياء الكتب العربية . طبعة عيسى البابي - مصر ١٣٨٣ هـ .

حرف العين

- ٦٩ . عيون الأنباء في طبقات الأطباء لموفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن

- يونس السّعدي الخزرجي ، نشر دار مكتبة الحياة بيروت ، تحقيق : الدّكتور نزار رضا .
 ٧٠ . العقد الفريد ، أحمد بن محمّد بن عبد ربّه الأندلسي (ت ٥٣٢٨هـ) . دار الكتب العلميّة .
 بيروت : لبنان . وبتحقّق أحمد أمين وجماعة ، طبعة القاهرة . و تحقّق : محمّد سعيد العريان .

حرف الفاء

- ٧١ . فتح الباري شرح صحيح البخاري ، محمّد بن حبيب البغدادي (ت ٥٢٤٥هـ) . طبعة بولاق
 (١٣٠١هـ) . طبعة السّلفيّة (١٣٩٠هـ) .
 ٧٢ . فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لأحمد بن عليّ بن محمّد بن حجر العسقلاني ،
 (ت ٨٥٢هـ ق) ، الناشر : دار إحياء الثّراث العربي ، بيروت ، والمطبعة السّلفيّة مصر ١٣٨٠هـ ،
 و تحقّق : عبد العزيز بن عبد الله بن باز - القاهرة ١٣٩٨ هـ
 ٧٣ . الفتوح ، أحمد بن أعمش الكوفي . أجزاء . دائرة المعارف الحيدريّة . النّجف ١٩٦٢ م / ١٣٨٢هـ .
 ٧٤ . الفردوس بمأثور الخطاب ، لأبي شجاع شيرويه بن شهر دار بن شيرويه بن فنا خسرو
 الذّيلمي الهمداني (إلكيا) (ت ٥٠٩هـ ق) ، تحقيق : السّعيد بن سبيوني زغلول طبعة دار الكتب
 العلميّة بيروت ، الطّبعة الأولى ١٤٠٦هـ ، و ١٤١٩هـ .
 ٧٥ . فيض القدير ، لمحمّد بن عليّ الشّوكاني ، (ت ١٢٥٠هـ) ، طبع دار الصّحابة .
 ٧٦ . فيض القدير شرح الجامع الصّغير ، لأبي زكريا يحيى بن محمّد عبد الرّؤوف المناويّ
 (ت ١٠٣١هـ ق) ، الطّبعة الأولى - القاهرة ١٣٥٦هـ .
 ٧٧ . فرائد الأُصول ، الشّيخ الأعظم مُرتضى الأنصاري ، إعداد لجنة تحقّق : ونّشر تُرّات
 الشّيخ الأعظم .
 ٧٨ . الفلّسفة بنظرة علميّة تأليف راسل ترجمة زكي نجيب محمّود .
 ٧٩ . الفلّسفة بنظرة عصريّة ترجمة الدّكتور زكي نجيب محمّود .

حرف القاف

- ٨٠ . قاموس الكتاب المقدس لمجمع الكنائس الشرقية.
٨١ . قصص الأنبياء . عبد الوهاب النجار . طبعة دار إحياء التراث العربي . بيروت - لبنان .

حرف الكاف

- ٨٢ . الكافي (الأصول) ، المطبعة الإسلامية . عام (١٣٨٨ هـ . ق) . طهران .
٨٣ . الكامل في التاريخ ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرام محمد بن عبد الكريم الشيباني المعروف بأبن الأثير (ت ٦٣٠ هـ) . عني بمراجعة أصوله : نخبة من العلماء . دار الكتاب العربي . بيروت - لبنان .
٨٤ . كتاب المخابرات الأمريكية ، نشرته مجلة الحوادث البيروتية في أعداد متتابعة سنة (١٩٧٧ م) . ومجلة الكاتب المصرية العدد (١٠١) من السنة التاسعة ، ومجلة عالم الفكر الكويتية العدد الأول من المجلد الثامن .
٨٥ . كتاب أفئون الشعوب للعقاد .
٨٦ . كتاب المنطق للدكتور جميل صليبا .
٨٧ . كتاب خرافة الميتافيزيقا لزكي نجيب محمود .
٨٨ . كتاب فصول في الفلسفة للفيلسوف جود ترجمة عطية محمود وماهر كامل ، طبعة ١٩٥٦ م .
٨٩ . كتاب فلاسفة الحكم للعقاد .
٩٠ . كتاب السلطان لرسل ترجمة خيرى حماد .
٩١ . كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، لعلاء الدين علي المتقي ابن حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥ هـ) ، تصحيح صفوة السقا ، مكتبة التراث الإسلامي - بيروت ، الطبعة الأولى ١٣٩٧ هـ ، وطبع دار الوعي حلب ١٣٩٦ هـ .

حرف اللام

- ٩٢ . لسان العرب ، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري ، (ت ٧١١هـ) ، الطبعة الأولى دار صادر - بيروت ١٤١٠هـ .
- ٩٣ . لسان الميزان ، لأبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢هـ) ، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود ، وعلي محمد معوض ، طبعة دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

حرف الصيم

- ٩٤ . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، لعلي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧هـ) ، تحقيق : عبدالله محمد درويش ، طبعة دار الفكر ، الطبعة الأولى - بيروت ١٤١٢هـ) ، مصورة عن طبعة القدسي ١٣٨٩هـ ، طبعة - القاهرة الثانية بدون تاريخ .
- ٩٥ . التبدأ والمعاد ، لصدر الدين محمد الشيرازي .
- ٩٦ . مجلة الفكر المعاصر المصرية العدد (٦٧) .
- ٩٧ . مجلة الدراسات الأدبية التي تصدر عن الجامعة اللبنانية ، مجموعة السنة الرابعة .
- ٩٨ . مجلة الطليعة المصرية في عدد ديسمبر كانون الأول سنة ١٩٧٣ م .
- ٩٩ . مجلة الهلال المصرية تاريخ أكتوبر تشرين الأول (سنة ١٩٧٣ م) .
- ١٠٠ . مدخل إلى الفلسفة (جون هرمان) ترجمة الدكتور ملحم قربان ، طبعة ١٩٦٣ م .
- ١٠١ . المجتمع البشري للفيلسوف الإنجليزي الشهير (رسل) ترجمة عبد الكريم أحمد .
- ١٠٢ . مجلة عالم الفكر الكويتية ، العدد الرابع من المجلد الأول .
- ١٠٣ . مجلة العربي الكويتية عدد آب ١٩٧٤ م مقالاً بعنوان المرض النفسي .
- ١٠٤ . المحاسن ، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن خالد البرقي (ت ٢٨٠هـ) ، تحقيق : السيد مهدي الرجائي ، المجمع العالمي لأهل البيت - قم ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .
- ١٠٥ . المحلى ، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم الظاهري ، دار الفكر .
- ١٠٦ . مرآة الجنان وعبرة اليقظان لأبي محمد بن أسعد بن علي بن سليمان اليافعي ، نشر دار

الكتاب الإسلامي القاهرة (١٤١٣ هـ).

- ١٠٧ . المستدرک علی الصّحیحین ، لأبی عبد الله محمّد بن عبد الله الحاكم النّيسابوري ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطّبعة الأولى ١٤١١ هـ ، طبعة حيدر آباد .
- ١٠٨ . مسند أحمد ، لمحمّد بن حنبل الشّيبانيّ (ت ٢٤١ هـ ق) ، تحقّق : عبد الله محمّد الدّرويش ، طبعة دار الفكر ، الطّبعة الثّانية - بيروت ١٤١٤ هـ ، طبعة جامعة أم القرى السّعودية ، طبعة دار العلم ١٤٠٣ هـ .
- ١٠٩ . مسند أبن ماجه ، لمحمّد بن يزيد القزوينيّ (ت ٢٧٥ هـ ق) ، تحقّق : فؤاد عبد الباقي ، نشر دار الفكر ، طبعة - بيروت ١٣٧١ هـ ، دار إحياء الثّراث ، بيروت ، الطّبعة الأولى ١٣٩٥ هـ .
- ١١٠ . مسند الطّيالسيّ ، لسليمان بن داود الطّيالسيّ (ت ٢٠٤ هـ ق) ، طبعة دار صادر - بيروت ١٤٠٢ هـ .
- ١١١ . مُسند الشّهَاب لمُحمّد بن سَلَامَة بن جَعْفَر القُضَاعِيّ ، حَقَّقَهُ وَخَرَّجَ أَحَادِيثَهُ ، حَنَدِيّ عبدالمجيد السّلفيّ .
- ١١٢ . المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية .
- ١١٣ . المذاهب الوجوديّة تأليف (رجيس جوليفيه) ترجمة فؤاد كامل .
- ١١٤ . المصنّف ، عبد الرزاق بن همام الصّنعانيّ (٢١١ هـ) . تحقّق : حبيب الرّحمن الأعظمي . منشورات المجلس العلمي ، طبعة بيروت سنة (١٣٩٠ هـ) وما بعدها .
- ١١٥ . المعارف ، لأبي محمّد عبد الله بن مسلم المعروف بأبن قتيبة الدّينوريّ (ت ٢٧٦ هـ ق) ، حَقَّقَهُ وَقَدَّمَ لَهُ ثَرَوَاتٍ عَكاَشَهُ : منشورات الشّريف الرّضيّ الطّبعة الأولى ١٤١٥ هـ .
- ١١٦ . المعجم الصّغير ، لأبي القاسم سليمان أبن أحمد بن أيوب بن مطير اللّخميّ الشّاميّ الطّبرانيّ (ت ٣٦٠ هـ) ، تحقّق : محمّد عثمان ، دار الفكر ، بيروت ، الطّبعة الثّانية ١٤٠١ هـ .
- ١١٧ . المعجم الأوسط ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطّبريّ (٣٦٠ هـ) . مكتبة المعارف - الرّياض . الطّبعة الأولى (١٤٠٧ هـ) . قام بإخراجه : إبراهيم مظفر وآخرون . تحت إشراف : مجمع اللّغة العربيّة - مصر .

- ١١٨ . المعجم الكبير ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد اللخمي الطبراني (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق :
حمدي عبد المجيد السلفي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٤ هـ
- ١١٩ . المعجم الأوسط ، لأبي القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي
الطبراني (ت ٣٦٠هـ) ، تحقيق : طارق بن عوض الله ، وعبد الحسن بن إبراهيم الحسيني ، دار
الحرمين ، القاهرة ، ١٤١٥ هـ .
- ١٢٠ . المعجم الفلسفي للدكتور صليبا م . د . ي .
- ١٢١ . مجمع البيان في تفسير القرآن ، لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨هـ ق) ،
طبعة دار المعرفة - بيروت ١٤١٩ هـ ، طبعة دار إحياء التراث العربي .
- ١٢٢ . المغني ، لأبي محمد موفق الدين محمد بن عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي
(ت ٦٢٠هـ) ، دار الكتاب العربي بيروت ١٣٥٩ هـ ، طبعة محمد علي صبيح وأولاده .
- ١٢٣ . المغني ، لأبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي ، على مختصر لأبي
القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله بن أحمد الخرقى مطبعة المنار - مصر ١٣٤٢ هـ .
- ١٢٤ . مقدّمه ابن خلدون ، لابن خلدون المغربي (ت ٨٠٨هـ) ، دار الجبل بيروت .
- ١٢٥ . الملل والنحل ، لأبي منصور عبد القاهر بن طاهر بن محمد التميمي البغدادي (ت ٤٢٩هـ) ،
تحقيق : البير نصري نادر ، طبعة دار المشرق ، بيروت ١٩٧٠ م .
- ١٢٦ . الملل والنحل ، لأبي الفتح ، محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨هـ) على هامش
(الفصل) ، لابن حزم الظاهري ، الطبعة الثانية ، أفسس ، دار المعرفة بيروت .
- ١٢٧ . ميزان الاعتدال في نقد الرجال ، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي ،
(ت ٧٤٨هـ ق) ، تحقيق محمد الجاوي ، طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت ١٩٦٣ م ،
وطبع القاهرة ١٣٢٥ هـ ، دار الفكر بيروت .
- ١٢٨ . الميزان في تفسير القرآن ، لمحمد حسين الطباطبائي ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ،
الطبعة الثالثة ١٣٩٧ هـ .
- ١٢٩ . ميزان الاعتدال ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) . تحقيق : علي

البجاوي . طبعة القاهرة (١٩٦٣ م) .

حرف النون

١٣٠ . النهاية في غريب الحديث والأثر ، لأبي السّادات مبارك بن مبارك الجزري المعروف بأبن الأثير الشّيباني الشّافعي (ت ٦٠٦ هـ) ، تحقّق : ظاهر أحمد الزّاوي ، مؤسسة إسماعيليان ، قم ، الطبعة الرابعة ١٣٦٧ هـ .

حرف الواو

١٣١ . وسائل الشيعة، محمّد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤ هـ) ، الطبعة الخامسة دار إحياء التراث العربي - بيروت ١٤٠٣ هـ .

١٣٢ . الوافي بالوفيات ، لصفّي الدّين خليل بن أيبك الصّفدي ، دار النّشر فرانزشتانيز - قيسبادان .

١٣٣ . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان ، لشمس الدّين أبي العبّاس أحمد بن محمّد الهرمكيّ المعروف بأبن خلّكان (ت ٦٨١ هـ) ، تحقّق : الدّكتور إحسان عبّاس ، طبعة دار صادر - بيروت ١٣٩٨ هـ .

١٣٤ . P. DydDrink Water, Theotline of Liter Ture 290

١٣٥ . Story of Philosphy, Will Durant.p.220